رضا هلال

المسيح اليهودي ونهاية العالم

المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا

مكتبة الشروق

المسيح اليهودى
ونهاية العالم

الطبعـــة الأولـــى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

مكتبة الشروق

القاهرة - كولامپور - چاكارتا

٢ شارع البورصة الجديدة - قصر النيل - ت: ٣٩٣٨٠٧١

رضـــا هـــلال

المسيح اليهودى ونهاية العالم

المسيحية السياسية والأصولية فى أمريكا

مكتبة الشروق

إهـــــداء

إلى كل من يبتغون الدين، سلاماً مع النفس وبين البشر، لا مطية للسياسة ونهاية العالم.

رضا هلال

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الفصل السادس: الأصولية والعنف: المسيح اليهودى والمسيح المسيحى	١٥٣
١ ـ منظمات المسيحية الأصولية................	١٥٥
٢ ـ ديفيد قورش . . المسيح يحرق «واكو»............	١٦٧
٣ ـ أمريكا . . القبيلة الإسرائيلية..................	١٧١
٤ ـ جماعات العنف والميلشيات: جيش الله وأمريكا المسيحية..............................	١٧٩
الفصل السابع: الرسالة الصليبية العالمية............	١٨٩
١ ـ لوبى المسيح والسياسة الخارجية...............	١٩١
٢ ـ قانون الحرية من الاضطهاد الدينى..............	١٩٩
خاتمة: المسيح اليهودى ونهاية التاريخ............	٢١٣
الهوامش..	٢٢٧
الجداول والأشكال................................	٢٣٩

مقدمة

«لا أحد يستطيع أحد أن يفهم أمريكا وحرياتها، إلا إذا وعى وتفهم التأثير الذى باشره ومازال يباشره الدين فى صنع هذا البلد . . »

چيمس فن ـ أمريكا اليوم

غُرست بذرة هذا الكتاب، حينما كنت أعيش فى الولايات المتحدة، فى تسعينيات القرن الماضى. ففى أحد الأيام، كنت أقلب النظر بين قنوات التليڤزيون، ووجدتنى أتوقف عند دعاية لقناة CBN، وأتابع الواعظ التليڤزيونى «بات روبرتسون» يعظ بقرب نهاية التاريخ والمجىء الثانى للمسيح. وظللت لفترة مأخوذا ببرامج المحطات التليڤزيونية الدينية التى تسمى «الكنائس التليڤزيونية» التى تقدم للمشاهد الأمريكى الموعظة وتوفر عليه الذهاب إلى الكنيسة للصلاة وتنقل إليه الأخبار والبرامج الحوارية Talk Show عن رأى الدين فى الزواج والطلاق وتربية الأطفال والإجهاض والمرشحين (الصالحين) للانتخابات. وكنت ألحظ أن إسرائيل تمثل درة التاج فى برامج تلك الشبكات (المسيحية!) على أساس أن دعم إسرائيل وتأييد احتلالها للقدس هو التزام دينى، باعتبار أن قيام إسرائيل هو الخطوة قبل الأخيرة للمجىء الثانى للمسيح، أما الخطوة الأخيرة فهى بناء الهيكل فوق قبة الصخرة عند المسجد الأقصى.

ودفعنى الفضول لأن أزور مجمع شبكة CBN فى ڤيرچينيا بيتش. ووجدت أن المجمع الذى يضم أحد عشر طابقاً يشمل أيضا جامعة Regent (الوصى على العرش)، وهى جامعة مسيحية تمنح الدرجة الجامعية فى القانون والحكومات والصحافة.

لفتت نظرى فى مدخل المجمع الآية ١٤ من الإصحاح ٢٤ فى إنجيل متى:

«ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتى المنتهى».

وفى مكتبة المبنى قرأت الآية ٢٥ من الإصحاح الثامن لسفر الملوك الأول فى العهد القديم : **«والآن أيها الرب إله إسرائيل احفظ لعبدك داوود أبى ما كلمته به قائلا : لا يُعدم لك أمامى رجل يجلس على كرسى إسرائيل»** . وفى الممر المقابل للمكتبة، رُسمت جدارية تصور الأحصنة الأربعة الواردة فى رؤيا يوحنا عن يوم الدينونة . وفى «اللوبى» ، رسمت جدارية أخرى لمعركة هرمجدون(*) بين يأجوج ومأجوج(**) ، المعركة الفاصلة قبل مجىء المسيح . ووسط تلك الأجواء والرموز اليهودية المسيحية، شرحت لى مرافقتى أن جامعة Regent وشبكة CBN هدفهما تهيئة أمريكا والأمريكيين لمجىء المسيح . وأخبرتنى أن شبكة CBN كانت لها محطة تبث من جنوب لبنان باسم نجمة الأمل (أصبحت تبث فيما بعد من خلال قناة METV على القمر الصناعى الإسرائيلى)، للإعداد لمجىء المسيح .

وتزايد عندى الفضول فى يوم ١٩ أبريل ١٩٩٣ ، وهو اليوم الذى اضطرمت فيه النيران فى مجمع الديفيديين فى واكو حيث انتحر ٧٤ من أعضاء الجماعة وبينهم زعيم الجماعة ديفيد قورش عملاً بما يعتقدون أنه تنفيذ لخطة الرب لنهاية التاريخ ومجىء المسيح . وكان اللافت للنظر أن قورش عندما دُفن، كان تابوته ملفوفاً بالعلم الإسرائيلى وليس العلم الأمريكى!

وفى الذكرى السنوية الثانية لإحراق مجمع الديفيديين فى واكو فى ١٩ أبريل ١٩٩٥ ، قام تيموثى ماكفى بتفجير المبنى الفيدرالى فى أوكلاهوما، انتقاماً لمقتل ديفيد قورش وأتباعه من الحكومة الفيدرالية، التى كان يراها ماكفى منخرطة فى خطة شيطانية عالمية ضد خطة الرب وتؤخر مجىء المسيح .

والمفارقة هنا، أن ذلك يحدث فى أمريكا التى قدمت للحضارة الغربية خبرة الفصل بين الكنيسة والدولة، منذ إقرار اللائحة الدستورية لولاية فيرجينيا عام ١٧٧٧ (قبل الثورة الفرنسية بأكثر من عقد)، والتى لم تحدد ديناً رسميا أو كنيسة رسمية للولايات . وكان التعديل الأول للدستور الأمريكى عام ١٨٠١ ، يستهدف كما قال الرئيس توماس

(*) الموقع الذى تدور فيه المعركة الأخيرة بين قوى الشر وقوى الخير قبل يوم الدينونة . رؤيا يوحنا (١٦ : ١٦).

(**) يأجوج ومأجوج ترمز إلى الأمم التى يضلها الشيطان ويجمعهم للحرب كأعداء لمملكة الرب . رؤيا يوحنا (٢٠ : ٨). وقد ورد الاسم فى القرآن مرتين:

﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض﴾ . الكهف آية ٩٤ . و**﴿حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾** . الأنبياء آية ٩٦ .

چيفرسون «إنشاء حائط فاصل بين الكنيسة والدولة . . كما توافقت المسيحية الأمريكية سياسياً مع الفردية ، وفلسفة دعه يعمل دعه يمر (الحرية الاقتصادية لدى آدم سميث) ، لتتحول إلى ما أسماه روبرت بإله «الدين المدنى» .

وقد دفعنى ذلك إلى البحث فى اتجاهين .

الاتجاه الأول : تديُّن الأمريكيين . إذ إن ٩٥٪ من الأمريكيين يعتقدون فى وجود الله . وإن بين كل ٥ أفراد هناك ٤ أفراد يعتقدون فى المعجزات والحياة بعد الموت والميلاد العذرى للمسيح (عذرية مريم) . كما أن ٨٢٪ من الأمريكيين يعتبرون أنفسهم متدينين ، مقابل ٥٥٪ فى بريطانيا و٥٤٪ فى ألمانيا و٤٨٪ فى فرنسا . أما من يذهبون إلى الكنيسة أسبوعيا فى أمريكا ، فنسبتهم ٤٤٪ مقابل ١٨٪ فى ألمانيا و١٤٪ فى بريطانيا و١٠٪ فى فرنسا[(١)] .

والاتجاه الثانى : تحيز الأمريكيين لإسرائيل . فالثقافة الأمريكية توصف بأنها ثقافة يهو - مسيحية "Judeo Christian" تقوم على التقاليد الأخلاقية والدينية لليهودية والمسيحية ، أى «التراث اليهودى المسيحى» ، الأمر الذى تُرجم فى النهاية إلى معنى سياسى هو توافق القيم الأمريكية والإسرائيلية .

ومن ثم ، أصبحت فرضية البحث هى كيفية تفسير تدين وتهود أمريكا .

لقد ارتبط تدين وتهود أمريكا بنشأتها . فالمهاجرون الأوائل اعتبروا أمريكا هى «أورشليم الجديدة» أو «كنعان الجديدة» ، وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء حين فروا من ظلم فرعون (الملك الإنجليزى چيمس الأول) وهربوا من أرض مصر (إنجلترا) بحثاً عن أرض الميعاد الجديدة . وبالمشابهة ، أصبحت مطاردة المهاجرين البروتستانت للهنود الحمر فى العالم الجديد (أمريكا) مثل مطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين فى فلسطين .

وقد وجد المستوطنون فى حكايات «سفر الخروج» من العبر والوصايا ، نبراساً فى تأسيس مشروع أمريكا . فالعبودية فى مصر ، والخروج ، والتيه ، ودخول أرض الميعاد وإبادة أهلها . . . أصبحت تاريخاً معاداً ومستقبلاً للشعب المختار الجديد فى أرض الميعاد الجديدة .

لقد كان تحويل العالم الجديد إلى إسرائيل جديدة ، هو أساس مشروع المستوطنين البروتستانت البيورتانيين الأوائل . فطالما حلموا فى إنجلترا بتطبيق شريعة التوراة ، ولما جاءوا إلى أمريكا حلموا بدولة تحكمها أحكام الرب ، حتى إن المؤرخ چون فيسك قال :

«حيث ترى تاريخاً يصنع فى أمريكا ، تجد تاريخاً أمريكيا يهوديا»[(٢)] .

غير أن تهويد «المسيحية الأمريكية»، يرجع فى الأصل إلى ما أسميناه «المسيحية اليهودية»، التى كانت قد توارت مع ظهور القديس بولس المؤسس الثانى للمسيحية بعد يسوع، ولكنها عاودت الظهور والنمو فى فترة الإصلاح والنهضة فى أوروبا، ولعبت دوراً مهما بعد الاسترداد المسيحى لإسپانيا من خلال اليهود المتحولين إلى المسيحية «يهود المارانو». ومع بداية القرن السادس عشر، قاد تأثير المسيحية اليهودية إلى انتشار فكر الألفية (نسبة إلى الألف عام التى تسبق أو تلحق بمجىء المسيح)، بتفسيرات جديدة لسفر دانيال (العهد القديم) ورؤيا يوحنا (العهد الجديد). وأصبح لليهود دور فى خطة الرب لنهاية التاريخ التى تتضمن عودة اليهود إلى فلسطين قبل مجىء المسيح. ولكن الانطلاقة الكبرى للمسيحية اليهودية ارتبطت بحركة الإصلاح البروتستانتى فى القرن السادس عشر، إذ أعادت البروتستانتية الاعتبار لليهود وأصبح العهد القديم (اليهودى) المرجع الأعلى للاعتقاد البروتستانتى. ووصل تهويد المسيحية إلى ذروته مع الثورة البيوريتانية فى القرن السابع عشر، إذ غالى البيوريتانيون فى إجلال العهد القديم، وطالبوا الحكومة البريطانية بأن تعلن التورارة دستوراً للبلاد، واستعاضوا بالعادات اليهودية عن المسيحية، بل إن بعضهم كان يلهج بالعبرية فى الصلاة وتلاوة الكتاب المقدس.

وعندما وصل المهاجرون البيوريتانيون الأوائل إلى العالم الجديد (أمريكا)، كانت أساطير الشعب المختار وأرض الميعاد ومملكة إسرائيل هى المرشد والنبراس، وكانوا يصلون باللغة العبرية ويطلقون على أبنائهم أسماء من قصص التوراة، وكان أول كتاب طبعوه فى أمريكا هو كتاب «مزامير داوود».

وهكذا، كانت المسيحية التى دخلت أمريكا مع المهاجرين الأوائل، مسيحية يهودية، بل إن المسيح يسوع الناصرى رأس الديانة المسيحية أصبح مسيحاً يهوديا، أى أحد عديد الأنبياء اليهود. وبتأثير المسيحية اليهودية، ومع حلول القرن الثامن عشر، أصبح الاعتقاد بالبعث اليهودى فى فلسطين يشكل جانبا مهما من اللاهوت البروتستانتى الأمريكى، حيث احتلت معتقدات المسيح المنتظر والعصر الألفى السعيد مكاناً بارزاً.

وبدخول أمريكا الصحوة الدينية العظمى فى أربعينيات القرن التاسع عشر، انبجست عن المسيحية اليهودية مسيحية صهيونية، رفدت الثقافة والسياسة فى الولايات المتحدة باعتقاد الالتزام بإقامة إسرائيل (بعث اليهود) والانحياز لهم، كالتزام لاهوتى وثقافى ثم سياسى. **وبذلك سبقت الصهيونية الأمريكية صهيونية هرتزل اليهودية بعقود. وذلك ما يفسر دعم أمريكا لقيام إسرائيل عام ١٩٤٨، ثم الانحياز الأمريكى لإسرائيل بعد ذلك.**

فهو انحياز لاهوتى وثقافى متغلغل فى التفكير الأمريكى والسياسة الأمريكية من قبل ظهور الصهيونية اليهودية ، ومن قبل ظهور اللوبى اليهودى الذى ما كان يتضخم تأثيره دون استناده إلى المشاعر المسيحية الصهيونية لدى الأمريكيين .

ويركز البحث فى تدين وتهود أمريكا، على حركة الإحياء الدينى فى أمريكا فى الربع الأخير من القرن العشرين. فقد شهدت الولايات المتحدة ابتداءً من عام ١٩٧٦ صعود المسيحية السياسية والأصولية ، أو ما اصطلح على تسميته «اليمين المسيحى». إذ تحول الآلاف من الشباب إلى «مسيحيين ولدوا ثانية» وأظهرت استطلاعات جالوب أن ما بين خمس وثُلث الأمريكيين مارسوا العمادة من جديد (مسيحيين ولدوا ثانية). وتزايد أتباع الكنائس المتشددة ، وتأسست الشبكات الدينية التليفزيونية «الكنائس التليفزيونية» . . ووصل إلى البيت الأبيض الرئيس كارتر الذى أعلن أنه «مسيحى مولود ثانية». **وقد ارتبط صعود المسيحية السياسية والأصولية بصعود المسيحية الصهيونية ، خصوصاً ، بعد انتصار إسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧ واحتلالها القدس ، وهو الأمر الذى اعتبرته المسيحية الصهيونية الأمريكية تأكيداً لصحة نبوءات التوراة وإعلاناً عن قرب مجىء المسيح .** وأصبحت للمسيحية الصهيونة منظماتها التى استخدمت وسائل جماعات الضغط «اللوبى» للتأثير على الرأى العام والكونجرس بهدف تأكيد شرعية دولة إسرائيل ودعمها اقتصاديا وعسكريا وسياسيا (كالتزام لاهوتى وأخلاقى أمريكى)، وتهويد القدس باعتبارها المدينة التى سيحكم المسيح العالم منها لدى مجيئه. **وتوالى صعود اليمين المسيحى فى الثمانينيات والتسعينيات حتى أصبح قوة تصويتية مؤثرة فى انتخابات الرئاسة والكونجرس ، إذ أصبح يستحوذ على ٢٥٪ من القاعدة التصويتية فى الولايات المتحدة (أى حوالى ١٠ أضعاف الأصوات اليهودية)**[٣] . وفى طريقه إلى السيطرة على المسرح السياسى الأمريكى ، تحالف اليمين المسيحى مع اليمين السياسى فى الحزب الجمهورى، ليشكل ما أصبح يعرف باسم «حزب الله» ، وتزامن مع تزايد دور اليمين المسيحى الذى شمل أيضا الكاثوليك الأمريكيين إلى جانب البروتستانت ، أن أصبحت «اليهو مسيحية» صفة لأمريكا لاهوتيا وأخلاقياً وثقافيا ، لدرجة قطع لسان من لا يضيف وصف «يهودية» إلى المسيحية ، فى وصف أمريكا . وذلك ما حدث أثناء وبعد الانتخابات الرئاسية والنيابية عام ١٩٩٢ ، التى أطاحت فيها أمريكا اليهو مسيحية بالرئيس بوش ، بالرغم من أن فترة رئاسته شهدت سقوط الاتحاد السوفييتى وانتصار أمريكا فى حرب الخليج .

وشهد عقد التسعينيات، ترسيخ منظمات الأصولية المسيحية تحت مسميات «الائتلاف المسيحى» و«الإحياء الأصولى» و«مجلس أبحاث العائلة» و«التركيز على العائلة» و«ائتلاف القيم التقليدية». . كما ظهرت جماعات وميليشيات العنف التى لجأت إلى التخريب والقتل لتقويض النظام الاجتماعى والسياسى، وإعادة تأسيسه وفقا لتعاليم الكتاب المقدس حتى تصبح عودة المسيح ممكنة.

ولم تقتصر «أچندة» المسيحية السياسية والأصولية على تهيئة المجتمع الأمريكى لعودة المسيح، بل إنها ضمنت الأچندة رسالة صليبية عالمية، ولم يقتصر دورها على السياسة الداخلية بل أصبح لها دور مؤثر فى السياسة الخارجية الأمريكية، إذ كانت وراء الهجوم على الأمم المتحدة وقروض صندوق النقد الدولى وصندوق الأمم المتحدة للسكان، كما كانت وراء تشريع الحرية من الاضطهاد الدينى، فقد أصبح ضمن رسالة المسيحية السياسية والأصولية فى أمريكا تحضير العالم لنهاية التاريخ وللمجىء الثانى للمسيح.

لقد جاء صعود المسيحية السياسية والأصولية فى الولايات المتحدة ضمن سياق عالمى فى الربع الأخير من القرن العشرين، شمل إحياء الأصوليات فى الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام)[٤]. إلا أنه يمكن ملاحظة عدد من السمات التى اتسمت بها حركة المسيحية السياسية والأصولية الأمريكية.

أولا: أن المسيحية السياسية والأصولية فى أمريكا هى حركة ما بعد علمانية، نشأت فى مجتمع ما بعد علمانى عرف العلمانية قبل قرنين وتجذرت فيه قبل قرن مضى سواء فى المجتمع أو فى الفضاء القانونى والسياسى، وذلك بعكس نظيرتها الإسلامية التى ظهرت فى بلدان اقتصرت العلمانية فيها على النخب المتغربة جزئيا. فالمسلم يسمع ويقرأ مفردات ومصطلحات القرآن، فيعرفها أو يتذكرها بسهولة ويسر لأن مرجعيته الدينية حاضرة، أما الأمريكى، بتأثير العلمانية، فيحتاج إلى إعادة تعلم مفردات ومصطلحات الكتاب المقدس. ومن ثم كان الإحياء الدينى فى أمريكا «إعادة تنصير» من تحت (التأثير فى المجتمع) أو من فوق (محاولة تغيير النظام).

ثانيا: أن حركة المسيحية السياسية والأصولية فى أمريكا، تولدت فى مجتمع ديمقراطى (بعكس نظيرتها الإسلامية)، ولذلك فإنها تتحدد وتتقيد بثقافة ديمقراطية وتقاليد ديمقراطية، ومن ثم فإنها لم تلجأ إلى العنف إلا فى نطاق جماعات هامشية، كما أنها لم تتعرض للقمع الذى تعرضت له نظيرتها الإسلامية، إلا فى أطرافها الانتحارية. كما أن صعود حركة المسيحية السياسية والأصولية الأمريكية فى مجتمع ديمقراطى دفع بها إلى

الحلبة السياسية كقوة تصويتية مؤثرة وإلى السيطرة على مجالس المدارس ومجالس المدن فى ولايات عدة، وأن يكون لها ممثلوها فى الكونجرس وبين حكام الولايات. بل إن اليمين المسيحى، ضمن سعيه إلى «التنصير من فوق»، دفع بمرشح للرئاسة فى الانتخابات الأولية للحزب الجمهورى عام ١٩٨٨ هو بات روبرتسون، وتكررت المحاولة فى الترشيحات التمهيدية للانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٠ من خلال جارى بوير الذي خاض معركة ترشيحات الحزب الجمهورى.

ثالثا: أن حركة المسيحية السياسية والأصولية الأمريكية، نشأت فى مجتمع ما بعد صناعى وما بعد حديث، ولذلك كانت لها قدرة خارقة على استخدام اللغة والتكنولوچيا الأكثر حداثة لنشر رسالتها، كما ظهر فى ابتداع «الكنائس التليڤزيونية» واستخدام «الإنترنت» و«البريد الإلكترونى» فى تأسيس شبكات اتصال بأتباعها وبالجمهور العادى فى أثناء الحملات الانتخابية أو لجمع التبرعات أو للضغط على الإدارة والكونجرس.

رابعا: أنها نشأت فى مجتمع رأسمالى يقوم على الحرية والتنافسية، ولذلك نجدها تعمل بمنطق «السوق»، لدرجة أنه يمكن القول بوجود «سوق أمريكى للدين» تتنافس فيه الشبكات التليڤزيونية الدينية (الكنائس المرئية)، والجامعات اللاهوتية، ومنظمات التبشير، ووسائل النشر المطبعى والإلكترونى المسيحية، فى ظل غياب دين رسمى للدولة أو كنيسة قومية.

خامسا: أن الحركة المسيحية السياسية والأصولية الأمريكية مثل نظيرتها الإسلامية تتحدى شروطاً اجتماعية. فالأخيرة تتحدى بؤساً ماديا واجتماعيا، والأمريكية تتحدى شقاءً اجتماعيا فى مجتمع مادى ومتحرر، بالوعد بشفاء اجتماعى من خلال الوعاظ التليڤزيونيين والجامعات اللاهوتية والشفاء العجائبى والالتزام بقواعد أخلاقية صارمة تمنع الإجهاض وتحرم المثلية الجنسية وتقصر الجنس فى نطاق مؤسسة الزوجية، وتربى الأطفال على الأخلاق المسيحية وتحظر «البورنوجرافيا».

إن أى مهتم بالسياسة الأمريكية فى الداخل وبالسياسة الخارجية الأمريكية لابد وأن يعى تأثير الدين الأمريكى. والفرضية التى انطلق منها هذا الكتاب أن أمريكا «يهو مسيحية». فمنذ أن وصل إلى شواطئها المهاجرون البروتستانت البيوريتانيون الأوائل، اصطبغت المسيحية الأمريكية بصبغة يهودية، وأصبحت مسيحية يهودية مع الصحوة الدينية الكبرى الأولى فى أربعينيات القرن التاسع عشر، وانبجست عنها مسيحية صهيونية منذ ذلك التاريخ.

وبهذه الفرضية ناقش الكتاب المسيحية السياسية والأصولية فى أمريكا، وجرى تقسيم الكتاب إلى سبعة فصول :

الفصل الأول: المسيح اليهودى. ويتناول جذور المسيحية اليهودية في تاريخ المسيحية والتاريخ الغربى بدءاً بظهور القديس بولس وحتى حركة الإصلاح البروتستانتى، ثم عصر النهضة الأوروبية حتى عصر الإمبريالية البريطانية .

الفصل الثانى: المسيح اليهودى الأمريكى. ويبحث فى نشأة المسيحية اليهودية فى أمريكا ثم تحولها إلى مسيحية صهيونية حتى بعث دولة إسرائيل .

الفصل الثالث: الإحياء الدينى والمسيحية الصهيونية. ويناقش بدء حركة الإحياء الدينى فى الولايات المتحدة منذ الخمسينيات، ثم صعود الإيفانجيلية المتشددة فى السبعينيات، وارتباط ذلك بصعود المسيحية الصهوينية فى أمريكا .

الفصل الرابع: صعود اليمين المسيحى واللوبى المسيحى الصهيونى. ويتناول صعود اليمين المسيحى فى الثمانينيات خلال حكم الرئيس ريجان، واستعداد ريجان لإشعال هرمجدون نووية تمهيدا لمجىء المسيح، وتكوين اللوبى المسيحى الصهيونى .

الفصل الخامس: حزب الله وانتصار اليهو مسيحية. ويعرض للتحالف بين اليمين المسيحى واليمين السياسى فى الحزب الجمهورى فى عهدى بوش وكلينتون، وسيطرة اليهو مسيحية فى الحرب الثقافية على روح أمريكا، وامتداد المسيحية الصهيونية إلى الوسط الكاثوليكى .

الفصل السادس: الأصولية والعنف: المسيح اليهودى والمسيح المسيحى. ويستعرض المنظمات الأصولية وجماعات وميليشيات العنف المقدس لتقويض النظام الاجتماعى والسياسى السائد وإحلال نظام مستمد من الكتاب المقدس محله تمهيداً لعودة المسيح .

الفصل السابع: الرسالة الصليبية العالمية. ويناقش دور المسيحية السياسية والأصولية فى السياسة الخارجية من خلال حملاتها على الأمم المتحدة وصندوق النقد والحد من التسلح وحملتها لتشريع قانون الحرية من الاضطهاد الدينى، كجزء من رسالة كونية لتحضير العالم لمجىء المسيح .

ثم خاتمة: **المسيح اليهودى ونهاية التاريخ.**

لقد سعى هذا الكتاب لفهم دور الدين فى السياسة الأمريكية، ضمن مشروع أكبر بدأناه قبل سنوات بهدف «تشريح أمريكا». فكان كتاب «تفكيك أمريكا» الذى صدر عام

١٩٩٨ بقصد تفكيك الأفكار والتجربة الإنسانية الأمريكية (الخطاب والممارسة). ثم كان كتاب «أمريكا الحلم والسياسة: أوراق التغريبة الأمريكية» الذى صدر عام ١٩٩٩، لإبراز تناقضات الحلم والسياسة فى المشروع الأمريكى. ثم قمت بترجمة كتاب البروفيسور والتر أ. ماكدوجال «أرض الميعاد والدولة الصليبية»، حول دور أمريكا فى السياسة العالمية خلال القرنين الماضيين.

آمل فى أن يسهم جهدى هذا فى فهم أمريكا، بما لها من دور عالمى كقوة عظمى أولى، وبما لها وسيكون من تأثير فى لعبة المصائر فى منطقتنا.

رضا هلال

القاهرة ـ مايو ٢٠٠٠

الفصل الأول

المسيـح اليهـودى

«.. لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء .. ما جئت لأنقض بل لأكمل»

(متى ٥ : ١٧)

« .. إن اليـهود هم أبناء الرب ونـحن الضـيوف والـغرباء.... وعلينا أن نرضـى بأن نكون كـالكلاب التـى تأكل مـا يتـسـاقط من فـتـات مـائدة أسـيـادها ، تمامـاً كـالمرأة الكنعانية»

مارتن لوثر

من كتاب «المسيح ولد يهوديا»

ولد يسوع المسيح فى الناصرة من أصل يهودى.

ويضع متى شجرة نسب المسيح على رأس إنجيله، وهى شجرة تضم أربعة عشر جيلا من إبراهيم إلى داود وأربعة عشر جيلا من داود إلى المنفى فى بابل ، وأربعة عشر جيلا من المنفى فى بابل إلى المسيح.

أما لوقا فإنه يعطى المسيح نسبًا يمتد من قبل إبراهيم إلى آدم(*). فيعطى معلومات عن أسلاف إبراهيم حتى آدم، منها ١٩ اسمًا وردت فى العهد القديم بسفر التكوين (الإصحاحات ٤ و٥ و١١).

وتخبرنا الأناجيل أن يسوع الناصرى، كان يذهب إلى الهيكل وأنه حفظ مقاطع كثيرة من الناموس وأنبياء اليهود، وأنه كان يلجأ إليها فى تعاليمه.

ولا تخبرنا الأناجيل عن السنوات الثمانى عشرة اللاحقة التى كان فيها يسوع بين الثانية عشرة والثلاثين «السنوات الصامتة فى الناصرة». ثم كانت معمودية يسوع فى نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان، لتكسر مرحلة الصمت فى الناصرة.

وتقول الأناجيل إن يسوع اعتزل فى الصحراء وراء نهر الأردن أربعين يوما ، جُرِّب خلالها من الشيطان، وانتهت التجربة برفضه التسليم للشيطان فى شهوات العيش والظهور والسلطة (أن يكون ملكا لليهود).

قال يسوع إن تعاليمه تكملة لتعاليم موسى.

وأخذ يسوع الوصايا العشر كما وردت فى التوراة ، ولكنه أعطاها معنى روحانيّا يركز على القلب والجوهر.

(*) وينسب الإنجيلان المسيح إلى داود عن طريق يوسف النجار وإن بطريقتين مختلفتين (متى ١ : ٢ـ ١٧، لوقا ٣ : ٢٣ـ٣٨)، من دون الملاحظة بأن مثل هذا النسب لا يتفق مع القول بولادة يسوع من عذراء.

لقد رأى الشكلية والحرفية متجلية فى اليهود، ولا سيما فى الفريسيين(*). فهم كانوا حرفيين فى فهمهم للناموس والأنبياء، وظنوا أنهم أفضل من الآخرين، وأن الخلاص لهم وحدهم.

لذلك، قال إنه جاء ليكمل لا لينقض، وإن المحبة هى تكملة الناموس. وتضمنت تعاليمه فى «موعظة الجبل» ثورة على الشكلية (متى ٥، ٦، ٧) **«من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوات السموات. فإنى أقول لكم إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات. قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل.. وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم.. فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك.. قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن.. وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه.. أيضا سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك.. وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة: لا بالسماء لأنها كرسى الله، ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه.. ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء.. بل ليكن كلامك نعم نعم، لا لا ومازاد على ذلك فهو من الشرير.. سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك.. وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات.. لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم؟»**.

واستمر يسوع فى ثورته على الشكلية اليهودية:

«إن كل ما يدخل الإنسان من خارج لا يقدر أن ينجسه، لأنه لا يدخل إلى قلبه بل إلى الجوف، ثم يخرج إلى الخلاء.. إن الذى يخرج من الإنسان، ذلك ينجس الإنسان، لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة: زنى، فسق، قتل، سرقة، طمع، خبث، مكر، عهارة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهل.. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان» (مرقس ٧: ١٨ ـ ٢٣).

وبلغت ثورة يسوع على الزيف أشدها، عندما دخل الهيكل مع تلاميذه قائلا، إن بيت أبيه بيت صلاة، فى حين جعله أولئك القوم مغارة لصوص.

(*) طائفة يهودية ظهرت بعد العودة من السبى البابلى، استمسكت بالتوراة ورفضت يسوع وحاربته.

وليؤكد أنه ليس «المسيح السياسى» لليهود ، كان يدعوهم إلى ملكوت الله[1]. وسأله الأحبار : «أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟» فطلب منهم أن يأتوه بدينار. «فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة؟ فقالوا له : لقيصر . **فأجاب يسوع وقال لهم : «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»** (مرقس ١٢ : ١٤ - ١٧). وأعلن أن مملكة الله للجميع . وقال لرؤساء الكهنة وشيوخ الشعب : «**إن العشارين والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله**» (متى ٢١ : ٣١).

إن نشأة المسيح (يسوع) ونشأة المسيحية ، تظهران حقيقتين :

* الأصل اليهودى ليسوع المسيح .
* الأصل اليهودى للديانة المسيحية .

بيد أن تأسيس المسيحية كديانة جديدة ، لم يكتمل فى حياة يسوع ، بل إن الأمر سيستغرق أكثر من قرن ، منذ اللحظة التى غادر فيها المسيح هذه الأرض وحتى منتصف القرن الثانى ، ليحدث تأسيس المسيحية على يد القديس بولس . وخلال تلك الفترة استمرت المسيحية يهودية أو بمعنى آخر : يهودية مسيحية .

فبعد ذهاب المسيح(*) كان العامل الأهم الذى حافظ على كنيسة أورشليم أن الرسل أطاعوا وصايا الناموس اليهودى ولم ينحرفوا عنها ، وتصرفوا كما لو كانوا مذهبا يهوديا جديدا . لكنهم أضافوا نقاطًا غير تقليدية إلى الإيمان اليهودى ، إذ اعتقدوا أن يسوع هو المسيح الذى تكلمت عنه النبوءات التوراتية ، وأنه سيظهر من جديد فى السحاب كابن الإنسان الذى يدين الأحياء والأموات .

كان رئيس جماعة اليهودية المسيحية يعقوب (أخا المسيح)(**) ، وكان معه - فى البداية - القديس بطرس ثم القديس يوحنا . ويمكن اعتبار يعقوب كعمود اليهودية المسيحية الذى

(*) لا بد هنا من الإشارة إلى أن كلا من اليهودية والمسيحية والإسلام لها مسيحها الذى تعتقد به . فاليهود منذ السبى البابلى ينتظرون ظهور «يشوع المسيح» من بيت داود ليعيد الملك إلى شعب إسرائيل . والمسيحيون يعتقدون فى «يسوع المسيح» كابن لله صار إنسانًا ومات على الصليب ليفتدى البشر ، وهو من تنكر له الكهنوت اليهودى فحكم عليه بالموت ، ثم سلِّم إلى السلطات الرومانية لتنفيذ هذا الحكم عليه صلبًا . أما القرآن فلا يتحدث عن يسوع المسيح وإنما عن المسيح عيسى بن مريم الذى أرسل نبيًا إلى بنى إسرائيل وأوتى الكتاب (الإنجيل) ، وهو لم يُقتل ولم يصلب بل توفاه الله ورفعه إليه ، وسيبعث حيًا .

(**) فى إنجيلى متى (١٣ : ٥٥) ومرقس (٦ : ٣) كان ليسوع من الأخوة : يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذا .

ظل ملتزمًا عنيدًا بخط اليهودية المسيحية . وكان أفراد من أسرة المسيح يحتلون مكانة كبيرة فى هذه الكنيسة اليهودية المسيحية فى أورشليم ، حيث خلف يعقوب سيميون وهو ابن كاليوبا (من عائلة المسيح) .

وهناك عدد كبير من الدراسات التى تعود إلى العقود الأخيرة ، تأسست على البحث التاريخى ، وسمحت بالوصول إلى معلومات حديثة عن اليهودية المسيحية . ومنها دراسة الكاردينال دانيلو التى نشرت بمجلة «دراسات» الفرنسية فى ديسمبر ١٩٦٧ ، تحت عنوان «رؤية جديدة للأصول المسيحية واليهودية ـ المسيحية» .

ويورد الكاردنيال دانيلو أن جماعة اليهودية المسيحية تكونت ـ أولا ـ من مجموعة من الحواريين كانت تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها وتفرض الطهارة ومراعاة الراحة يوم السبت .

وكان لتلك الجماعة أناجيل وكتابات مثل «إنجيل العبريين» (الذى يعود إلى جماعة يهودية مسيحية مصرية) ، و«مأثورات كليمنت» ، و«الفضائل الكليمنتية» ، و«نهاية العالم الثانية ليعقوب» .

ولم تكن اليهودية المسيحية سائدة فقط فى أورشليم وفلسطين طيلة القرن الأول للكنيسة ، فقد تطورت البعثة اليهودية المسيحية لتغطى الساحل السورى ـ الفلسطينى من غزة إلى أنطاكيا ووصلت إلى آسيا الصغرى وإلى اليونان ، وكانت روما مركزا لها . ويعتقد الكاردينال دانيلو أن أول تبشير بالأناجيل فى إفريقيا كان يهوديا مسيحيًا .

ومن مفارقات التاريخ ، أن من قاوم نفوذ وانتشار اليهودية المسيحية ، يهودى تحول إلى المسيحية بعدما كان من أكبر مضطهدى المسيحيين الأوائل . ذلك هو شاول الذى أصبح القديس بولس فيما بعد(٢) .

لقد ولد شاول فى بلدة طرسوس من أعمال كليكيا ، وكانت آنذاك من الحواضر الرومانية البارزة ، وتضم جامعة تعلم الفلسفتين الرواقية والأبيقورية . وصارت لشاول معرفة بالأديان الإغريقية والرومانية ، لكنه كان يهوديا فريسيًا ، وقصد أورشليم ليتعلم الناموس فى مجمع أورشليم ، وعندما فر المسيحيون هربا من ملاحقة الفريسيين والصدوقيين(*) إلى دمشق وما وراءها ، طلب شاول من رئيس الكهنة رسائل يحملها إلى

(*) طائفة يهودية ظهرت بعد العودة من السبى البابلى ، وأصبحت جماعة الكهنة «صدوقيم» المتحكمة فى الشعب عن طريق تحكمها فى العبادة .

مجامع دمشق لتلقى القبض على أتباع يسوع وتعيدهم موثقين إلى أورشليم. إلا أنه . . **«وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغتةً أبرق حوله نور من السماء. فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له: شاول، شاول، لماذا تضطهدنى؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذى أنت تضطهده . . فقال وهو مرتعد ومتحير: يارب، ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل» (أعمال الرسل ٩: ٣ـ٦)(*) وهناك اعتمد شاول على يد تلميذه حنانيا، «فكان. . يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق. محققا أن هذا هو المسيح» (أعمال الرسل ٩: ٢٢).**

بعد ذلك، عاد بولس إلى دمشق معلما مسيحيا، ثم صار قائدا مسيحيا فى دمشق وأنطاكيا. وبعد ثلاث سنوات زار بولس أورشليم لمدة أسبوعين، ثم استهل رحلاته التبشيرية وأنشأ جماعات فى قبرص ومدن آسيا الصغرى وفى مقدونيا والمدن اليونانية مثل أثينا وكورنثوس وأفسس وأيونيا.

لقد ركز بولس تعاليمه فى فكرتين أساسيتين: ألوهية المسيح، وأممية المسيحية (عدم قصرها على اليهود). فالمسيح هو الرب متجسدا، تواضع ونزل من السماء وأخذ هيئة إنسان ومات على الصليب لكي يحقق الانتصار على الموت بقيامته. من يضع إيمانه ورجاءه فى المسيح يغدو إنسانا جديدا، أيا من كان. «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه، حيث ليس يونانى ويهودى، ختان وغرلة، بربرى، سكيثى، عبد، حر. بل المسيح الكل وفى الكل» (كولوسى ٣: ١٠ ـ ١١).

وثار بولس على الفروض الشكلية فى اليهودية واليهودية المسيحية. «فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئا ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة» (غلاطية ٦: ١٥). واعتبر بولس أن الكنيسة ليست المعبد، وإنما الكنيسة هى جسد المسيح. والكنيسة هى الأفراد الذين ساوت بينهم معمودية الإيمان بالمسيح حتى صار اليهودى واليونانى، العبد والحر، الذكر والأنثى حرّاً. (رسالته الأولى لأهل كورنثوس).

وقد اصطدم بولس بالجماعة اليهودية المسيحية التى انفصلت عنه تماما بعد مجمع أورشليم المسكونى (٤٩م) الذى أحل من يدخلون المسيحية من الوثنيين من الاختتان ومن

(*) بعد هذه الرؤيا، توجه بولس إلى العربية ليتعلم الحكمة كما جاء فى الرسالة إلى مؤمنى غلاطية (١: ١٥ ـ ١٨)، والمقصود بالعربية هنا جبل سيناء.

تطبيق الفروض اليهودية. إذ رفض الكثير من اليهود المسيحيين ذلك التنازل. واصطرع بولس واليهود المسيحيون بسبب الذين أتوا إلى المسيحية (أحداث أنطاكيا عام ٤٩م)، إذ اعتبر بولس أن الاختتان ومراعاة الراحة يوم السبت وديانة المعبد كانت أموراً بالية حتى بالنسبة لليهود أنفسهم، وأنه يجب على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسى والدينى لليهودية حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود.

غير أن اليهود المسيحيين ظلوا يهودا مخلصين، واعتبروا بولس كخائن وكعدو. وظلت اليهودية المسيحية تمثل حتى عام ٧٠م غالبية الكنيسة.

وتشير أعمال الرسل إشارة دائمة إلى أعداء بولس وإلى صراع معهم أينما ذهب، بغلاطية وكورنثوس وكولوسى وروما وأنطاكيا. وكانت السيادة فى ذلك الصراع لليهود المسيحيين، حتى انقلب الموقف مع سقوط أورشليم عام ٧٠م، إذ أصبح اليهود منبوذين فى الإمبراطورية. ونحا المسيحيون إلى الانفصال عنهم، وساد المسيحيون الهلّينيون. وبذلك انفصلت المسيحية اجتماعيّا وسياسيّا عن اليهودية لتكون مايعرف بالشعب الثالث. وحاز بولس النصر بعد وفاته ليعتبر المؤسس الثانى للمسيحية بعد يسوع.

وبرغم ذلك، ظلت اليهودية المسيحية هى السائدة ثقافيا حتى نهاية التمرد اليهودى عام ١٤٠م.

وبعد أن تحقق النصر النهائى للمسيحية البولسية، ظل اليهود المسيحيون تحت اسم «المتهودين» Juduisants. وبعد انقطاعهم عن الكنيسة الكبرى التى تحررت تدريجيا من روابطها اليهودية، رحل اليهود المسيحيون إلى الغرب، ووجد بعضهم فى الشرق خاصة فى فلسطين وماوراء الأردن وسوريا ومابين النهرين، من القرن الثالث إلى القرن الخامس، ودخل بعضهم الكنيسة الكبرى مع الاحتفاظ بخلفيته السامية.

لقد أدى انتصار المسيحية البولسية، إلى ظهور روح جديدة فى القرنين الثالث والرابع لم يكن بولس نفسه يتوقعها. إذ اعتبرت الكنيسة نفسها أنها إسرائيل الجديدة وأنها حلت محل شعب الله المختار (اليهود)، وبعد أن كانت الكنيسة جزءاً من إسرائيل، يهودية التقاليد، أصبحت كنيسة الأمميين وتحولت إلى الهلّينية: فلسفة وحضارة الأممين.

واعتبرت الكنيسة سقوط أورشليم وانهيار دولة اليهود، عقاباً من الله لليهود بسبب صلبهم للمسيح، وأنه بسبب عدم إيمان اليهود وخيانتهم، فإنهم يحملون ذنبا جماعيا

جلعهم دائما موضع لعنة الله. وأصبحت الكنيسة تنسب لنفسها كل البركات التى كانت من قبل تنسب لشعب إسرائيل.

وعندما قرر قسطنطين جعل المسيحية الدين الرسمى للدولة الرومانية، أصبح اليهود مضطهدين فى أرجاء الإمبراطورية. وفى عام ٣٣٩، أصبح التحول إلى اليهودية جريمة يعاقب عليها القانون، وأدانت الكنيسة صوم المسيحيين مع اليهود، باعتباره هرطقة[٣]. وخلال العصور الوسطى، نبذت الحضارة المسيحية اليهود، وفرضت عليهم العيش فى جيوب منعزلة فى المدن، وارتداء ملابس مختلفة وقبعات مميزة. ووصف اليهود بأنهم «الشياطين» و «قتلة المسيح» وبأن لهم «رائحة خاصة»، واتهموا بأنهم يقتلون الأطفال المسيحيين لاستخدام دمائهم، بدلا من النبيذ، فى فطيرة عيد الفصح.

وعندما أعلن البابا إريان الثانى بدء الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٥، لتخليص القدس من أيدى المسلمين، أصبح اليهود «الخونة» محل اضطهاد من الصليبيين الذين قتلوا آلافا من اليهود الذين رفضوا المعمودية (التحول إلى المسيحية)[٤].

ومنذ الحملة الصليبية الأولى، أصبح هناك ضغط متزايد فى المجتمعات الأوروبية المسيحية لطرد اليهود منها أو فرض القيود على أنشطة التجمعات اليهودية بها. فاليهود كانوا قد أقاموا مبكراً داخل حدود الإمبراطورية الرومانية، وأسسوا تجمعات ومؤسسات فى أوروپا، بما فى ذلك مراكز دينية مهمة على نحو ما حدث فى فرنسا[٥].

وبنهاية القرن الحادى عشر، دُمرت التجمعات اليهودية في أوروپا، إذ وجه لليهود اللوم على كل أذى لحق بالمسيحية، واتهموا بكل المساوئ الاجتماعية وبالمسئولية عن كل وباء، وبشرب الدم المسيحى فى عيد الفصح اليهودى. وقاد كل ذلك إلى طرد اليهود من بريطانيا عام ١٢٩٠، وحرق التلمود فى پاريس فى منتصف القرن الثالث عشر، حتى كان طرد اليهود من فرنسا فى نهاية القرن الرابع عشر.

وبُذلت جهود ضخمة، ناجحة نسبيا، لتحويل اليهود عن اليهودية، فى إسپانيا فى البداية ثم فى البرتغال، أما اليهود الذين لم يتحولوا إلى المسيحية، فى شبه جزيرة أيبريا، فقد طردوا من إسپانيا عام ١٤٩٢، ومن البرتغال عام ١٤٩٧.

وفى ألمانيا وايطاليا، حوصر اليهود فى «الجيتو» للحد من اتصالهم بالمسيحيين، كما منعوا من ممارسة أنشطة ووظائف كثيرة.

وبالرغم من كل هذا العداء المتزايد من جانب العالم المسيحى فى أوروبا تجاه اليهود باعتبارهم أعداء المسيح وخطرا داهما على حياة وروح المسيحية والمسيحيين ، فإن تلك الفترة شهدت إيناع اليهودية المسيحية والمسيحية اليهودية . إذ انخرط فلاسفة ومفكرو العالم المسيحى فى الأفكار والاهتمامات اليهودية ، ولعب اليهود المتحولون إلى المسيحية دورا مهمًا فى الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية فى أوروبا المسيحية(٦) .

فالصوفية اليهودية ، كما عُبِّر عنها فى القبالا (*) ، والرؤى الفلسفية اليهودية ، كما عبر عنها فلاسفة مثل موسى بن ميمون ، أصبحت ذات أهمية قصوى للمسيحيين .

واحتل شراح الكتاب المقدس (**) فى العصور الوسطى أهمية كبرى لدى المثقفين المسيحيين ، وأصبحت هناك حاجة لدارسى العبرية لشرح النص المقدس بلغاته الأصلية ، وأصبح اليهود واليهود المتحولون إلى المسيحية مستشارين لرجال اللاهوت وسلطات الكنيسة والدارسين والفنانين ، وخصوصا ، فى إيطاليا وألمانيا .

وأصبحت الأفكار الدينية اليهودية ضمن النقاش العام بين حركة الإصلاح ومناوئيها ، خصوصا فيما يتعلق بطبيعة المسيح وطبيعة المسيحية وحقيقة الرسالة الإلهية . فمن كانت تساورهم الشكوك حول مذهب التثليث ، حاجوا بطبيعة الإله فى اليهودية وطبيعة المسيح المنتظر فى العهد القديم .

بيد أن الدور المهم فى إيناع اليهودية المسيحية والمسيحية اليهودية ، اضطلع به اليهود المتحولون إلى المسيحية فى إسبانيا خلال الفترة ١٣٩١ ـ ١٤٩٢ وفى البرتغال عام ١٤٩٧ . إذ كان لهم أتباع يقدرون بمئات الآلاف ممن يسمون «المسيحيين الجدد» .

(*) حركة صوفية يهودية ظهرت فى القرن الثانى عشر ، اعتبرت أن القوانين التى وردت بالكتابات التوراتية ، إذا ما فهمت فى دلالتها وليس فى حرفيتها ، تحتوى على الأسرار المقدسة لعالم البشر والعالم الروحى . وتطورت القبالا لتصبح فلسفة تتعلق بالأسرار الروحية والرموز السحرية .

(**) يتألف الكتاب المقدس من «العهد القديم» و«العهد الجديد» . و« العهد القديم» يتألف من أسفار التوراة الخمسة (التكوين ، الخروج ، اللاويين ، العدد ، التثنية ، وجميعها ينسب إلى موسى) ، وأسفار الأنبياء وهى واحد وعشرين ، وأسفار الكتب وهى ثلاثة عشر .
أما «العهد الجديد» فيتألف من أربعة أسفار تسمى الأناجيل (متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا) ، يليها سفر «أعمال الرسل» ثم «الرسائل» ومجموعها واحد وعشرون رسالة ، ثلاث عشرة منها بقلم بولس الرسول ، وأخيرا سفر «رؤيا يوحنا اللاهوتى» .
وفى المفهوم اللاهوتى المسيحى ، يمثل العهد القديم العهد بين الله وشعبه المختار (بنى إسرائيل) ، أما العهد الجديد فهو بين الله والعالم أجمع بموت يسوع المسيح على الصليب ليفدى البشر .

وأولئك المسيحيون الجدد الذين تحولوا إلى المسيحية بالقوة المادية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، تباينت استجاباتهم كيهود مسيحيين.

البعض كانوا مسيحيين من الخارج ولكن كانوا يهودا من الداخل مثل «يهود المارانو».

والبعض الآخر، كانوا مسيحيين جزئيا، بمعنى أنهم تخلوا عن جانب من المعتقدات والطقوس المسيحية. وآخرون، قاموا بعملية «توفيق» بين المعتقدات والممارسات المسيحية ومعتقداتهم اليهودية الأصلية.

وبسبب محاكم التفتيش والتعذيب فى شبه جزيرة أيبريا، اضطر اليهود إلى الهرب إلى ولايات الإمبراطورية العثمانية وبعض المدن الإيطالية وبعض الأراضى المسيحية، كمسيحيين جدد فارين من الاعتقال والاضطهاد.

وبالتأكيد، فإن المسيحيين الجدد، قد حملوا معهم التعاليم والأفكار اليهودية إلى البلاد التى هربوا إليها. كما أنه كان من بين أولئك المسيحيين الجدد، بعضهم الذى دمج التعاليم والأفكار اليهودية مع الأفكار المسيحية.

وبذلك، فقد لعبوا دورًا مهمّا فى دار المسيحية الأوروبية خلال مرحلة الإصلاح. فالمسيحيون الجدد، كانوا حاضرين فى التجمعات المسيحية الكاثوليكية الجديدة مثل «اليسوعية».

وكان من المسيحيين الجدد، من لهم تأثير كبير فى حركة النهضة الأوروبية وفى المفكرين الأوروبيين الليبراليين، مثل چون لويس فيف[٧].

وفى داخل شبه جزيرة أيبريا، فإن المسيحيين الجدد الذين ألفوا بين المعتقدات والممارسات المسيحية ورؤاهم اليهودية، أصبحوا يدافعون عن الممارسات والرؤى التى كانت تعتبرها محاكم التفتيش هرطقة، فأصبحت محل ترحيب من المسيحيين.

بيد أن الدور التاريخى الذى لعبه المسيحيون اليهود أو اليهود المسيحيون، يتمثل فى أنهم مع بداية القرن السادس عشر، أدخلوا ضمن السجالات الدينية، الاعتقاد بأن العناية الإلهية متضمنة فى حضور الرب فى التاريخ الإنسانى، وأنه سرعان ما سيبدأ التاريخ الإلهى بمجىء المسيح مع بداية الألف عام السعيدة «الألفية». فظهرت بين اللاهوتيين والمفكرين الدينيين، تفسيرات جديدة لسفر دانيال (العهد القديم) وسفر الرؤيا (العهد الجديد)، تتصور تحول اليهود إلى المسيحية، وعودة ظهور القبائل الإسرائيلية المفقودة،

باعتبارها الخطوات الأخيرة لنهاية التاريخ الإنسانى. ومن ثم أصبحت الأحداث العظمى المرتبطة بذلك، هى عودة اليهود المتحولين إلى أرض صهيون، وإعادة بناء المعبد، وإعادة تأسيس الحكم الإلهى للأرض من أورشليم.

ولذلك، رأى المسيحيون اليهود الذين يعتقدون بقرب الألفية، أن اليهود الموجودين شركاء لاغنى عنهم فى الأحداث العظمى المقبلة قبل مجىء المسيح(٨).

وفى هذا الإطار، استعد الفرنسيسكان الإصلاحيون فى إسپانيا، مع بداية القرن السادس عشر - بقيادة الكاردينال زيمنس - للألفية بتعليم العبرية والآرامية فى جامعة آلاكالا التى كانت قد أنشئت حديثًا. كما جرى تنظيم وإعادة كتابة الكتاب المقدس. **وراج مشروع البحث عن قبائل إسرائيل المفقودة فى العالم الجديد (أمريكا)، والحفاظ عليها، وتحويلها إلى المسيحية النقية، بانتظار المجىء الثانى للمسيح.**

وقبل سنوات معدودة، كان كريستوفر كولمبس قد اكتشف أمريكا، بدافع اعتقاد بأن رحلاته هى جزء من سيناريو ألفى - مسيحانى، سوف يقود فى النهاية إلى تحرير القدس من المسلمين (الكفار) وإعادة بناء المعبد. وذكر فى مؤلفه «كتاب النبوءات» أنه قال للملكة إيزابيلا، إنه سوف يستخدم الذهب الذى يجده فى العالم الجديد لإعادة بناء الهيكل لكى يكون مركز العالم و«حلمة» الكرة الأرضية.

ليس هذا فحسب، بل إن دراسات تاريخية، أوضحت أن يهود المارانو (اليهود المسيحيين فى إسپانيا) هم الذين تبنوا مشروع كولمبس ودعموه بالتمويل والخرائط، وأنهم (يهود المارانوا) كانوا من أوائل المستوطنين فى أمريكا(٩).

بيد أن الانطلاقة الكبرى للمسيحية اليهودية، ترجع فى الأصل إلى حركة الإصلاح الدينى فى أوروپا فى القرن السادس عشر. وعادة ما توصف حركة الإصلاح الدينى بأنها بعث (عبرى) أو (يهودى)، تولدت عنه وجهة نظر جديدة عن الماضى والحاضر اليهودى بل والمستقبل اليهودى بشكل خاص، بعد أن كانت أوروپا قبل عهد الإصلاح الدينى تعتبر اليهود «الشعب المختار» فقط للعنة، بل إنها كانت تعتبر اليهود مارقين وقتلة المسيح. وتشير المؤرخة اليهودية باربرا توخمان، فى كتابها «الكتاب المقدس والسيف» إلى العداء الشائع لليهود فى أوروپا الذى بلغ أشده إبان الحملات الصليبية(١٠).

لقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تتمسك باعتقادها بأن مايسمى الأمة اليهودية قد انتهى، وأن الرب طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقابا على صلب المسيح. وكانت الكنيسة

الكاثوليكية تعتقد أيضا أن النبوءات التى تتحدث عن العودة تشير إلى العودة من بابل، وأن هذه العودة قد حدثت بالفعل على يد الإمبراطور الفارسى قورش. وذلك الاعتقاد كان رؤية القديس أوغسطين(*) الذى اعتبر أن القدس مدينة العهد الجديد وأن فلسطين هى إرث المسيح للمسيحيين. غير أن حركة الإصلاح البروتستانتى تنكرت لهذا الاعتقاد الكاثوليكى، وروجت لفكرة أن اليهود أمة مختارة مفضلة. وأصبح العهد القديم المرجع الأعلى للاعتقاد البروتستانتى، ومصدر المسيحية النقية الثابت، وجزءا من طقوس العبادات والصلوات فى الكنائس، وكتابا للتاريخ عن الأراضى المقدسة والأنبياء، والنبوءات المتعلقة بنهاية الزمان والعصر الألفى السعيد مع المجىء الثانى للمسيح[١١].

ويعتبر مارتن لوثر(**) ـ مؤسس وزعيم حركة الإصلاح البروتستانتى ـ مسئولا إلى حد بعيد عن ظهور مناخ القرن السادس عشر الروحى والدينى، الذى أوجد أرضا خصبة لانتشار المسيحية اليهودية.

لقد كتب لوثر، عام ١٥٢٣ كتابه «المسيح ولد يهوديًا»، الذى أعيد طبعه سبع مرات فى العام نفسه، وشرح فيه المواقف المؤيدة لليهودية، وأدان اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لليهود محتجا بأن المسيحيين واليهود ينحدرون من أصل واحد.

وقال فيه: **«إن الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء الرب ونحن الضيوف والغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التى تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها، تماما كالمرأة الكنعانية»**[١٢].

وكان لوثر يؤمن بأن نبوءة التوراة حول انقاذ كل إسرائيل كأمة ستتحقق. وكان يلوم البابوية لتحريفها المسيحية وصدها بذلك اليهود عن اعتناقها.

(*) لاهوتى وفيلسوف مسيحى وأحد كبار آباء الكنيسة الكاثوليكية. ولد فى تاغشت وتعرف اليوم بسوق الأحراس فى شرقى الجزائر سنة ٣٥٤م وتوفى فى ٤٣٠م.

(**) كاهن شق كنيسة الغرب إلى كاثوليكية وبروتستانتية. ولد فى مقاطعة ساكسون الألمانية عام ١٤٨٣م.. رسم كاهنا وعين أستاذا فى جامعة ويتنبرج عام ١٥٠٧. مقت البابوية بعد أن زار روما. وفى خريف ١٥١٧ علق على باب الكنيسة مقولاته الخمس والتسعين الشهيرة، التى تنتقد الانحرافات الكنسية لاسيما صكوك الغفران. وطالب بإصلاح الكنيسة بالاحتكام إلى الكتاب المقدس معتبراً أن الكنيسة ليست مؤسسة بل هى جماعة المؤمنين، وأن السلطة الدينية هى للكتاب المقدس، وأن كل مؤمن لديه الجدارة التى تجعل منه «كاهناً» يفهم بمفرده الكتاب المقدس دون وصاية كهنوتية.

لقد كان هدف لوثر النهائى هو تحويل اليهود إلى البروتستانتية، ولكنهم بدلا من أن يتحولوا إلى المسيحية، كانوا يجمعون الأنصار لتهويد المسيحية. ولذلك نجده بعد ذلك يعبر عن كرهه لليهود فى كتابه «ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم»، الذى ألفه عام ١٥٤٤، وطالب فيه بطردهم من ألمانيا بقوله:

«من الذى يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم فى يهودا؟ لا أحد. إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون إليه لرحلتهم، لا لشىء إلا لنتخلص منهم، إنهم عبء ثقيل علينا وهم بلاء وجودنا»(١٣).

وهكذا، فإن حركة الإصلاح البروتستانتى، لما يئست من تحويل اليهود إلى البروتستانتية، تبنت الدعوة لعودة اليهود إلى فلسطين للتخلص منهم. وكان فى ذلك إعلان نشأة المسيحية الصهيونية.

وبرغم ذلك، فإن حركة الإصلاح البروتستانتى التى أطلقها لوثر، مثلت ثورة على الاعتقاد الكاثوليكى، وبشرت بعهد جديد من التسامح المسيحى ـ اليهودى.

وبعد انفصال الملك هنرى الثامن عن كنيسة روما، اقتحمت حركة الإصلاح البروتستانتى بريطانيا، وتمركزت فيها بالأمر الملكى الذى أصدره عام ١٥٣٨ إلى كل كنائس إنجلترا بإنهاء الوصاية الكهنوتية على الكتاب المقدس، ليحل هنرى الثامن محل بابا روما رئيسا أعلى لكنيسة إنجلترا، وليوجد بذلك البيئة الملائمة لانتشار المسيحية اليهودية.

وتقول باربرا توخمان فى كتابها «الكتاب المقدس والسيف»، **إن ملك إنجلترا حينما أمر عام ١٥٣٨، بترجمة التوراة للغة الإنجليزية ونشرها وإتاحتها للقراءة من قبل العامة، كان بذلك يضع اليهودية، تاريخا وعادات وقوانين، لتكون جزءا من الثقافة الإنجليزية، ولتصبح ذات تأثير هائل على هذه الثقافة على مدى القرون الثلاثة التالية. وصار يطلق على التوراة المترجمة التوراة الوطنية لإنجلترا، والتى أصبح لها من التأثير فى روح الحياة الإنجليزية أكثر من أى كتاب آخر، وذلك ما جعل قصص التاريخ اليهودى المادة الرئيسية فى الثقافة الإنجليزية والمعرفة التاريخية للإنجليز.**

وتستنتج توخمان، أن حكايات العهد القديم أصبحت زادا يوميا للعقل البروتستانتى، حتى بات المؤمنون من تكرار قراءاتهم لها يحفظونها عن ظهر قلب، حتى إن المسيح «يسوع الناصرى» لم يعد المسيح بن مريم بل مجرد نبى آخر من زمرة الأنبياء اليهود.

وتصف المؤرخة اليهودية ذلك، بأنه «غزو عبرانى»، كما تسميه بمسمى لوثة العهد القديم(١٤).

غير أن الغزو العبرانى للمسيحية ، وصل ذروته فى عهد الثورة الپيوريتانية فى إنجلترا فى القرن السابع عشر.

فالپيوريتانية مثلت أشد أشكال البروتستانتية تطرفا، باعتبارها كالڤينية. ولذلك غالت فى إجلال الكتاب المقدس مع إعطاء الأولوية للعهد القديم سيرا على تعاليم چون كالڤين. **وقد وجد الپيوريتانيون فى العهد القديم «المثال السماوى للحكومة الوطنية والدلالة الواضحة على القوانين التى يجب على البشر اتباعها، وإذا عصوها فالعقوبة ماثلة للعيان وآنية» . .** بل كان من البپوريتانيين من طالبوا الحكومة بأن تعلن التوراة دستورا للقانون الإنجليزى. واستعاض البيوريتانيون بالعادات اليهودية عن المبادئ المسيحية، بل إن بعضهم كان يعتبر اليهودية اللغة الوحيدة للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس. وجرى تعميد الأطفال فى الكنائس بأسماء عبرية بدلا من أسماء القديسين المسيحيين، كما تغير يوم الاحتفال الدينى بقيامة المسيح إلى يوم السبت اليهودى(١٥).

وكان طبيعيا أن يؤدى هذا الغزو العبرانى للمسيحية البروتستانتية إلى إطلاق حركة مسيحية صهيونية ، تعتمد على نبوءات العهد القديم بعودة اليهود إلى فلسطين.

ففى منتصف عام ١٦٠٠ ، بدأ البروتستانت كتابة معاهدات تعلن بأن على جميع اليهود مغادرة أوروبا إلى فلسطين. وأعلن أوليڤر كرومويل بصفته راعى الكومنولث البريطانى، الذى كان قد أنشئ حديثا، أن الوجود اليهودى فى فلسطين هو الذى يمهد للمجىء الثانى للمسيح.

وفى عام ١٦٢١ ، ظهر كتاب هنرى فنش، الذى يعد حجة القانون فى عصره، تحت عنوان **«البعث العالمى الكبير أو عودة اليهود ومعهم كل أمم وممالك الأرض إلى دين المسيح»**. ورفض فنش فى كتابه ، بشكل قاطع، التفسير المجازى للقديس أوغسطين للنبوءات التوراتية حول إعادة اليهود إلى إسرائيل، وهو التفسير الذى قال بعودة اليهود إلى إسرائيل الروحية، أى الكنيسة المسيحية وليس إلى أرض إسرائيل.

وجاء فى الكتاب :

«حيث تذكر إسرائيل ويهودا وصهيون وأورشليم فى الكتاب المقدس، فإن الروح القدس لاتعنى إسرائيل الروحية أو كنيسة الرب التى تتكون من المسيحيين أو اليهود أو

منهما معا، ولكنها تعنى إسرائيل التى انحدرت من صُلب يعقوب. وينطبق الشئ نفسه على عودتهم لأرضهم وقواعدهم القديمة وانتصارهم على أعدائهم . . سيقيمون الكنيسة المجيدة فى أرض يهودا نفسها . . هذه التعبيرات وأمثالها ليست مجازات وأقوال للرب ولكنها تعنى اليهود فعلا وقولا[١٦]».

وفى عام ١٦٤٩ ، أرسل إنجليزيان پيوريتانيان مقيمان فى أمستردام هما چوانا وإينزر كارتزايت، استرحاما للحكومة الإنجليزية ، جاء فيه : **ليكن شعب إنجلترا وسكان الأراضى الواطئة، أول من يحمل أبناء وبنات إسرائيل على سفنهم إلى الأرض التى وعد بها أجدادهم إبراهيم وإسحق ويعقوب لتكون إرثهم الأبدى[١٧]** .

لقد اعتبر اللاهوتيون الپروتستانت، مع بداية القرن السابع عشر ـ خاصة فى إنجلترا وسكوتلندا وألمانيا وهولندا ـ أن الأحداث الرؤيوية العظمى، ستبدأ بين عامى ١٦٦٠ و١٦٦٥ ؛ إذ رأوا أن تلك الأحداث ستبدأ بعد ١٢٦٠ عام من سقوط الإمبراطورية الرومانية (عام ٤٠٠م)، وأن التاريخ الإنسانى قد قارب على النهاية، ومن ثم فإن من واجب الدول المسيحية أن تستعد لتلك الأحداث العظمى. كما قرأ أنصار الميللية، الأحداث المحيطة بهم فى ضوء النبوءات التوراتية. فكانت أحداث الإصلاح الدينى فى شمالى أوروپا، وهزيمة الأرمادا، ونجاح التمرد الألمانى، والانتصارات الپروتستانتية خصوصا انتصار الملك السويدى جوستافز أدولفز فى حرب الثلاثين عامًا، ووحدة إسكوتلندا وإنجلترا، هى أحداث ما قبل نهاية التاريخ الإنسانى عند الميلليين.

وانعكس كل ذلك، فى إعادة الاعتبار لليهود من منطلق دورهم المركزى فى خطة الرب لنهاية التاريخ.

فإنجلترا، التى لم تكن تسمح بوجود قانونى لليهود آنذاك، اعتبرت نفسها إسرائيل الجديدة. ورأى عديد من القادة الپيوريتانيين لإنجلترا مهمة مقدسة فى استعادة اليهود إلى شواطئها، وقيادتهم إلى التحول للمسيحية النقية التى اتبعت من أصولها، كمقابل للمسيحية الزائفة التى تروج لها كنيسة روما.

واعتبرت أقطار أوروپية أخرى أن انتصاراتها هى جزء من الخطة الإلهية لنهاية التاريخ الإنسانى، وأن الأحداث الجارية آنذاك، هى خطوات باتجاه الألفية والمجىء الثانى للمسيح.

فأتباع الميللية فى فرنسا، عملوا باتجاه إعادة اليهود إلى فرنسا وتحويلهم إلى المسيحية

حتى يقودهم ملك فرنسا إلى أورشليم ثم يجىء المسيح ليحكم العالم من هناك (أورشليم) ومعه ملك فرنسا كوصى على العرش!

وكانت النسخة البرتغالية من سيناريو الميللية، التى وضعها اليسوعى أنطونيو دى فييرا، تتضمن أن اليهود سيعودون إلى البرتغال وأن المسيح سيعود بهم إلى البرتغال لإصلاحهم ثم يأخذهم إلى الأرض المقدسة!

وهكذا، أصبحت المسيحانية «المجىء الثانى للمسيح» مع الميللية (الألف عام) السعيدة، جزءا من تصورات الأمم الأوروپية، لنفسها ولمصيرها. وفى كل تلك الصور والمصائر، كان لليهود(المتحولين إلى المسيحية أو غير المتحولين) دور حيوى فى خطة الرب لنهاية التاريخ الإنسانى وبدء التاريخ الإلهى مع مجىء المسيح[١٨].

وأدى انتشار الاعتقاد بالمسيحانية والألفية، إلى تزايد الرجوع إلى التعاليم اليهودية، خصوصا القبالا، فى فهم الرسالة الإلهية، وللتحقق من أن نهاية العالم قد أصبحت فى الأفق.

وفى هذا الإطار، لم يكن من المدهش أن تنطلق المسيحية اليهودية واليهودية المسيحية كنظريات وممارسات.

فالمسيحيون قد ربطوا توقعاتهم بتوقعات اليهود، خصوصا، مع ذيوع تنبؤات ظهور المسيح فى عام ١٦٤٨ ثم عام ١٦٦٦، بناءً على حسابات مستوحاة من القبالا اليهودية.

ورجع اللاهوتيون المسيحيون إلى النصوص اليهودية ليعرفوا على وجه الدقة ما يفترض أن يحدث عندما يعود المسيح كقائد سياسى. فاليهود توقعوا ومازالوا يتوقعون المسيح السياسى. كما حاول المسيحيون أن يعرفوا من اليهود، أى شاكلة كان الهيكل عليها، حتى يعيدوا بناءه كما كان.

وعاد المسيحيون البروتستانت لدراسة تعاليم العهد القديم حتى وصفوا بـ «المتهودين» بسبب معتقداتهم أحيانا، وبسبب قيامهم بإعادة تكييف الشعائر اليهودية مع المسيحية فى أحيان أخرى. إذ قام بعض المتهودين بإدخال أشكال يهودية داخل المسيحية أو بتعديل اعتقادات مسيحية لتصبح متوافقة مع اليهودية مثل ألوهية المسيح أو عقيدة التثليث أو طبيعة الرب[١٩].

وكان بعض دعاة المسيحية اليهودية من اليهود. وكان أبرزهم خلال القرن السابع عشر منسى بن إسرائيل كبير حاخامات أمستردام. وقد ربط كتابه «أمل إسرائيل» بذكاء بين

المسيحية اليپوريتانية الإنجليزية والمسيحية اليهودية ، كما ربط بين التفكير اللاهوتى والسياسة العملية . وألف منسى بين التصورات اليپوريتانية عن نهاية العالم ومجىء المسيح وتصوراته اليهودية . وروج لإعادة السماح لليهود بدخول إنجلترا كخطوة فى اتجاه أن تقوم إنجلترا بإعادة توطينهم النهائى فى فلسطين. وكان لكتابه «أمل إسرائيل» ردة فعل متحمسة لإعادة اليهود إلى إنجلترا ثم فلسطين، إذ راجت الترجمة الإنجليزية للكتاب ، ونفدت ثلاث طبعات منه قبل أن تطأ قدم منسى أرض إنجلترا عام ١٦٥٥ . وكان لمنسى تأثير كبيرعلى أوليڤر كرومويل رئيس الكومنولث البپوريتانى (١٦٤٩ ـ ١٦٥٨) عندما وافق على دخول اليهود إنجلترا كمقدمة لإعادتهم إلى فلسطين.

لقد أدى انتشار الاعتقاد بـ«الميللية» و «عودة المسيح» فى خضم أحداث القرن السابع عشر ، إلى صعود تيار المسيحية اليهودية ، وبالتالى ، إعلاء فكرة بعث إسرائيل فى الوسط الفلسفى والأدبى فى أوروپا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

فقال چون لوك ، واضع النظرية الليبرالية ، فى كتابه «تعليقات على رسائل القديس بولس» : «إن الرب قادر على جمع اليهود فى كيان واحد . . وجعلهم فى وضع مزدهر فى وطنهم »[٢١] .

وتوصل إسحق نيوتن ، مكتشف قانون الجاذبية ، فى كتابه «ملاحظات حول نبوءات دانيال ورؤيا القديس يوحنا» ـ الذى نشر بعد خمس سنوات من وفاته ـ إلى «أن اليهود سيعودون إلى وطنهم . . لا أدرى كيف سيتم ذلك ، ولنترك الزمن يفسره» . وذهب إلى أبعد من ذلك حين حاول أن يضع جدولا زمنيا للأحداث التى تفضى إلى العودة ، وتوقع تدخل قوة أرضية من أجل إعادة اليهود المشتتين.

وچوزيف بريستلى ، الكيميائى الذى اكتشف الأوكسيچين ، كان شديد الإيمان برسالة الشعب اليهودى المسيحية . فقد اقتنع بأن اليهودية والمسيحية تكمل كل منهما الأخرى. ولذلك دعا اليهود للاعتراف بأن يسوع هو المسيح المنتظر . وخاطبهم قائلا «إنه دعا إلى أن يضع إله السماء ، إله ابراهيم وإسحق ويعقوب الذى نعبده نحن المسيحيين كما تعبدونه أنتم ، حدّا لمعاناتكم وأن يجمعكم يا أكثر أمم الأرض شهرة»[٢٣] .

وچان چاك روسو ، فيلسوف العقد الاجتماعى ، جاء فى كتابه «إميل» عام ١٧٦٢ : «لن نعرف الدوافع الداخلية لليهود أبدا حتى تكون لهم دولتهم الحرة ومدارسهم وجامعاتهم»[٢٤] .

وكتب بليز باسكال: إن إسرائيل هى البشير الرمزى للمسيح المنتظر، وعبر عن احترامه الشديد لإنجازات اليهود الأمة الأولى وتمسكهم الصادق بدينهم[٢٥].

ووصف إيمانويل كانت اليهود بأنهم «الفلسطينيون الذين يعيشون بيننا»[٢٦].

وتغلغلت اليهودية المسيحية فى أدب القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

فتحدث چون ملتون، فى قصيدته الشهيرة «الفردوس المستعاد»، عن عودة إسرائيل:

«لعل الرب الذى يعرف الوقت المناسب جيدا سيذكر أحفاد إبراهيم، وسيعيدهم نادمين وصادقين، وسيشق لهم البحر وهم عائدون مسرعين جزلين إلى وطنهم كما شق البحر الأحمر ونهر الأردن، عندما عاد آباؤهم للأرض الموعودة.. إننى أتركهم لعنايته وللزمن الذى يختاره»[٢٧].

والشاعر ألكسندر بوب فى قصيدته «المسيح» تحدث عن المملكة اليهودية المستعادة فى فلسطين، وعن أورشليم الجديدة المأهولة باليهود العائدين[٢٨].

وقرب نهاية القرن الثامن عشر، خاطب الشاعر ويليام بليك اليهود بأبيات قال فيها:

«استيقظى يا إنجلترا.. استيقظى استيقظى. فأختك أورشليم تناديك. لماذا ينام هؤلاء المؤمنون كالأموات ويغلقونها عن جدرانك القديمة»[٢٩].

وكتب الشاعر الألمانى جوتهولد لسنج روايته «ناثان الحكيم» عام ١٧٧٩، التى تدور أحداثها فى أورشليم موطن بطل الرواية اليهودى ناثان، فى فترة الحملة الصليبية الثالثة فى القرن الثانى عشر، وتصور صلاح الدين الأيوبى على أنه الحاكم المسلم القاسى التافه الذى احتل القدس، وتعلى قدر ناثان اليهودى الحكيم[٣٠].

وكتب اللورد بايرون مجموعته الشعرية «الألحان العبرية» عام ١٨١٥، وقال فى فاتحة أشهر قصائدها «ابك من أجل هؤلاء»:

أيتها القبيلة كثيرة التجوال وذات الصدر المرهف.. كيف ستستقرين وتشعرين بالراحة؟

إن لليمامة عشها، وللثعلب وكره

وللبشرية وطنها.. أما إسرائيل فليس لها إلا القبر[٣١].

وكتب روبرت براوننج قصيدته «يوم الصليب المقدس» عام ١٨٥٥ ، لتبدو فيها الأفكار اليهودية أكثر مما تبدو فى أى شعر سابق له ، ويقول فيها :

سيرحم الله يعقوب

وسيرى إسرائيل فى حماه

عندما ترى يهوذا أورشليم

سينضم لهم الغرباء

وسيتشبث المسيحيون ببيت يعقوب

هكذا قال النبى وهكذا يعتقد الأنبياء (٣٢) .

وكتبت جورج إليوت عام ١٨٧٤ ، رواية «دانيال ديروندا» ، التى تمثل ذروة المسيحية الصهيونية فى الأدب الأوروبى وقتئذ ، وتتويجًا للمبادئ التى كانت تتطلب أن يعتنق اليهود المسيحية كخطوة أولى للعودة إلى فلسطين .

لقد كانت إليوت بروتستانتية بيوريتانية عاصرت مد الحركة الإيفانجيلية . وكانت تحضر الاجتماعات اليهودية فى المعابد ، والتقت بموسى هس الصهيونى اليهودى ، الذى كان قد ألف كتابه الشهير «روما والقدس» عام ١٨٦٢ .

وتدور الرواية حول البعث اليهودى القومى ، كما عبرت عنه شخصية مردخاى اليهودى فى الرواية : إن شعبنا المشتت فى كل أنحاء الأرض وهو يتطلع للأرض والدولة ، قد يشارك فى سمو حياة قومية لها صوت بين شعوب الشرق والغرب ، قومية ستغرس كلمة وموهبة جنسنا لكى تكون وسيلة للتفاهم كما كانت فى الماضى (٣٣) .

والحق أن المسيحية اليهودية «الصهيونية» ، أصبحت مع نهاية القرن الثامن عشر تيارا راسخا فى الثقافة الغربية ، إلا أنها منذ ذلك التاريخ تحولت من ميدان اللاهوت والفلسفة والأدب والرمز إلى ميدان السياسة .

وكان نابليون بونابرت أول رجل دولة يقترح إقامة دولة يهودية فى فلسطين ، قبل وعد بلفور بـ ١١٨ سنة ، فخلال وجوده فى سوريا ضمن حملته الكبرى على الشرق ، أصدر بيانا يدعو فيه اليهود إلى أن يقاتلوا تحت لوائه لإعادة إنشاء مملكة القدس القديمة :

من نابليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية فى إفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين .

أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذين لم تستطع قوى الفتح والطغيان، أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومى، وإن كانت قد سلبتهم أرض الأجداد فقط.

إن مراقبى مصائر الشعوب الواعين المحايدين، وإن لم تكن لهم مواهب الأنبياء مثل أشعيا ويوئيل، قد أدركوا ماتنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع .. أدركوا أن عتقاء الله.... «سيعودون إلى صهيون وهم يغنون، وسيولد الابتهاج بتملكهم لإرثهم دون إزعاج فرحا دائما فى نفوسهم» (إشعيا ٣٥ : ١٠)

انهضوا إذن بسرور، أيها المبعدون. إن حربا لم يشهد لها التاريخ مثيلا، تخوضها أمة دفاعا عن نفسها بعد أن اعتبر أعداؤها أرضها التى توارثوها عن الأجداد غنيمة ينبغى أن تقسم بينهم حسب أهوائهم (..)

إن فرنسا تقدم لكم إرث إسرائيل فى هذا الوقت بالذات.

إن جيشى الذى أرسلتنى العناية الإلهية به والذى تقوده العدالة ويواكبه النصر جعل القدس مقرا لقيادتى (..)

يا ورثة فلسطين الشرعيين

إن الأمة التى لاتتاجر بالرجال والأوطان كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادهم لجميع الشعوب (يوئيل ٣ : ٦)، تدعوكم لا للاستيلاء على إرثكم، بل لأخذ ما تم ضمه والاحتفاظ به بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء (..)

سارعوا! إن هذه هى اللحظة المناسبة، التى قد لا تتكرر لآلاف السنين، للمطالبة باستعادة حقوقكم التى سلبت منكم لآلاف السنين، وهى وجودكم السياسى كأمة بين الأمم وحقكم الطبيعى المطلق فى عبادة يهوه، طبقا لعقيدتكم، علنًا وإلى الأبد (يوئيل ٣ : ٢١) [٣٤].

* * *

لقد كان بيان نابليون بمثابة اعتراف دولى بوجود قومى لليهود، وبحق اليهود فى وطن قومى فى فلسطين، وهو بذلك سبق بلفور بأكثر من قرن.

ولذا كانت إشارات البيان إلى أشعيا ويوئيل، تعبر عن مسيحية يهودية ـ صهيونية. إلا أن البيان، فى النهاية، كان يهدف إلى ضم اليهود إلى جيش نابليون خلال حملته على الشام (ربيع ١٧٩٩). وبالرغم من أن البيان ينسجم مع مفهوم نابليون الرومانسى

للقومية، إلا أنه يعكس اهتمامه السياسى الشخصى باستغلال اليهود فى خططه الاستعمارية.

غير أن هزيمة نابليون فى عكا (مايو ١٧٩٩)، وتقهقره من فلسطين إلى مصر، قضت على حلمه السياسى والصهيونى.

بيد أن المسيحية الصهيونية فى فرنسا فيما بعد نابليون، انتعشت أيام إمبراطورية نابليون الثالث الثانية (١٨٥٢ ـ ١٨٧٠)، وكان الممثل الرئيسى لها آرنست لاهاران السكرتير الخاص لنابليون الثالث.

ففى عام ١٨٦٠، وضع لاهاران كتابا بعنوان «المسألة الشرقية اليهودية: الإمبراطورية المصرية والعربية وإحياء القومية اليهودية»، وتحدث فيها بإعجاب كبير عن الشعب اليهودى الذى «شق طريقا رئيسيا وطرقًا جانبية أخرى جديدة للحضارة الأوروبية، ولما كان من الممكن إنقاذ حضارة الشرق الأوسط المتداعية بحقنة من الحضارة الأوروبية فإن على أوروبا كلها أن تساعد على انتزاع فلسطين من الإمبراطورية العثمانية وإعطائها لليهود»(٣٥).

ولكن دعوة لاهاران انتهت نهاية بيان بونابرت، إذ لم تتمخض عن نتائج سياسية آنية، وإن كانت المسيحية اليهودية «الصهيونية» الفرنسية منذ بونابرت، قد أثارت حمية المسيحية الصهيونية البريطانية، التى كان من نصيبها تجسيد الحلم الصهيونى بوطن قومى لليهود فى فلسطين.

لقد شهدت إنجلترا صحوة إيڤانجيلية بيوريتانية «متهودة» حتى نهاية عهد الملكة ڤيكتوريا (١٨٣٧ ـ ١٩٠٠)، وكان أبرز المسيحيين الصهيونيين آنذاك هو اللورد إيرل شافتسبرى السابع، مبشر المبشرين.

ففى عام ١٨٣٩، حث اللورد شافتسبرى جميع اليهود على الهجرة إلى فلسطين. وفى مقال منشور له بعنوان «الدولة وآفاق المستقبل أمام اليهود»، أعرب عن اهتمامه بالعنصر العبرى، وعارض فكرة الذوبان على أساس أن اليهود سيبقون دائما غرباء فى كل الدول التى يعيش فيها غير اليهود. ونظر اللورد شافتسبرى إلى اليهود على أنهم يلعبون دورا رئيسيا فى الخطة الإلهية للمجىء الثانى للمسيح وفسر نصوص العهد القديم بأن المجىء الثانى للمسيح سيتحقق فقط عندما يكون اليهود قد عادوا للعيش فى إسرائيل المسترجعة. وانطلاقا من اعتقاده بأن عليه مساعدة الرب لتحقيق الخطة الإلهية بنقل جميع

اليهود إلى فلسطين، جعل كل همه إقناع الانجليز بأن اليهود حجر الزاوية من أجل الأمل المسيحى فى الخلاص. وبالرغم من وصفه لليهود بأنهم «غلاظ وقلوبهم سوداء وغارقون فى المعصية ويجلهون اللاهوت» **إلا أن الخطة الإلهية لإنهاء التاريخ والعالم تتطلب عودتهم إلى فلسطين التى وصفها بأنها «بلاد بدون أمة، لأمة بدون بلاد»**[٣٦]**، ذلك الشعار الذى حولته الصهيونية اليهودية فيما بعد إلى «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض».**
وقد وجد مشروع شافتسبرى لنقل اليهود إلى دولة يهودية فى فلسطين نصيره السياسى فى اللورد پالمرستون، الذى تولى وزارة الخارجية عام ١٨٣٠، إذ وجد پالمرستون فى مشروع ابن أخيه شافتسبرى تجسيدا للمشروع السياسى فى صلب الحلم الدينى الپروتستانتى. وكان أن قرر تحت إلحاح ابن أخيه (شافتسبرى) افتتاح أول قنصلية بريطانية فى القدس عام ١٨٣٨ [٣٧].

وإلى جانب پالمرستون، كان هناك سياسيون بريطانيون يخططون للمشروع الصهيونى فى إطار السياسة الاستعمارية البريطانية.

ففى عام ١٨٤١ كتب تشارلز هنرى تشرشل، ضابط الأركان البريطانى فى الشرق الأوسط، إلى موسى مونتيجيور رئيس مجلس الممثلين اليهود فى لندن، إنه لا يستطيع أن يخفى رغبته الجامحة فى أن يحقق الشعب اليهودى وجوده مرة أخرى كشعب بمساعدة القوى الأوروبية[٣٨].

وقدم إدوارد متفورد «من مكتب المستعمرات فى لندن»، خطة عام ١٨٤٥ بخصوص السياسة البريطانية فى الشرق الأوسط، وتتضمن «إيجاد أمة يهودية فى فلسطين كدولة محمية تحت وصاية بريطانيا العظمى أولا، ثم توطينهم نهائيًا كدولة مستقلة»[٣٩].

واقترح چون جولر (أول حاكم لمستعمرة أستراليا الجنوبية) عام ١٨٤٥، إقامة مستعمرات يهودية فى فلسطين بشكل تدريجى تحت الحماية البريطانية، ثم يمنح اليهود فى النهاية حكما ذاتيا تحت حماية بريطانيا العظمى[٤٠].

لقد عملت المسيحية الصهيونية، فى بريطانيا القرن التاسع عشر، كقابلة للصهيونية اليهودية التى تجسدت فى المؤتمر الصهيونى فى بازل عام ١٨٩٧، ثم فى المشروع الصهيونى فى فلسطين.

وكان من أولئك المسيحيين الصهيونيين البريطانيين لورنس أوليفنت (١٨٢٩ ـ ١٨٨٨) عضو البرلمان ووزير الخارجية، ووليام هشلر (١٨٤٥ ـ ١٩٣١) القس الإيڤانجيلى،

وجوزيف تشامبرلين (١٨٣٦ ـ ١٩١٤) وزير الخارجية، ثم اللورد آرثر چيمس بلفور، رئيس الوزراء وصاحب وعد بلفور الشهير بالسماح بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين.

إن المسيحية اليهودية وخصوصا بعد الإصلاح البروتستانتى، كانت وراء الغزو العبرانى للمسيحية (تهويد المسيحية)، ومن ثم انطلاق الحركة المسيحية الصهيونية، لإعادة اليهود إلى فلسطين باعتبار ذلك الخطوة قبل الأخيرة لنهاية التاريخ الإنسانى مع المجىء الثانى للمسيح وبداية الألفية السعيدة. وأطلقت المسيحية اليهودية ثم الصهيونية، الصهيونية اليهودية ودعمتها بدافعين أحدهما دينى (الاعتقاد بالميللية والمجىء الثانى للمسيح)، وثانيهما سياسى، ابتدأ بهدف إبعاد اليهود عن العالم المسيحى، ثم استخدام اليهود فى السياسات الاستعمارية الأوروبية.

ولكن التطور الأهم فى تاريخ المسيحية اليهودية ثم الصهيونية، هو انتقالها فى أوائل القرن السابع عشر، مع المهاجرين الإنجليز البروتستانت الأوائل إلى العالم الجديد «أمريكا»، لا سيما وأن دافع الإنجليز كأمة پروتستانية لاستعمار أمريكا، كان وقف تقدم الأمم الكاثوليكية، أى البرتغاليين والإسپان والفرنسيين، إلى العالم الجديد.

الفصل الثانى

المسيح اليهودى الأمريكى

«عندما وصل المهاجرون الأوائل إلى أمريكا اعتبروها أورشليم الجديدة.. وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء حين فروا من ظلم فرعون..»

ليونارد ياسن

«منذ فجر التاريخ الأمريكى، كان هناك ميل قوى للاعتقاد بأن مجىء المسيح المنتظر لاحق لعودة الدولة اليهودية»

سيليج أدلر

١ ـ تهويد المسيحية الأمريكية

ولد يسوع المسيح يهوديّا، إلا أنه أصبح رأس الديانة المسيحية التى مثلت ثورة على اليهودية، ولكن حركة الإصلاح البروتستانتى أعادت الاعتبار إلى اليهودية، حتى إن المسيح عندما دخل العالم الجديد مع المهاجرين البروتستانت إلى أمريكا عاد يهوديا، فأصبح المسيح الأمريكى مسيحًا يهوديّا.

فعندما وصل المهاجرون البروتستانت الأوائل إلى أولى المستعمرات ماساشوستس فى نيوإنجلاند، اعتبروا أمريكا هى «أورشليم الجديدة» أو «كنعان الجديدة»، وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء حين فروا من ظلم فرعون (الملك الإنجليزى چيمس الأول) وهربوا من أرض مصر (إنجلترا) بحثًا عن أرض الميعاد الجديدة[١].

وبالمشابهة، أصبحت مطاردة المهاجرين البروتستانت البيوريتانيين (التطهريين)، للهنود الحمر فى العالم الجديد، مثل مطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين فى فلسطين.

وكان المستعمر البيوريتانى يقتل الهندى الأحمر على أنه كنعانى فلسطينى، وكان يفكر فى عالم دون هنود، مثلما كان العبرانيون يفكرون فى عالم دون كنعانيين.

لقد جاء المستعمرون البروتستانت، تحركهم تصورات الإسرائيليين القدامى، إلى أمريكا التى أطلقوا عليها اسم «أرض الميعاد» و «صهيون» و«إسرائيل الجديدة» و «أرض كنعان» وغير ذلك من التسميات التى أطلقت على فلسطين في أسفار العهد القديم.

وقد عبر عن ذلك الأب البروتستانتى چون كوتون فى موعظته لتأسيس مستعمرة ماساشوستس، بقوله: «**إن الرب حين خلقنا ونفخ فينا روح الحياة أعطانا أرض الميعاد (أمريكا). ومادمنا الآن فى أرض جديدة فلابد من بداية جديدة للحياة نعمل فيها من أجل مجد بنى إسرائيل، هذا الشعب المختار..**»[٢].

وصاغ چون وينثروب زعيم البعثة البيوريتانية إلى ماساشوستس، فى موعظة عام ١٦٣٠ «العهد الأمريكى» على منوال العهد بين «إسرائيل» و «يهوه» فى سيناء. فكرر على

مسامع المهاجرين البيوريتانيين، ماقاله موسى للإسرائيليين : «إنكم مقبلون على الأرض التى حلف الرب لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيهم إياها». ثم أخبرهم بأن كل مصير أمريكا ومن فيها مكتوب فى هذا «العهد» الذى أعطاهم فيه ربهم «الأرض التى حلف أن يعطيها لآبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب»[٣].

وكان المهاجرون البروتستانت البيوريتانيون الأوائل، فى المستوطنات الأولى فى نيوإنجلاند، يلهجون باللغة العبرية فى صلواتهم، ويطلقون على أبنائهم أسماء يهودية من قصص التوراة مثل : سارة وألعازار وإبراهام وديڤيد. كما أطلقوا أسماء عبرية على مدن كثيرة فى المستوطنات الأولى مثل سالم (شالوم) وهبرون (الخليل) وكنعان..

وكان الكتاب الأول الذى طبع فى أمريكا هو كتاب «مزامير داود» عام ١٦٤٠، ثم طبع كتاب «النحو العبرى» ابتداء من عام ١٧٣٥، واستوردت له أحرف عبرية خاصة. كما كانت العبرية تدرس مع بداية التعليم العالى فى كل المستعمرات الأمريكية، حتى صارت رائجة بين البروتستانت البيوريتانيين أكثر من رواجها بين اليهود من معاصريهم فى أوروبا. وعندما تأسست جامعة هارڤارد فى سنة ١٦٣٦ كانت العبرية هى اللغة الرسمية.

لقد كان البروتستانت البيوريتانيون فى تلك الفترة، كما شهد الحاخام لى ليڤنجر، أكثر تعصبًا لليهودية من اليهود.

وهكذا اصطبغت البروتستانتية البيوريتانية، مع قدوم المهاجرين الأوائل إلى أمريكا بصبغة يهودية. أو بمعنى آخر، كانت المسيحية، مع قدوم المهاجرين الأوائل إلى أمريكا، «مسيحية يهودية».

وهذه المسيحية اليهودية، ارتكزت على مقولتى «أرض الميعاد» و «الشعب المختار» وهما المقولتان اللتان مثلتا أساس «استعمار أمريكا» و «استعمار فلسطين».

فالمهاجرون البروتستانت البيوريتانيون، المؤمنون بعبادة اسرائيل، اعتبروا أن «المصير المبين» الذى قدره لهم الرب هو استعمار أمريكا «إسرائيل الجديدة»، ولأنهم يؤمنون بنهاية العالم مع المجىء الثانى للمسيح، فإنه لابد من جمع شتات اليهود فى فلسطين (إسرائيل القديمة)، باعتبار ذلك، الخطوة قبل الأخيرة للمجىء الثانى للمسيح.

إن مقولة الشعب المختار (الجديد) فى أرض الميعاد (الجديدة) ستكون المبرر لحرب الإبادة ضد الهنود وتهجيرهم، وستصبح اللاهوت العلمانى الذى يلهب الثوار بالنار

المقدسة للثورة على الإنجليز من أجل الاستقلال. فالشعب المختار الجديد (الأمريكى) فى إسرائيل الجديدة (أمريكا) لابد وأن يقتلع نفسه من عبودية مصر (إنجلترا) ويقضى على الفلسطينيين (الهنود).

وبعد الاستقلال، سيصوغ چون أو سوليفان نظرية «المصير المبين» عام ١٨٥٦، بمعنى أن الرب قدّر للشعب المختار (الأمريكى) أن يقود العالم إلى نهاية التاريخ، وأن المستقبل سيكون عصر العظمة الأمريكية بلا قيد أو شرط.

وقاد الاعتقاد بـ «المصير المبين» إلى فتح القارة الأمريكية حتى الغرب الأقصى تحت راية «الفرونتييرز» أى الرواد المكتشفين، الذين تحركوا من الساحل الشرقى لاجتياح الغرب الأوسط ثم الغرب الأقصى، حتى انتهوا من فتح القارة بنهاية القرن التاسع عشر. وبررت نظرية المصير المبين إبادة الهنود الحمر واستعباد الزنوج وضم فلوريدا وتكساس ونيومكسيكو وكاليفورنيا وألاسكا وهاواى ولويزيانا.

ومع استهلال القرن العشرين، سيتحول المصير المبين إلى إمپريالية عالمية، أى استعمار شعوب أخرى بدعوى نقل الحضارة المسيحية الأمريكية إليها فى الفليپين وكوبا وپنما وڤيتنام.

ولأن البروتستانتية الأمريكية اصطبغت بصبغة يهودية «مسيحية يهودية»، فقد سبقت الصهيونية المسيحية الصهيونية اليهودية فى المطالبة بوطن قومى لليهود فى فلسطين، وقبل أن يعقد المؤتمر الصهيونى اليهودى الأول فى بازل عام ١٨٩٧، وقبل أن يفكر هرتزل فى إعداد كتابه «الدولة اليهودية».

والسؤال الإشكالى هنا هو: كيف اصطبغت البروتستانتية الپيوريتانية بصبغة عبرية.. يهودية؟ وكيف صار المسيح الأمريكى مسيحًا يهوديًا؟

إن الباحث اليهودى هنرى فاينجولد، يرد ذلك إلى يهود «المارانو» أى اليهود الذين طردوا مع المسلمين من شبه جزيرة أيبريا منذ الاسترداد المسيحى لإسپانيا فى عام ١٩٤٢، وهو عام اكتشاف أمريكا.

ويروى فاينجولد فى كتابه «صهيون فى أمريكا»، الذى صدر فى نيويورك عام ١٩٧٤، أن كريستوفر كولمبس، عندما فشل فى إقناع ملك البرتغال يوحنا الثانى، بإمكان تنفيذ مشروعه الخاص بالإبحار غربًا للوصول إلى الشرق، اتجه إلى ديجو دى ديجا أسقف

سلامنكا، الذى كان من يهود المارانو. فأقنع الأخير يهود المارانو الذين كانوا يشكلون مراتب عليا فى الإدارة والتجارة فى إسپانيا، وتبنوا مشروع كولمبس ودعمه بالخرائط والتمويل اللازم، حتى إن السلطات الإسپانية تشككت فى أن يكون كولمبس يهوديّا.

وذلك ماعلق عليه فاينجولد بقوله: إن كان بوسع المرء أن يتشكك فى نسب يهودى لكولمبس، فلا شك فى الدور الذى لعبه يهود المارانو فى جعل بدء رحلاته أمراً ممكنًا وهو دور لاسبيل إلى المجادلة فيه(٤).

ويدلنا آرثر هرتزبرج، فى كتابه «اليهود فى أمريكا»، الصادر فى نيويورك عام ١٩٩٠، على أول تيار للهجرة اليهودية إلى الولايات المتحدة. ففى عام ١٥٢٨، أُحرق فى المكسيك يهودى تحول إلى المسيحية، وبعد ذلك أقام الإسپان محاكم تفتيش لليهود المتسترين وراء اعتناق المسيحية والفارين من إسپانيا إلى المكسيك، بعد انكشاف نشاطهم فى (تهويد المسيحية). وفى تلك الظروف كانت هجرة يهود المارانو إلى جنوب غربى الولايات المتحدة عبر المكسيك.

أما التيار الثاني للهجرة اليهودية، فقد بدأ مع وصول أول مجموعة يهودية أوروپية إلى نيو أمستردام (نيويورك الحالية) عام ١٦٥٤، وكانوا يؤدون صلواتهم في البيوت، حتى أسسوا أول كنيسة لهم فى نيويورك (وأمريكا كلها) عام ١٧٢٩. وقد كان أولئك اليهود الأوروپيون من بين مؤسسى الولايات الثلاث عشرة الأولى التى تألف منها الاتحاد الفيدرالى(٥).

بيد أن هجرة يهود المارانو وغيرهم من يهود أوروپا، ضمن المستوطنين الأوائل فى أمريكا، لا تقدم تفسيراً كافيًا لتهويد المسيحية فى أمريكا. ففى تعداد عام ١٧٩٠، لم يزد عدد اليهود على ١٥٠٠ يهودى من إجمالى عدد السكان الذى ناهز أربعة ملايين. ولكن يمكن القول بأن «المسيحية اليهودية» ـ كما أوضحنا فى الفصل السابق ـ لعبت دوراً مهمّا فى الحياة الدينية والثقافية لأوروپا المسيحية فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر. ثم كان إيناع المسيحية اليهودية على يد اليهود المتحولين إلى المسيحية فى إسپانيا بعد الاسترداد المسيحى عام ١٤٩٢ (وهو عام اكتشاف أمريكا). وعلى يد اليهود المسيحيين، أُعيد الاعتبار لليهود فى القرن السادس عشر باعتبار أنهم جزء من خطة الرب لنهاية التاريخ وعودة المسيح.

ولكن الدور الأهم فى تهويد المسيحية الأوروپية ثم الأمريكية، يعود إلى حركة الإصلاح الدينى الپروتستانتى التى أطلقها مارتن لوثر فى القرن السادس عشر. إذ دعا

لوثر فى بداية حياته إلى دراسة اللغة العبرية، وركز على دور التوراة فى الحياة المسيحية. وقد كان هدف لوثر تحويل اليهود إلى المسيحية وتحقيق النبوءة التوراتية المتعلقة بإنقاذ اليهود وإقامة دولتهم فى فلسطين.

وبعد أن يئس لوثر من تنصيرهم، عبّر فى المرحلة الأخيرة من حياته عن كرهه لليهود وطالب بطردهم من ألمانيا، إلا أن دعوته للتخلص منهم كانت بدفعهم باتجاه العودة إلى أرضهم «يهودا» وليس إلى أى مكان آخر.

لقد عززت حركة الإصلاح البروتستانتية «المسيحية اليهودية»، بإعادة اكتشاف «العهد القديم» الذى أصبح عنصراً أساسيّا فى هذه الحركة وفى اللاهوت البروتستانتى.

وعندما ترجم الكتاب المقدس للغات القومية، أصبح مألوفًا ماورد فى العهد القديم عن تاريخ ومعتقدات العبرانيين وحكمهم لفلسطين. وغدت قصص وشخصيات العهد القديم زاداً يوميّا للپروتستانت. وحل أبطال العهد القديم كإبراهيم وإسحق ويعقوب محل القديسين الكاثوليك. بل إن يسوع المسيح أصبح لايعرف بأنه ابن مريم مؤسس الديانة المسيحية بل نبى من سلسلة طويلة من الأنبياء العبرانيين.

غير أن المسيحية اليهودية وصلت ذروتها فى عهد الثورة البيوريتانية فى إنجلترا القرن السابع عشر، إذ مثلت البيوريتانية أشد أشكال البروتستانتية تطرفًا فى إعلاء العهد القديم واليهودية.

ذلك اللاهوت البروتستانتى (المتهود)، انتقل فى أوائل القرن السابع عشر، مع المهاجرين الإنجليز الأوائل إلى أمريكا، خاصة وأن دافع الإنجليز كأمة بروتستانتية لاستعمار أمريكا، كان وقف تقدم الأمم الكاثوليكية، أى الإسپانيين والبرتغاليين والفرنسيين إلى العالم الجديد.

ويذكر أدوين سكوت جوستاد فى كتابه «التاريخ الدينى لأمريكا» الصادر عام ١٩٩٠، أن القس ريتشارد هاكلايت قال للملكة إليزابيث الأولى إنه إذا كان من كنيسة حقيقية ومخلصة ينبغى أن تكون فى شمالى أمريكا فهى البروتستانتية الإنجليزية وليس الكنيسة الكاثوليكية الإسپانية، وإن الرب ينادى إنجلترا لهذه المهمة كما نادى يوحنا المقدس. ولم يكن الحظ محالفًا للملكة اليزابيث الأولى لتشاهد المستعمرات الإنجليزية الأولى في العالم الجديد، بل كان ذلك من نصيب الملك چيمس الأول (الأول فى سلالة ستيوارت)، الذى أسست باسمه فى عام ١٦٠٧ مستوطنة «چيمس تاون»، وأقيمت بها أول أبرشية حاملة اسم القس هاكلايت(٦).

وكان المهاجرون الأوائل من البروتستانت الذين حملوا معهم التقاليد والاقتناعات التوارتية وتفسيرات العهد القديم، التى انتشرت في إنجلترا وأوروبا فى القرن السادس عشر.

وبعد الحرب الأهلية التى نشبت فى إنجلترا نتيجة تمرد كرومويل الذى وقف إلى جانبه البيوريتانيون، وانتهت بعودة النظام الملكى واضطهاد الملكيين للبيوريتانيين، كان «خروج» البيوريتانيين إلى العالم الجديد.

لقد أراد البيوريتانيون «تطهير» كنيسة إنجلترا، ولكن اضطهاد النظام الملكى (خلال حكم چيمس الأول وشارلز الأول) لهم، جعلهم يرون أن من الأفضل لهم «الخروج» إلى العالم الجديد لممارسة معتقداتهم.

لذا، قام البيوريتانيون بتأسيس مستعمرة ماساشوستس في عام ١٦٣٠، وخلال العقد التالى هاجر أكثر من عشرين ألف بيوريتانى إلى هذه المستعمرة.

وقد حمل البيوريتانيون معهم إلى شمالى أمريكا اللغة العبرية، وطبعوا «سفر المزامير» كأول كتاب ينشر فى العالم الجديد، وأسسوا جامعة هارڤارد عام ١٦٦٣، بتبرع من الممول چون هارڤارد بقيمة ١٨٠٠ جنيه إسترلينى وبمكتبته، وجعلوا أحد شروط القبول بالجامعة القدرة على ترجمة النص العبرى الأصلى للتوراة إلى اللاتينية.

بيد أن من أهم ما أرساه البيوريتانيون فى العالم الجديد، هو إرساء فكرة «العهد» أو «العقد» على غرار «العهد بين موسى ويهوه».

فهم قد نظروا إلى أنفسهم من منطلق خاص بهم. فعلى غرار «خروج» اليهود من أرض مصر ورحيلهم إلى أرض جديدة وعدهم بها الرب، كما ورد فى العهد القديم، نظر البيوريتانيون إلى أنفسهم على أنهم الشعب المختار الجديد، ونظروا إلى العالم الجديد على أنه إسرائيل الجديدة.

لقد عقدوا عهدهم مع الرب:

«إذا أمَّن الرب ذهابنا إلى العالم الجديد، سنؤسس مجتمعًا تحكمه القوانين الإلهية».

وشبّه چون وينثروب، أول حكام مستعمرة خليج ماساشوستس، المستعمرة بأنها مدينة فوق التل (أى مدينة فاضلة) تتجه إليها أنظار العالم، أى كمثال يحتذى به العالم. وآمن البيوريتانيون بأن الرب سينزل بالمستعمرة أشد عقاب على أى خطيئة.

إن فكرة العهد بين البيوريتانيين الأوائل والرب، أثرت جذريّا فى التفكير الأمريكى الدينى والمدنى وفى النظام الاجتماعى دينيّا وسياسيّا.

فالأمريكيون غالبًا مايرون أنفسهم مكلفين بمهمة خاصة من الرب، بأن يكونوا مثالا يحتذى به فى سائر أنحاء العالم. وستأخذ هذه المهمة الدينية شكلا علمانيّا مدنيّا من خلال مقولة «المصير المبين»، بمعنى أن مصير أمريكا الذى قدره الرب هو تحضير العالم، إلى آخر المقولات مثل مبدإ «الإمبريالية التقدمية» أى استعمار شعوب أخرى لنقل التقدم إليها ونشر المسيحية البروتستانية، أو مبدإ «العالمية الليبرالية» (النقاط الأربع عشرة للرئيس ويلسون)، أو مبدإ «تحسين العالم» خلال عهدى كنيدى وچونسون، أو دعاوى حقوق الإنسان (كارتر وكلينتون).

كما أن فكرة العهد مع الرب، انعكست فى النظامين الدينى والسياسى للولايات المتحدة. فإذا كان الجميع مطالبين بالذهاب إلى الكنيسة ودعمها، فإن الكنيسة يجب أن تكون مستقلة عن الدولة، كما يجب أن تكون الدولة منفصلة عن الكنيسة وحيادية تجاه الشأن الدينى.

وعندما وضع المؤسسون الأوائل وثيقة «إعلان الاستقلال»، كان مفهوم العقد مفهومًا مهمّا. إذ تحول العهد اللاهوتى إلى عقد اجتماعى بالمعنى المدنى الذى أرساه چون لوك، أى أن الأفراد يبرمون عقدا مع الحكومة يوافقون بمقتضاه على الخضوع لحكمها مقابل حماية حقوقهم الثابتة.

وهنا يجب التنويه بنقطتين مهمتين: أولاهما، أن لاهوت العهد قد سبق عمل چون لوك، ومن المحتمل أن يكون قد أثر على فكره بشأن العقد الاجتماعى بين المواطنين والحكومة. والنقطة الثانية، أن لاهوت العهد قد أعد الأفراد للتفكير فى العقد الاجتماعى، أى أعدهم للتفكير بأن التمسك بالالتزامات التى تتعلق بالرب وأعضاء المجتمع تقابله فوائد تعود على الجميع داخل المجتمع. لقد حول العقد الاجتماعى «العهد اللاهوتى البيوريتانى» من عهد بين الرب والناس إلى عهد بين الأفراد والحكومة.

وأخيراً انعكست فكرة العهد اللاهوتى البيوريتانى فى ديمقراطية النظام السياسى الأمريكى. فالبيوريتانيون الأوائل كانوا أبرشيين. وكانت كل أبرشية تختار قسها، وترتبط جميع الأبرشيات بتنظيم كنسى تتمتع فيه كل أبرشية باستقلال ذاتى.. وتتخذ القرارات فى جميع الأبرشيات بممارسات محددة وبشكل ديمقراطى من جانب أعضاء الكنيسة.

وقد أثرت الأبرشية على مفاهيم الديمقراطية الأمريكية فيما بعد.

إذ إنه وفقا للعهد البيوريتانى يقوم أعضاء الكنيسة بانتخاب الحكومة. ولكى يتمتع المرء بالعضوية الكاملة بالكنيسة، كان عليه أن يظهر سموا روحيّا. ولقد اعتقد البيوريتانيون - استنادًا للكالفينية - أن بعض الأفراد (المختارين) قد اختارهم الرب دون الآخرين لتلقى النعمة الإلهية (جماعة القديسين الأحياء)، ولذلك يتعين عليهم العمل بما يأمرهم به الرب كالتزام مقدس. كما اعتقد البيوريتانيون أيضًا بفساد الطبيعة البشرية على أساس فكرة الخطيئة الأولى، ولذلك لايعنى كون أعضاء الكنيسة قد يسين أنهم بلا خطيئة، بما يفرض على أعضاء الكنيسة اتباع القانون الإلهى بقدر المستطاع لإثبات سموهم الروحى. فالذين يسمح لهم بالعضوية الكاملة في الكنيسة، وبأن تكون لهم كلمة فى الحكومة المدنية، هم فقط الذين استطاعوا إثبات سموهم الروحى. وكانت للحكومة المدنية سلطة على جميع أفراد المجتمع، ولكنها كانت تخضع فقط لرقابة أولئك الذين يتمتعون بالعضوية الكاملة بالكنيسة.

وكان اعتقاد البيوريتانيين فى ازدواجية الطبيعة الإنسانية - أى الكمال (السمو) من جهة والنقص (منذ الخطيئة الأولى) من جهة أخرى - له تأثير فى مبدإ الفصل بين السلطات وفكرة الضبط والتوازن بين الكونجرس والرئاسة حتى لايفسد النظام السياسى. فالسلوك الإنسانى عرضة للفساد، والسلطة المطلقة تفسده فسادًا مطلقًا، ومن ثم لابد وأن تضبط وتوازن كل سلطة السلطة الأخرى. وقد وجدت هذه الرؤية السلبية للطبيعة البشرية (الخطيئة الأولى وفساد البشر هما واقع الحياة)، طريقها فى التفكير السياسى الأمريكى، ولذلك وضع المؤسسون الأوائل الدستور الأمريكى انطلاقًا من هذه الرؤية، عندما فضّلوا حكومة مقيدة بقيود وضوابط وفصل بين السلطات. لقد جاء البيوريتانيون إلى العالم الجديد وهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار المكلف برسالة معينة. والعالم الجديد هو إسرائيل الجديدة والعالم القديم هو مصر القديمة.

واعتقد البيوريتانيون أن «العهد مع الرب» الذى عقدوه هو الأساس لبناء مجتمع إلهى (مدينة على التل) يكون محط أنظار العالم. واصطبغ العهد مع الرب «بصبغة مدنية علمانية»، ليتحول إلى «عقد اجتماعى» بين الأفراد والحكومة. ولأنهم كانوا أبرشيين رأوا اختيار الحكومة بشكل ديمقراطى من جانب أعضاء الكنيسة «القديسين». ولأنهم تطهريون، رسخوا في التفكير السياسى الأمريكى الرؤية السلبية للطبيعة البشرية، بما فرض اختيار الحكومة المقيدة بقيود وضوابط وفصل بين السلطات.

٢ ـ المسيح اليهودى الأمريكى.. وصهيون

لئن كانت البروتستانتية البيوريتانية قد اصطبغت بصبغة عبرية ـ يهودية، فى أمريكا القرن السابع عشر حتى صار المسيح الأمريكى مسيحا يهوديًا، فإنه مع حلول القرن الثامن عشر أصبح الاعتقاد بالبعث اليهودى فى فلسطين يشكل جانبًا مهمًا من اللاهوت البروتستانتى الأمريكى، حيث احتلت معتقدات المسيح المنتظر والعصر الألفى السعيد مكانًا بارزًا.

وهكذا، وكما يقول سيليج أدلر:

إنه منذ فجر التاريخ الأمريكى كان هناك ميل قوى للاعتقاد بأن مجىء المسيح المنتظر لاحق لعودة الدولة اليهودية. ولم يكن ذلك الرأى مُجْمَعًا عليه بين اللاهوتيين المسيحيين، ولكنه كان يشكل جزءًا من مصفوفة التاريخ الفكرى الأمريكى، التى كانت تتضمن دائمًا خيطًا من العصر الألفى السعيد فى الفكر المسيحى الأمريكى(٧).

وكانت أهم الطوائف التى وجد فيها هذا الميل هى المعمدانية واللوثرية وبعض أتباع الكنيسة المشيخية، حيث اعتقدت نسبة كبيرة من تلك الطوائف بمبدإ عصمة النبوءات التوراتية حول اليهود (أى الاعتقاد فى حرفية الكتاب المقدس). ولذلك اعتبرت كل النبوءات المتعلقة باليهود إشارات إلى «إسرائيل الطبيعية» أى «الأمة اليهودية» مقابل «إسرائيل الروحية» أى «الكنيسة المسيحية».

وكان الاعتقاد بأن الرب يهدف طيلة «التاريخ» إلى غرضين متميزين: أحدهما متعلق بالأرض وشعبها وأهدافها الأرضية وهى اليهودية، وثانيهما مرتبط بالسماء وأهلها وأهدافها السماوية وهى المسيحية.

وبالتالى، فإن «الأرض الموعودة» لإبراهيم ستعود قبل مجىء المسيح ونهاية التاريخ.

إن الاعتقاد بمجيء المسيح وبعث اليهود، هو أحد الأركان الأساسية فى الديانة اليهودية، ووجد ذلك الاعتقاد في سفر دانيال وسفر حزقيال(*).

ففى سفر دانيال:

سبعون أسبوعًا كتب على شعبك وعلى أورشليم لسجن المعصية وختم الخطيئة والتكفير عن الإثم والإتيان بالصلاح الدائم، ولختم الرؤية والرائى ولمسح قدس الأقداس. فاعلم وافهم أنه سوف تنقضى مابين خروج كلمة يهوه الآمرة بعودة اليهود إلى المسيح الرئيس بتجديد أورشليم وبنائها سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا يعود ويبنى سوقًا وخليجًا فى ضيق الأزمنة ـ الإصحاح ٩: ٢٤ـ٢٥.

وفى سفر حزقيال:

هكذا قال السيد الرب: الآن أرد سبى يعقوب وأرحم كل بيت فى إسرائيل وأغار على اسمى القدوس. فيحملون كل خزيهم وكل خياناتهم التى خانونى إياهم أيام كانوا ساكنين فى أرضهم مطمئنين ولا من يخيفهم ـ الإصحاح ٣٩: ٢٥ـ٢٦

ونجد رؤيا دانيال ورؤيا حزقيال عن مجيء المسيح وبعث اليهود فى العهد القديم (اليهودى) فى رؤيا يوحنا التى يُختم بها العهد الجديد (المسيحى).

والاعتقاد المسيحى بالمجيء الثانى للمسيح والألفية السعيدة، يتأسس على «رؤيا يوحنا»، الكتاب الوارد فى نهاية العهد الجديد.

وقد عاصر يوحنا اضطهاد الإمبراطورية الرومانية للمسيحيين على يد نيرون. إذ كان المسيحيون يتعرضون للتعذيب والآلام فى كل أرجاء الإمبراطورية. وكان كثيرون منهم يقدمون على تلك الخطوب من أجل إيمانهم بالمسيح ويتقبلون الموت بلا تذمر، إلا أنه وجد بين المسيحيين ـ أيضًا ـ أناس مستعدون للتبرؤ من المسيح حفاظًا على حياتهم وممتلكاتهم، وآخرون مترددون.

وفى تلك السنوات، راح كتاب يتنقل بين أيادى المسيحيين فى مدن آسيا الصغرى اليونانية، وهو مؤلف باللغة اليونانية، وسمى فيما بعد بالكلمة اليونانية «Apocalypse ـ الرؤيا».

(*) دانيال وحزقيال من أنبياء العهد القديم، وقد عاشا ورويا سفريهما خلال فترة السبى البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد. وينبئ السفران اليهود بالتكفير عن خطاياهم والعودة إلى أورشليم.

إذ كان الكتاب يبدأ بعبارة «إعلان يسوع المسيح الذى أعطاه إياه الرب ليُرى عبيده ما لابد أن يكون عن قريب وبينه مرسلا بيد ملاكه لعبده يوحنا» (رؤيا ١ : ١).

وينبئ يوحنا إخوته فى الإيمان بنبإ عظيم يغريهم: «طوبى للذى يقرأ وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظون ماهو مكتوب فيها لأن الوقت قريب» (الرؤيا ١ : ٣).

وقد رأى يوحنا أن نهاية العالم قريبة، ومن ثم ستحل نهاية الآلام، ولكن قبل ذلك ستقع أحداث عجيبة ومرعبة.

ويخبرنا يوحنا عن نفسه أنه كان فى جزيرة بطمُس، وهى جزيرة صغيرة فى بحر إيجه، وذلك «من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح» (١ : ٩). وفى يوم أحد، كان يوحنا فى «الروح» (حالة النشوة والانجذاب)، فانشقت أمامه السماء وشاهد سبعة منابر ذهبية، وبين المنابر شبه «ابن إنسان» (يسوع المسيح)، رأسه وشعره أبيضان كالصوف الأبيض كالثلج، وعيناه كلهيب نار ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون، وصوته كصوت مياه كثيرة، ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب، وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه، ووجهه كالشمس وهى تضىء فى قوتها (١ : ١٣ ـ ١٦) وعندما رأى يوحنا «ابن الإنسان» هذا، سقط عند رجليه كميت، ولكن ذاك هدأ من روع يوحنا: «لا تخف أنا هو الأول والآخر والحى وكنت ميتا وها أنا حى إلى أبد الآبدين ولى مفاتيح الهاوية والموت. فاكتب ما رأيت وما هو كائن وما هو عتيد أن يكون بعد هذا» (١ : ١٧ ـ ١٩).

ورأى يوحنا فى رؤياه عرشا فى السماء جالس عليه الرب، وفى وسط العرش وحوله أربعةحيوانات مملوّة عيونا من قدام ومن وراء، ولكل منها ستة أجنحة، تقول ليلا ونهارا قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شىء الذى كان والكائن والذى يأتى. وحول العرش أربعة وعشرون شيخا، وأمامه سبعة مصابيح نار متقدة هى سبعة أرواح الرب، وعلى يمينه كتاب كان مكتوبا من داخل ومن وراء ومختوما بسبعة ختوم.

وفى تلك الأثناء، قال أحد الشيوخ ليوحنا إن أحد الحيوانات الأربعة قد غلب، وهو الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود، ليفتح السفر ويفك ختومه السبعة. وهنا رأى يوحنا أنه قد اقترب من العرش «خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هى سبعة أرواح الرب المرسلة إلى كل الأرض». والخروف هنا هو تصوير ليسوع المسيح كان محببا جدا لدى المسيحيين، وأما القرن فكان يُعَدّ رمزًا للجبروت لدى العبرانيين. ويبدأ الخروف فى فك الختوم السبعة وعندما يصل إلى نزع الختم الرابع، تكون قد ظهرت

أربعة خيول هى النذير على الكوارث العظيمة التى تسبق نهاية العالم إيذانا باقتراب حلول تلك النهاية .

وعند نزع الخروف الختم الخامس ، رأى يوحنا أمام المذبح أرواح الذين ماتوا لأجل دين المسيح ، «وصرخوا بصوت عظيم قائلين حتى متى أيها السيد القدس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض . فأعطوا كل واحد ثيابًا بيضًا وقيل لهم أن يستريحوا زمانا يسيرًا أيضا حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وإخوتهم أيضا العتيدون أن يُقتلوا مثلهم» (٦ : ٨ ـ ١١) . وحين ينزع الختم السادس ، إذا «زلزلة عظيمة حدثت والشمس صارت سوداء كمسح من شعر والقمر صار كالدم ونجوم السماء سقطت إلى الأرض . . . ، والسماء انفلقت . . . ، وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما» . ويتم ختم ١٤٤ ألف شخص أى ١٢ ألفا من كل سبط من أسباط إسرائيل الاثنى عشر» . ورأى يوحنا الذين تلقوا الموت لأجل المسيح واقفين أمام العرش والمسيح يمسح دموعهم .

وأخيرا ينزع المسيح الختم السابع ، ويرى يوحنا سبعة ملائكة يمسكون بأيديهم سبعة أبواق ، وملاك ثامن بيده مبخرة ملأها من نار المذبح وألقاها إلى الأرض فحدثت زلزلة ورعد وبرق . ويبوق الملائكة فتنهال على الدنيا الكوارث ، ويهجم جيش أجنبى عظيم يأتى من جهة نهر الفرات . وتعطى المدينة المقدسة أورشليم للوثنيين الذين سيدوسونها ٤٢ شهرًا ، وعندما يبوق الملاك السابع يكون ذلك إيذانًا بأن ممالك العالم ستصبح للرب ومسيحه . وتظهر فى السماء آية عجيبة «امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها ، وعلى رأسها إكليل من اثنى عشر كوكبا وهى حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد» . . . . «فولدت ابنا ذكرا عتيدا أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد» ، ويظهر «تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون» يقوم بابتلاع الطفل ، لكن الطفل اختطف إلى الرب وعرشه ودخل الملاك ميخائيل على رأس جيش فى معركة مع التنين المدعو إبليس والشيطان . وسمع يوحنا صوتًا ينبئ بسقوط إبليس وملوك زمن الخلاص وبداية مملكة المسيح وسلطانه» .

ولكن الشيطان سيجمع بعد ذلك كل قوى الشر ضد قوى الخير عند هرمجدون . ويظهر المسيح «ومن فمه يخرج سيف ماض لكى يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد . . وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب» (١٩ : ١١ ـ ١٦) ويجتمع ضده الشيطان والملوك الخاضعون له ولكن المسيح ينتصر . ويهبط ملاك من

السماء فيمسك بالتنين ـ الشيطان ـ ويلقى به إلى الهاوية ويختم عليه ليختفى ألف عام (٢٠ : ١ ـ ٣) وهكذا تحل مملكة الرب لألف سنة.

وبعد مرور ألف عام، سيطلق سراح الشيطان، «ويخرج ليضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض جوج وماجوج»، ويحاصرون المدينة الحبيبة أورشليم، لكن ناراً من السماء ستسقط وتلتهمهم. وعندئذ تحل مملكة الحياة، والنعمة الأبدية، وتنزل من السماء أورشليم الجديدة لها اثنتا عشرة بوابة عليها أسماء الأسباط الإسرائيلية الاثنى عشر. ولن يدخل المدينة إلا الذين ظلوا أوفياء للمسيح.

«ويخرج ليضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض جوج وماجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر، فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة، فنزلت نار من عند الرب، من السماء وأكلتهم، وإبليس الذى كان يضلهم طُرح فى بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب وسيُعَذَّبون نهاراً وليلا إلى أبد الآبدين» (رؤيا ٢٠ : ٧ ـ ١٠).

وهكذا، فإن رؤيا يوحنا مثلها مثله رؤيا دانيال ورؤيا حزقيال، نبوءة حول نهاية العالم. كما أن أوصاف يوحنا للمسيح هى أوصاف المسيح اليهودى لدى دانيال وحزقيال. والحيوانات الأربعة «المملوءة عيونا» فى الإصحاح الرابع من رؤيا يوحنا انتقلت مع بعض التعديلات من سفر حزقيال. وجوج وماجوج وهرمجدون ورد ذكرها عند حزقيال.

وقد كان يوحنا الإلهى مرتبطا باليهودية أكثر من كل الرسل الآخرين، فخلافا ـ على سبيل المثال ـ لبولس الرسول، الذى وقف ضد طقوس مهمة فى اليهودية مثل حفظ السبوت والختان، والذى أعلن أنه لا فرق لديه بين هيلينى ويهودى وغيرهما، كان يوحنا أقرب إلى أولئك الذين سموا «يهودا مسيحيين» أو كان «مسيحيا يهوديا». والحق أن رؤيا يوحنا عكست أول الأطوار فى المسيحية. فلا أثر للثالوث المقدس، بل العكس من ذلك، يظهر أمامنا الإله الواحد القادر على كل شىء، أى الإله اليهودى «يهوه». وفى الدينونة العظيمة الأخيرة يجلس على العرش هذا الإله ذاته وليس المسيح، فيسوع أدنى مرتبة، وهو الذى «ذبح» كالخروف أضحية للتكفير عن خطايا العالم(*).

(*) فى الكتاب المقدس يرمز الخروف إلى التضحية. وفى إنجيل يوحنا يسمى المسيح حمل الله «وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» (يوحنا ١ : ٢٩).

ومثلت رؤيا يوحنا ركنًا أساسيًا فى الاعتقاد البروتستانتى المتهود والمسيحية الصهيونية حول مجىء المسيح والبعث اليهودى.

وقد شهدت نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، انتشار الاعتقاد بالمجىء الثانى للمسيح وبدء العصر الألفى السعيد (عقيدة الميللية) فى أمريكا.

فمع نهاية القرن الثامن عشر، واجهت المؤسسة الدينية الأمريكية تحديات عظمى كادت تعصف بالمعتقدات الدينية أصلاً.

فالثورة الأمريكية التى انتهت بـ«إعلان الاستقلال» الأمريكى، أبعدت الدولة الوليدة عن أى دور مؤثر فى الدين. وبعد سنوات، اندلعت الثورة الفرنسية التى قادت هجوما على الكنيسة ولاهوتها وسلطتها وفصلتها عن النسيج الاجتماعى. وقامت فى أمريكا حركة عقلانية معادية للدين على أيدى رجال مثل توماس پين وإيثان آلان وإلياهو بالمر، وهددت مؤسسات الدين المسيحى وهاجمت الإحياء التوراتى، واعتبرت الدين التقليدى «إمبراطورية الخرافة» (تعبير بالمر). كما كانت أمريكا، فى تلك الفترة، تشهد يوميًا موجات جديدة من المهاجرين، مثلت تهديداً للاعتقاد الدينى الأمريكى التقليدى.

وكان الرد على تلك التحديات العلمانية المدنية العاتية، أن دخلت أمريكا «الصحوة العظمى الثانية» (الدينية) حيث ظهرت أنشطة فردية ومؤسسات مثل «الجمعية الأمريكية للكتاب المقدس» (١٨١٦) و«الاتحاد الأمريكى لمدارس الأحد» (١٨٢٤)، لنشر وتوزيع الكتاب المقدس، وبناء الكنائس والمدارس والجامعات اللاهوتية، والقيام بالحملات الدينية وإلقاء المواعظ.

وفى غمار «الصحوة العظمى الثانية» انتشرت «العقيدة الميللية» وظهرت كنائس جديدة (مذاهب) على أساس «الميللية».

ففى عام ١٨٣٥، ادعى القس شارلز فينى أن الألفية السعيدة ستبدأ فى أمريكا بعد ٣ سنوات أى فى عام ١٨٣٨. وبعد فينى، تنبأ القس ويليام ميللر بأن المسيح سيعود ثانية بين ٢١ من مارس عام ١٨٤٣ و١٢ من مارس عام ١٨٤٤، اعتمادا على سفر دانيال. وقد اجتذبت نبوءة ميللر جمهوراً من المعمدانيين والمنهجيين والمشيخيين والأبرشيين. ولكن «النبوءة الكبرى» لميللر عندما لم تتحقق تحولت إلى «خيبة كبرى» لدى الأمريكيين حتى ظهر القس كريس سكوفيلد (١٨٤٦ ـ ١٩٢١) الذى اعتبر أن التحقيب الربانى لتاريخ العالم يتضمن سبع حقب، وأن العالم ـ وقتئذ ـ يشهد الحقبة الأخيرة، التى سيعود فيها المسيح إلى أورشليم لتبدأ الألفية السعيدة [٨].

لقد كانت الميللية (الألفية)، كما يقول البروفيسور هارولد بلوم، حركة احتجاج ضد الحداثة فى المجتمع الأمريكى عشية القرن العشرين، استندت على عقيدة/ كنيسة سبتية اليوم السابع ذات الصبغة اليهودية، التى طبعتها إيلين هارمون وايت (١٨٢٧ ـ ١٩١٥) بطابع أمريكى.

لقد اعتبرت وايت أن العالم يعيش فى الدينونة التى بدأت عام ١٨٤٤ (عام الخيبة الكبرى)، وأن المسيح منذ ذلك التاريخ قد دخل قدس الأقداس لتطهير خطايانا. وكانت ترى أن سفك دم يسوع على الصليب لم يحقق الكفارة كاملة، ويجب دوام زمن الكفارة طالما وجد وقت للامتحان والتجربة.

وتتضمن عقيدة سبتية اليوم السابع أن المسيح لدى عودته سيكمل الكفارة بالقضاء على كل الشياطين والكفار، وأن الخلاص سيشمل ١٤٤ ألفًا وهؤلاء من السبتيين [٩].

ومثل سبتية اليوم السابع، اصطبغت كنيسة الخمسينية Pentecostalism بصبغة يهودية. وتعود العقيدة الخمسينية إلى عيد الخمسين أو العنصرة عند المسيحيين، وهو عيد الحصاد عند اليهود، ويحتفل به فى يوم الخميس التالى لعيد الفصح. وعندما أخذ يوم الخمسين عند اليهود كان ذلك لأن «الروح القدس» ظهر لحواريى المسيح كألسنة منقسمة من نار، واستقرت على كل واحد منهم فامتلئوا جميعا من الروح القدس، وبدءوا يتكلمون بألسنة أخرى (أعمال الرسل ٢ : ١ ـ ١). وقد بدأت الخمسينية على يد شارلز فوكس بارهام، فى توبيكا بولاية نبراسكا عام ١٩٠١، ثم ما لبث أن اصطحب معه ويليام سيمور إلى لوس أنجلوس عام ١٩٠٦ (عام زلزال سان فرانسيسكو)، حيث كان تأسيس الكنيسة الخمسينية عام ١٩١٤.

وستصبح الخمسينية أصولية مسيحية متهودة ذات تأثير كبير على الأمريكيين على يد القس چيمى سواجرت كما سنفصِّل ذلك فيما بعد [١٠].

بيد أن عقيدة شهود يهوه، ظهرت فى الولايات المتحدة باعتبارها الانشقاق الأكثر تطرفًا فى حركة الميللينية (سبتية اليوم السابع) أو بشكل ما الخمسينية المتطرفة.

وقد بدأت عقيدة شهود يهوه مع شارلز تاز رسل (١٨٥٢ ـ ١٩١٦) فى ولاية پنسلفانيا. ونشر رسل عام ١٨٨٦ كتابه «العوالم الثلاثة أو مخطط الفداء»، وقال فيه إن نهاية العالم ستكون فى عام ١٩١٤، ففيه تنتهى أزمنة الأمم (نهاية التاريخ) ويُرفع غضب الله عن اليهود ويصبح لزامًا عليهم أن يعودوا إلى فلسطين لإنشاء دولة يهودية، إذ لا سبيل إلى قيام مملكة الرب دون عودة شعب يهوه إلى وطنه.

وبعكس ما تنبأ به رسل، فإن العالم لم ينته عام ١٩١٤، بل إن الحرب العالمية الأولى بدأت فى ذلك العام. ولما توفى رسل عام ١٩١٦، تولى الحركة بعده تابعه چوزيف رذرفورد فى الفترة ١٩١٧ ـ ١٩٣٨، وأطلق عليها اسم «شهود يهوه» واشتق الاسم من العبارة «أنتم شهودى يقول يهوه» الواردة فى سفر أشعيا. ثم تلاه فى قيادة الحركة ناثان هومر كنور.

ويعتبر شهود يهوه أن يهوه (الإله اليهودى) أوقد مشعل الحقيقة على يد رسل، الذى اؤتمن هو وجماعته على رسالة البر بيهوه، لنشرها بين البشر الأشرار.

وبرغم أن كنيسة شهود يهوه تعتبر مسيحية، إلا فإن الشهود ينكرون لاهوت المسيح وعقيدة التثليث وقيامة المسيح بالجسد، بل يعتقدون أن يسوع هو ابن يهوه، وأن رسالته ليست تطهير البشر وإنما الاحتفاء بقوة يهوه وتأكيد سلطته، وأن موت المسيح هو أبدى نهائى.

ويعتقد الشهود أن نهاية الدينونة بدأت عام ١٩١٤ (العام الذى اعتبره رسل عام نهاية العالم)، بعد استكمال الوجود الإنسانى ستة آلاف عام، وأن العالم مازال فى انتظار مجىء المسيح الذى ليس هو المسيح بن مريم، وإنما مسيحهم المنتظر ليقيم حكمه فى أورشليم. وينبنى ذلك الاعتقاد على ما ورد فى سفر دانيال حول الزمن الذى كتب فيه على الشعب وأورشليم ختم الخطيئة والمعصية وخروج الأمر من لدن يهوه إلى المسيح المنتظر لإعادة بناء أورشليم ثم خلاص أتباع يهوه (!!)

لقد أبدى اللاهوت والفكر الأمريكى فى القرن التاسع عشر، حماسةً للنظرية الألفية «الميللية» وفقا لتفسير البروتستانتى چون نيلسون داربى (١٨٠٠ ـ ١٨٨٢). فقد رأى داربى أن عالم ما قبل الألفية محكوم بتدبيرات إلهية على مراحل، لأن الرب يسير التاريخ البشرى إلى نهايته، معتمداً على ما ورد فى سفر دانيال (الإصحاح التاسع: ٢٤ ـ ٢٧) عن السبعين أسبوعا، ومستفيدا مما ورد فى سفر حزقيال (الإصحاح الرابع: ٦) بأن اليوم الواحد يساوى سنة. وبذلك أصبحت السبعون أسبوعا ٤٩٠ سنة بعدها تكون نهاية التاريخ. واعتبر داربى أن مرحلة الـ٤٩٠ سنة تبدأ منذ إعادة بناء الهيكل بعد عودة اليهود من السبى البابلى، أى قبل ٤٨٣ سنة من ميلاد يسوع المسيح. وبالتالى كان المفترض أن ينتهى التاريخ الإنسانى بعد ٧ سنوات من ميلاد يسوع. إلا أن اليهود شعب الله المختار رفضوا يسوع. ومنذ ذلك التاريخ أصبح التاريخ الإنسانى فاسداً ولم يبرح تلك السنوات السبع التى مازال العالم يعيشها. ولكن المسيح سيعود باعتبار ذلك تدبيراً إلهيّا بعد أن

تنتهى مرحلة السنوات السبع التى فسد فيها الإنسان وتوقف التاريخ، وستكون النهاية بمعركة هرمجدون قبل المجيء الثانى للمسيح. وستكون إحدى علامات نهاية التاريخ عودة اليهود إلى فلسطين.

لقد حاول داربى تفسير الماضى «نبوءات العهد القديم»، وكأنه تفسير للمستقبل كتدبيرات للرب لنهاية التاريخ.

وقد زار داربى الولايات المتحدة ست مرات بين عامى ١٨٥٩ و١٨٧٧، وأصاب نجاحًا عظيمًا بعد نهاية الحرب الأهلية، حيث كانت الكنائس تتخوف من نمو اللاهوت الليبرالى وما تردد عن النقد المتزايد للكتاب المقدس القادم من ألمانيا. وتطلَّع اللاهوتيون الأمريكيون إلى أيديولوچية جديدة ترد عنهم رياح التغيير الدينى. وبدت لهم «تدبيرية داربى» كهبة من السماء.

وكان ممن تأثروا بـ «تدبيرية داربى» اللاهوتى المشيخى چيمس إتش بروكز الذى أصبح أحد أهم لاهوتيى الألفية والتدبيرية. وقام بروكز بنشر أولى كبريات الدوريات الأصولية الأمريكية "الحقيقة من أجل المسيح، The Truth for the Christ» التى بدأت الظهور عام ١٨٧٥ وواصلت الصدور حتى وفاته فى عام ١٨٩٧.

وأسس بروكز للألفية والتدبيرية على أساسين: أولهما الإيمان الحرفى بالمجيء الثانى للمسيح، وثانيهما الإيمان بالبعث اليهودى فى فلسطين. وشدد بروكز وأتباعه على عصمة الكتاب المقدس فى كل تفصيلاته وعلى وجوب العمل به حرفيا حيثما كان ممكنا.

ومثل داربى، كان بروكز مهووسًا باليهود، فقد اعتبر أن خلاص المسيحيين بأيدى اليهود، وفى حين أنه توفى مع انطلاق الحركة الصهيونية، إلا أنه كان مولعًا بسماع أى أخبار عن عودة اليهود إلى فلسطين، أو أى جهد بخصوص ذلك سواء فى الولايات المتحدة أو فلسطين. وكان ضمن أتباع بروكز فى حركته الألفية التدبيرية، المحامى والسياسى سايروس أى. سكوفيلد (١٨٤٣ - ١٩٢١) الذى تحول إلى الخدمة الكنسية فى الكنسية الأبرشية الأولى فى دالاس، وطبع الكتاب المقدس بشروح من عنده فى «مرجع سكوفيلد للكتاب المقدس»، الذى أصبح مرجع الأصولية الأمريكية فى القرن العشرين.

وأصبح ضمن الشخصيات المؤثرة فى حركة الألفية - التدبيرية، بنهاية القرن التاسع عشر المهاجر الألمانى آرنو سى. جيبليان (١٨٦١ - ١٩٤٥)، حيث أصدر فى نيويورك

عدداً من الصحف بالإنجليزية واليديشية، للترويج لمجيء المسيح ولنمو الحركة الصهيونية، وكتب رسالتين إحداهما لليهود «الأمل فى إسرائيل» والأخرى للمسيحيين «أملنا»، أصبحتا مؤثرتين فى انتشار فكر الألفية التدبيرية(١١).

غير أن «الهوس» باليهود عند داربى وبروكز وسكوفيلد وجيبليان، أطلق فكرة «البعث اليهودى»، والدعوة لإقامة دولة يهودية فى أية بقعة من العالم، ثم فى فلسطين فيما بعد.

دولة «آرارات» اليهودية فى نيويورك

كان ضمن مؤثرات الثورة الفرنسية فى الفكر والسياسة فى الولايات المتحدة أوائل القرن التاسع عشر، فكرة تسييس البعث اليهودى. ففى عام ١٨٠٧، أحيا نابليون «السنهدريم» اليهودى، الذى كان يمثل جهاز الحكم للعالم اليهودى قبل احتلال الرومان لأورشليم. كما تبنى نابليون دعوة بعث اليهود فى فلسطين، فى إطار العقيدة الألفية التدبيرية، ولكن آمال اليهود أحبطت بعد هزيمة ووترلو.

وكانت نتيجة كل ذلك فى الولايات المتحدة، أن قامت محاولة حقيقية لإقامة دولة يهودية. وقام بالمحاولة اليهودى الأمريكى موردخاى نوح الذى أصاب نجاحا كبيرا كصحفى وكاتب مسرحى وسياسى وأصبح قنصل الولايات المتحدة فى تونس. وفى طريقه إلى تونس، توقف فى باريس عام ١٨١٥، حيث التقى آبا جريجوار الذى أخبره بخبر «السنهدريم». وفى تونس تألم للظروف التى يعيش فيها اليهود هناك. ودفعه ذلك للعمل من أجل شعبه لدى عودته للولايات المتحدة. فأعلن نفسه كبير قضاة إسرائيل، ودعا إلى إقامة دولة يهودية فى «جراند آيلاند» على نهر نياجرا بين شلالاته المعروفة و«بافالو» فى نيويورك. ووفقا للخطة طلب مساعدة أعضاء سنهدريم باريس لتحصل الدولة اليهودية على الشرعية الدولية. وخطط نوح من أجل الحصول من المجلس التشريعى لولاية نيويورك على قانون لإقامة الدولة اليهودية تحت اسم «آرارات»، بالرغم من أن المجلس التشريعى للولاية، أكد على أن قانون الولاية يؤمن حقوق اليهود الذين يريدون استيطان الجزيرة.

وقد أوضح نوح أنه لايريد إقامة دولة يهودية إلى الأبد فى جزيرة «جراند آيلاند»، وأن نيته أن تكون جراند آيلاند «مكانا» لليهود الذين سيجتمعون فيه من كل أنحاء العالم، تمهيداً لنقلهم إلى فلسطين، التى كانت وقتئذ تحت الحكم التركى.

وكانت نية نوح أن يجمع فى «آرارات» اليهود من أوروبا وآسيا وإفريقيا، بالإضافة إلى القبائل الإسرائيلية العشر المفقودة فى أمريكا، كما قال. واستثنى من اليهود يهود أوروبا الشرقية الذين رفضوا التهود، فأصبحوا خارجين على اليهودية منذ ألف عام، حسب تحديده.

وبالرغم من جهوده، وإعلانات النوايا التى أوضحها نوح، فإن الدولة اليهودية فى «آرارات» سرعان ماسقطت بمجرد قيامها. فقد أقيم احتفال كبير فى «بافالو» لوضع حجر أساس الدولة، إلا أن «سنهدريم» باريس، اعتبر آرارات مشروعًا عقاريًا أمريكيًا، وأن المسيح عندما يأتى سيكون قادراً على تأسيس الدولة اليهودية. وظلت معارضة اليهود لإقامة دولة يهودية قبل مجىء المسيح، حتى بداية الحركة الصهيونية مع نهاية القرن التاسع عشر[١٢].

وبرغم سقوط دولة «آرارات» قبل أن تقوم، فقد بقيت فكرة «تسييس» البعث اليهودى التى تلقفتها الصهيونية.

وكان تراث اللاهوت البروتستانتى البيوريتانى (المتهود) والعقيدة الميللية، هو التراث الذى انبجست عنه مسيحية صهيونية أمريكية منذ العقد الخامس فى القرن التاسع عشر، وقبل صهيونية هيرتزل بعقود. وهو التراث الذى رفد الثقافة والسياسة فى الولايات المتحدة باعتقاد الالتزام بإقامة إسرائيل (عودة اليهود) والانحياز لهم، كالتزام لاهوتى وثقافى ثم سياسى.

وليس من عجب أن يكون أول قنصل أمريكى فى القدس، كان قد تحول من المسيحية إلى اليهودية وهو القنصل واردر كريسون. وقد بدأ تحول كريسون باهتمام انتابه فجأة بفلسطين.

ففى عام ١٨٤٤، قرر الذهاب إلى هناك ليقوم بـ «عمل الرب» ويساعد على إنشاء وطن قومى لليهود فى «أرض الميعاد».

ولم يكد يصل إلى المدينة حتى بدأت رسائله ومذكراته تترى على أفراد أسرته ورؤسائه فى واشنطن داعيا إلى النهوض بما تتطلبه «الحاجة الماسة والعاجلة إلى جعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود حتى يلتئم شمل الأمة اليهودية وتمارس شعائرها وتزدهر. ولما لم يلق استجابة من المسئولين لتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين، أجرى اتصالات بعدد من

المسئولين فى السلطة العثمانية. ولما فشلت جهوده بقى فى القدس واستوطن فى «أرض الميعاد» وأرسى سابقة مالبث أن أخذ بها بعده مسيحيون أمريكيون.

فبعد ذهاب كريسون إلى القدس بستة أعوام، أى فى عام ١٨٥٠، هاجر إلى فلسطين عدد من الأصوليين الأمريكيين بقيادة السيدة كلوريندا ماينور التى هجرت زوجها الثرى وأبناءها فى فيلادلفيا إلى فلسطين، فى محاولة لم يكتب لها النجاح لإقامة شبه كيبوتز سبقوا به كيبوتزات الصهيونية بعقود من الزمان، فى انتظار المجىء الثانى للمسيح. لكنهم، وبعد أن طال انتظارهم، عادوا إلى فيلادلفيا دون أن يحققوا «الخلاص» بعد سبعة أعوام من المغامرة.

ولم تكن تلك مرة أخيرة. فبعد بضعة أعوام، فى عام ١٨٦٦، قام ١٥٠ حاجّا مسيحيّا من ولاية مين بمغامرة استيطان مماثلة فى فلسطين انتظاراً للمجىء الموعود، مالبثت أن باءت بالفشل هى الأخرى، وبرر من قاموا بها إخفاق مشروعهم بأن المجىء تأخر لأن الشعب المختار لم يكن قد تجمع كله فى أرض الميعاد بعد(١٣).

بيد أن هذه الحماسة للعقيدة «الميللية»، أطلقت حركة مسيحية صهيونية قام بها مولون وسياسيون طالبوا بعمل شعبى لإعادة اليهود إلى فلسطين.

ويليام بلاكستون

يعتبر ويليام بلاكستون (١٨٤١ ـ ١٩٣٥) الممول والرحالة والمبشر الإيفانجيلى واحدامن أبرز المسيحيين الصهيونيين الأمريكيين الذين أطلقوا تلك الحركة.

ولد ويليام بلاكستون لأسرة مسيحية من أتباع الكنيسة المنهجية.. ومنذ صباه شغف بقراءة العهد القديم وتتبع مافيه من تنبؤات عن مجىء المسيح. وقد أصاب ثروة ضخمة من صناعة الإنشاءات واستثمارات أخرى، واعتقد أن تلك الثروة لم تعط له لغير غاية، وأخذ على عاتقه الإعداد للمجىء الثانى للمسيح.

وانطلاقًا من ذلك، تزعم حركة لإعادة اليهود إلى فلسطين قبل مجىء المسيح. وبدأ بلاكستون حركته بكتابه «يسوع قادم» الذى نشر عام ١٨٧٨، وكان له أثر كبير فى البروتستانتية الأمريكية الإيفانجيلية. إذ أصبح ذلك الكتاب الذى بيع منه أكثر من مليون نسخة وترجم إلى ٤٨ لغة، بما فى ذلك العبرية، أروج الكتب التى تنشر المثالية الصهيونية

فى إطار الاعتقاد بالعصر الألفى السعيد، بل يمكن أن يكون أكثر الكتب المتعلقة بعودة المسيح انتشاراً. كما أن عدد الزعماء المسيحيين الذين أثار الكتاب انتباههم لعودة المسيح كان يفوق عدد من أثر فيهم أى كتاب آخر نشر طوال عشرات السنين. ومن أولئك ملفيل فولر كبير القضاة وحكام ولايات ونواب فى الكونجرس، كما كان بينهم رجال دين بروتستانت وكاثوليك ومولون رأسماليون مثل دى بونت ومورجان وچون روكفلر ووليام روكفلر ورسل سيج وتشارلز سكربنر[(١٤)].

وقد قام بلاكستون بزيارة لفلسطين حاجًا إلى الأرض المقدسة برفقة ابنته عام ١٨٨٨، وتمخضت زيارته عن الشعار الذى استغلته الصهيونية اليهودية بعد ذلك استغلالا بالغ الفعالية فيما تعلق بالضمير الغربى. فكما قال إنه أفزعه وابنته «الشذوذ المتمثل فى أن فلسطين هذه تركت هكذا أرضا بغير شعب بدلا من أن تعطى لشعب بغير أرض».

وفى سنة ١٨٩١، تقدم بلاكستون بـ «عريضة» إلى الرئيس الأمريكى بنيامين هاريسون مطالبًا بتدخل أمريكا لإعادة اليهود إلى فلسطين. وجمع على العريضة توقيعات ٤١٣ من كبار الأمريكيين المسيحيين البارزين، كان من بينهم عميد أسرة روكلفر آنئذ، چون روكفلر، وكبير قضاة المحكمة العليا، ورئيس مجلس النواب، وعدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ، ورؤساء تحرير عدد من الصحف الكبرى.

وجاء فى عريضة بلاكستون:

«. . طبقًا لتوزيع الرب أرضه على الأمم، تظل فلسطين (وطن اليهود)، وتظل ملكًا لهم غير قابل للتصرف، طردوا منه بالقوة الغاشمة. وعندما كانوا يفلحونها كانت فلسطين أرضًا مثمرة أقامت أود ملايين عديدة من بنى إسرائيل الذين عملوا بكد فى وديانها وعلى سفوح تلالها. فلقد كانوا أمة زراعية منتجة بقدر ماظلّوا أمة ذات باع تجارى عظيم، وكانوا مركز الحضارة والدين. فلم لا تضطلع الدول الكبرى التى أعطت بلغاريا للبلغار وصربيا للصرب بإعادة فلسطين لليهود. . ؟!»[(١٥)].

وكان الظرف الذى استغله بلاكستون لكتابة عريضته، هو تدافع هجرة اليهود الروس إلى الولايات المتحدة بدءًا من سنة ١٨٨١.

ولذلك، نجد بلاكستون يخاطب فى عريضته نزوعين لدى الأمريكيين، أولهما نزوع الاعتقاد بضرورة إرسال اليهود إلى فلسطين، وثانيهما نزوع التخوف من تدافع اليهود إلى

أمريكا، ليصل إلى أن تأمين إقامة إسرائيل هو تأمين لقوة وعظمة أمريكا التى سيباركها الرب إذا وقفت إلى جانب اليهود.

وفى هذا السياق، قدم بلاكستون عريضته إلى الرئيس هاريسون مشفوعة باستشهاد من العهد القديم عن الملك الفارسى قورش، الذى جعله أشعيا «مسيح الرب يهوه»، وقال إن يهوه بارك «مسيحه قورش الذى أمسك بيده وداس أمامه أمما ملوك. . سحق وفتح أمامه المصاريع وجعل الأبواب لا تغلق، وأعطاه ذخائر الظلمة وكل كنوز الأرض الخبيئة»(١٦).

وقصد بلاكستون باستشهاده من العهد القديم أن يصبح هاريسون أمريكا هو مسيح الرب الجديد الذى يعيد فلسطين لليهود كما فعل قورش فارس من قبل، تحقيقًا لمشيئة الرب.

وقد اعترف الرئيس هاريسون باستلام عريضة بلاكستون، ولكن رغم وعده بأن «يأخذها بعين الاعتبار»، فإن ذلك لم يتمخض عن نتائج ملموسة. لكن وزارة الخارجية الأمريكية أرسلت مذكرة احتجاج للحكومة الروسية تنص على أن تدفق اليهود الفقراء بشكل ضخم وغير مقيد للإقامة فى أمريكا يعزى إلى «الإجراءات التعسفية» التى تقوم بها الحكومة الروسية، وأن «كرم الأمة ـ يجب ألا يتحول إلى عبء»(١٧). وتكشف مذكرة وزارة الخارجية عن أن الوساطة الأمريكية من أجل اليهود الروس، لم تكن فقط بدافع مسيحى صهيونى، وإنما كانت أيضا بدافع عدم رغبة الحكومة الأمريكية فى تحمل عبء مجىء اليهود المطرودين إلى الولايات المتحدة.

إن ترابط الدافع المسيحى الصهيونى فى أمريكا (عودة اليهود إلى فلسطين انتظارًا لمجىء المسيح) مع دافع التخوف من الهجرة اليهودية إلى أمريكا، سيجعل من المسيحية الصهيونية أكثر تشددًا من صهيونية هيرتزل. بل إن الصهيونية اليهودية ستجد فى اللاهوت البروتستانتى والعقيدة الميللية لدى المسيحية الصهيونية، السند «الأخلاقى» و«العقيدى» الذى جعل من الصهيونية اليهودية «حركة قومية» هدفها إعادة «الشعب» اليهودى إلى «أرضه» فلسطين، أى إحلال دولة يهودية محل الفلسطينيين فى فلسطين.

فهرتزل عندما طرح أفكاره أولا على الحكومة البريطانية، لإقامة دولة يهودية، اقترحت بريطانيا إقامة الوطن اليهودى فى العريش، على الحدود المصرية، ولم يعترض هرتزل. ثم طرحت بريطانيا فكرة إقامة ذلك الوطن فى قبرص، ثم فى أوغندا. ولم يبد هرتزل تمسكًا بأن يكون ذلك الوطن فى فلسطين، لكنه تمسك بوجوب إنشاء دولة

يهودية على أى أرض يمكن للدول الكبرى، وبخاصة بريطانيا، أن تمكن الحركة الوليدة من إقامة دولتها عليها.

أما المسيحيون الصهيونيون، وعلى رأسهم ويليام بلاكستون، فقد اتخذوا موقفًا متشددًا، وانتقدوا الموقف المتساهل لهرتزل والمؤتمر الصهيونى الأول فى بازل عام ١٨٩٧، حتى إن بلاكستون أرسل إلى هرتزل (مؤسس الحركة الصهيونية اليهودية)، نسخة من العهد القديم وقد علم على صفحاتها مشيرًا إلى الفقرات التى عين فيها النبييم فلسطين تحديدًا بأنها «الوطن المختار للشعب المختار»[١٨].

وتشير ريجينا الشريف إلى أن فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين كانت قد تغلغلت فى الثقافة الأمريكية قبل ستة أعوام من عقد المؤتمر الصهيونى اليهودى الأول فى بازل، ولاقت رواية دانيال ديروندا التى كتبتها چورچ إليوت رواجًا فى أمريكا، حيث أخذت الصحافة العامة تركز على جدواها السياسية. وانتشرت أفكار لورنس أوليفانت فى أمريكا على يد كلود. كوندر الذى أكد أن اليهود وحدهم هم القادرون على تلبية احتياجات فلسطين. وأصبح الربط بين اليهود وأرض فلسطين أمرًا تلقائيا، وقويت فكرة البعث اليهودى القومى المتنامية نتيجة انتشارها فى الصحافة العامة والأدب الدينى والدنيوى فى ذلك الوقت[١٩].

ذلك كان الجو الثقافى والسياسى العام فى أمريكا مع نهاية القرن التاسع عشر وحتى صدور وعد بلفور عام ١٩١٧. ولم ينف ذلك وجود عداء لأهداف الصهيونية السياسية بين فرق يهودية ومسيحية فى المجتمع الأمريكى.

فخلال المؤتمر المركزى للحاخامين الأمريكيين الذى عقد عام ١٨٨٥ فى مدينة بتسبرج، قرر ممثلو اليهودية الإصلاحية Reform Judaism «أن اليهود لا يشكلون قومية وإنما فئة دينية»[٢٠]. وخلال المؤتمر المركزى للحاخامين الأمريكيين عام ١٨٩٧ (عام المؤتمر الصهيونى فى بازل)، خطب الحاخام يتسحاق وايز قائلا: «إن «مكيدة» بازل لم تكن سوى «وهم طائش»، لأن مشروع الدولة يتناقض مع رسالة اليهود الدينية ذات النطاق العالمى»[٢١].

وبمناسبة وعد بلفور، أصدرت ثلاثون شخصية يهودية مرموقة فى الولايات المتحدة، بيانًا جاء فيه:

«فى الوقت الذى تطرح فيه مسألة نظام الحكم المستقبلى فى فلسطين أمام مؤتمر السلام المقبل، نحن الموقعين أدناه، من المواطنين الأمريكيين، نعلن بصوت موحد معارضتنا

لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين، وفقا لاقتراحات المنظمات الصهيونية هنا وفى أوروبا. كما أننا نعترض على عزل اليهود عن مجتماعاتهم وتمييزهم ككيانات قومية في البلاد التى يعيشون فيها.

ونشعر بأننا نعبر عن آراء أفراد الأغلبية فى الجالية اليهودية فى أمريكا، سواء من ولد هنا أو فى بلاد أخرى، لكنهم عاشوا هنا فترة طويلة وانخرطوا تمامًا فى المجتمع الأمريكى سياسيًا واجتماعيًا.

ويمثل اليهود الصهيونيون فى أمريكا ـ حسب الإحصاءات المتوافرة لدينا ـ نسبة ضئيلة من اليهود المقيمين فى هذا البلد، نحو ١٥٠ ألف نسمة من مجموع ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة»(٢٢).

وتعبر مذكرة وزير الخارجية روبرت لانسنج إلى الرئيس وودرو ويلسون فى ١٣ من ديسمبر سنة ١٩١٧، عن معارضة يهودية ومسيحية، كما يبين نص المذكرة:

عزيزى الرئيس:

«هناك ضغط كبير لإصدار بيان حول الموقف الذى ستتخذه هذه الحكومة تجاه فلسطين، وهذا نابع من العنصر الصهيونى لليهود، أرى أن علينا أن نتلكأ فى إعلان سياسة لثلاثة أسباب:

أولها: أننا لسنا فى حالة حرب مع تركيا، ولذا فعلينا أن نتحاشى كل مامن شأنه أن يظهر أننا نؤيد أخذ أراضٍ بالقوة منها.

وثانيهما: أن اليهود ليسوا جميعًا راغبين فى إعادة جنسهم كشعب مستقل، ومن غير الحكمة تفضيل فريق على آخر.

وثالثهما: أن كثيرًا من الفرق المسيحية والمسيحيين سيغضبون حتمًا إذا وضعت الأرض المقدسة تحت السيطرة المطلقة للجنس الذى يعزى إليه موت المسيح.

ولأسباب عملية، لا أرى ضرورة الذهاب إلى أبعد من السبب الأول فهو كاف لتجنب إعلان سياسة حول وضع فلسطين النهائى»

ولكن الرئيس وودرو ويلسون، تجاهل رسالة وزير خارجيته، وصادق رسميًا على وعد بلفور فى الرسالة التالية التى بعث بها إلى زعيم الصهيونية الأمريكية الحاخام ستيفى وايز:

«راقبت باهتمام مخلص وعميق العمل البناء الذى قامت به لجنة وايزمان فى فلسطين بناء على طلب الحكومة البريطانية، وأغتنم الفرصة لأعبر عن الارتياح الذى أحسست به نتيجة تقدم الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة والدول الحليفة، منذ إعلان السيد بلفور باسم حكومته عن موافقتها على إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، ووعده بأن تبذل الحكومة البريطانية قصارى جهدها لتسهيل تحقيق ذلك الهدف، مع الحرص على عدم القيام بأى عمل يلحق الأذى بالحقوق المدنية والدينية لغير اليهود فى فلسطين، أو حقوق اليهود ووضعهم السياسى فى دول أخرى»[٢٤].

وتدلل ريجيناالشريف على أن مصادقة ويلسون على وعد بلفور نابعة من اعتقاده المسيحى الصهيونى. لقد كان ويلسون ينحدر من أبوين ينتميان للكنيسة المشيخية، ونشأ على التعاليم البروتستانتية الأمريكية التى كانت تؤمن بالأسطورة الصهيونية ولو من الناحية الروحية. وقد وفرت له تلك التعاليم رصيداً غير مباشر من المشاعر والأفكار التى تركت أثراً على موقفه المستقبلى من الحركة الصهيونية وأهدافها. وكان يسعد ويلسون أن يكون له دور فى إعادة اليهود إلى «أراضيهم». **واعترف بأنه «كربيب بيت قس ينبغى أن يكون قادراً على المساعدة على إعادة الأرض المقدسة لأهلها»[٢٥]**. وكانت تصريحاته العلنية والسرية متسقة مع الفكرة الصهيونية، وبما يؤكد أن قراراته عن فلسطين والصهيونية كانت نابعة من مشاعره الذاتية لا من اعتبارات السياسة الواقعية.

لقد كان ويلسون صهيونيا عن اقتناع ذاتى. وقد تبدو صهيونيته متعارضة مع نقاطه الأربع عشرة الشهيرة التى وردت فى خطابه أمام مؤتمر باريس للسلام، وتضمنت تلك النقاط رفض مبدإ الحصول على الأرض بالقوة، وإدانة الاتفاقيات السرية، والمطالبة بحق تقرير المصير للشعوب، وتأمين الفرصة للأقليات غير التركية فى الإمبراطورية العثمانية للتطور الذاتى.

وأشار وزير الخارجية لانسنج إلى أن موقف الرئيس ويلسون من الصهيونية كان واضح التناقض مع مبدئه عن حق تقرير المصير.

لكن مبادئ الصهيونية وتقرير المصير لم تكن متناقضة من المنظور الصهيونى. فالقوميات غير التركية فى الإمبراطورية العثمانية، كانت فى المنظور الصهيونى: اليهود والأرمن، وبالتالى فإنه تنطبق على هاتين القوميتين مبادئ تقرير المصير.

إن صهيونية ويلسون لم تكن إلا امتداداً لصهيونية شاملة سادت المجتمع الأمريكى وقت إعلان وعد بلفور، حسب دراسة تشارلز إسرائيل جولد بات التى أثبت فيها من

خلال تحليل مضمون الصحافة الأمريكية وقتئذ أن الرأى العام الأمريكى كان يؤيد بشدة وعد بلفور، لدرجة أن «المشاعر المعادية للصهيونية التى أمكن استشفافها فى الصحافة كانت فقط تلك المنبثقة عن تصريحات صادرة عن شخصيات يهودية معادية للصهيونية»[٢٦].

ويشير روبن فنك إلى أن موافقة الكونجرس على وعد بلفور جرت بشكل مذهل، وبمضمون صهيونى وعبرانى[٢٧].

ويورد فنك شهادة فى الكونجرس كمثال لصهيونية الكونجرس المبكرة، يقول فيها ويليام آى كوكس ممثل إنديانا:

«كما خلص موسى الإسرائيليين من العبودية، فإن الحلفاء الآن يخلصون يهودا من أيدى الأتراك القبيحين، وهى الخاتمة الملائمة لهذه الحرب العالمية. إن يهودا يجب أن تقوم كأمة مستقلة وتكون لها القوة لتحكم نفسها وتتقدم وتكمل مثالياتها فى الحياة. إننى أحس أننى أعبر عن أفكار الشعب الأمريكى، وبالتأكيد عن أفكار أولئك الذين بحثت معهم هذا الموضوع، وهو أن حكومة الولايات المتحدة يجب أن تمارس سلطاتها الملائمة لرؤية هذه الدولة اليهودية تقام لتنبثق منها تعاليم ومبادئ يهودا القديمة»[٢٨].

وتورد ريجينا الشريف خطابًا لرئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب هنرى كابوت لودج، ألقاه فى بوسطن عام ١٩٢٢، وقال فيه:

«يبدو لى أنه أمر مناسب وجدير بالثناء أن يرغب الشعب اليهودى فى كل أنحاء العالم فى أن يكون لأفراد جنسه الراغبين حق فى العودة إلى الأرض التى كانت مهدا لهم والتى عاشوا وجاهدوا فيها آلاف السنوات.. **اننى لم أحتمل أبدًا فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين.. إن بقاء القدس وفلسطين المقدسة بالنسبة لليهود.. والأرض المقدسة بالنسبة لكل الأمم المسيحية الكبرى فى الغرب فى أيدى الأتراك، كان يبدو لى لسنوات طويلة وكأنه لطخة فى جبين الحضارة من الوجب إزالتها»**[٢٩].

ولا يخفى من الخطاب أن لودج لم يكن فقط صهيونيّا، بل ومعاديًا للمسلمين (المحمديين) أيضًا.

وهذا التأييد المذهل لوعد بلفور، جعل موافقتى مجلسى الكونجرس متساوقتين. فى البدء وافق مجلس الشيوخ بصيغة عامة عندما قرر فى يونيو عام ١٩٢٢ **«أن الولايات**

المتحدة الأمريكية تحبذ إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين طبقًا للشروط التى يتضمنها وعد الحكومة البريطانية فى ٢ عام نوڤمبر عام ١٩١٧ والمعروف بوعد بلفور» .

وفى الشهر ذاته وافق مجلس النواب بصياغة أشد صهيونية ، إذ جاء فى ديباجة قراره فى ٣٠ من يونيو عام ١٩٢٢ :

«حيث إن الشعب اليهودى كان يتطلع لقرون طويلة ويتشوق لإعادة بناء وطنه القديم ، وبسبب ماتمخضت عنه الحرب العالمية ودور اليهود فيها ، فيجب أن يمكن الشعب اليهودى من إعادة إنشاء وتنظيم وطن قومى فى أرض آبائه مما يتيح لبيت إسرائيل فرصته التى حرم منها طويلا ، وهى إعادة تأسيس حياة يهودية وثقافة مثمرة فى الأرض اليهودية القديمة» .

ومنذ أن وافق الرئيس ويلسون على وعد بلفور ، التزم خلفاؤه فى الرئاسة بالموقف الصهيونى ، وأظهروا تعاطفًا مع الحركة الصهيونية وأهدافها فى فلسطين .

وقد عبر خلفه الرئيس وارن هاردنج ، عن موقفه الصهيونى بوضوح ، فى الأول من يونيو عام ١٩٢١ ، بقوله : إنه يستحيل على من يدرس خدمات الشعب اليهودى ألا يعتقد أنهم سيعادون يومًا إلى وطنهم القومى التاريخى ، حيث يبدءون مرحلة جديدة ، بل مرحلة أكبر ، من مساهمتهم فى تقدم الإنسانية[٣٠] . وعبّر هاردنج [٣١] كذلك عن تأييده الشديد لصندوق إنشاء فلسطين فى عام ١٩٢٢ .

ثم جاء الرئيس كالڤين كولدج ، وأكد فى عام ١٩٢٤ إيمانه بـ «الوطن القومى اليهودى فى فلسطين»[٣٢] .

ومن بعده ، هنّأ الرئيس هربرت هوڤر فى عام ١٩٢٨ الحركة الصهيونية على إنجازها العظيم فى فلسطين ، مرددًا فكرة البعث اليهودى فى فلسطين»[٣٣] .

أما الرئيس فرانكلين روزڤلت ، الذى مال فى البداية إلى موقف براجماتى يأخذ فى الاعتبار مصالح أمريكا مع الدول العربية ، فإنه خضع ـ فى النهاية ـ للضغط الصهيونى (المسيحى واليهودى) .

لقد كان هدف الصهيونيين خلال عهد روزڤلت ذا شقين : تأمين أغلبية يهودية فى فلسطين ، ومن ثم إقامة دولة يهودية مستقلة أو كومنولث هناك . لذلك كان لإلغاء «الكتاب الأبيض» البريطانى الذى صدر عام ١٩٣٩ بتقييد الهجرة إلى فلسطين ، أولوية صهيونية مطلقة .

وتصاعد الضغط الصهيونى (المسيحى واليهودى) على روزفلت، خصوصًا بعد تأسيس «اللجنة الأمريكية الفلسطينية» التى ضمت ٢٠٠ من أعضاء مجلس النواب و٦٨ من أعضاء مجلس الشيوخ. وضغطت اللجنة لتأييد برنامج مؤتمر بلتيمور عام ١٩٤٢ بإقامة كومنولث يهودى فلسطينى.

ولذلك أعلن روزفلت فى برنامجه لانتخابات الرئاسة عام ١٩٤٤، أنه «يحبذ فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية غير المقيدة واستيطانها. . وأنه يحبذ أى سياسة تؤدى إلى إقامة كومنولث يهودى ديمقراطى حر. . وأنه على يقين بأن الشعب الأمريكى سيؤيد هذا الهدف. وإذا ما أعيد انتخابه فسيساعد على تحقيق هذا الهدف»[٣٤].

ولكن الهدف الصهيونى (المسيحى واليهودى)، تحقق فى عهد الرئيس هارى اس. ترومان، الذى تولى الرئاسة نتيجة وفاة روزفلت فى ١٢ من إبريل عام ١٩٤٥. فما أن تولى ترومان الرئاسة حتى أصدر بيانًا جاء فيه أن «وجهة النظر الرسمية الأمريكية من فلسطين هى السماح بدخول أكبر عدد من اليهود إليها قدر الإمكان. . حتى إمكان قيام دولة هناك»[٣٥].

ولم يكتف ترومان بقبول قرار التقسيم عام ١٩٤٧، بل طلب ممارسة الضغط على الحكومات الأخرى بالتصويت على التقسيم. وفى ١٤ من مايو عام ١٩٤٨، أعلن ترومان اعترافه بالدولة اليهودية المقامة حديثًا.

وقد فُسِّر موقف ترومان بقبول تقسيم فلسطين والاعتراف بدولة إسرائيل، بسعيه للحصول على الأصوات اليهودية فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٤٨.

غير أن «التصويت اليهودى» لم يكن العامل الحاكم فى سياسة ترومان، إذ إن ٢٠٪ من الأصوات اليهودية فقط كانت متأثرة بالسياسة الأمريكية فى فلسطين[٣٦].

إن قرار ترومان باعتراف أمريكا بالدولة اليهودية، كان متمشيًا مع خلفيته المسيحية المتهودة فى لحظة أوج المسيحية الصهيونية فى أمريكا.

فترومان كان معمدانيًا محافظًا. وتعتقد المعمدانية المحافظة فى مذهب العصمة الحرفية للكتاب المقدس، ويعتبر أنصارها أن إقامة دولة يهودية هى برهان واضح على تحقيق النبوءات التوراتية.

ويقول كلارك كليفورد مستشار ترومان فى البيت الأبيض ثم وزير الدفاع فى عهد كنيدى، إن ترومان درس التوراة بنفسه. وكان بصفته أحد تلاميذ التوراة يؤمن بالتبرير التاريخى لوطن قومى يهودى، وكان لديه اقتناع بأن وعد بلفور عام ١٩١٧ حقق آمال وأحلام الشعب اليهودى القديمة[٣٧].

ويذكر موشى ديفز فى كتابه «أمريكا والأرض المقدسة»، أنه عندما قُدّم ترومان فى معبد لاهوتى يهودى للحاضرين على أنه «الرجل الذى ساعد على خلق دولة إسرائيل»، رد ترومان قائلا: **«إننى قورش.. إننى قورش، ومن ذا الذى ينسى أن قورش هو الذى أعاد اليهود من منفاهم فى بابل إلى القدس؟!»**[٣٨].

الفصل الثالث

الإحياء الدينى والمسيحية الصهيونية

«لقد أقام كلا من إسرائيل وأمريكا مهاجرون رواد.. ثم إننا نتقاسم معكم تراث التوراة»

الرئيس كارتر
أمام الكنيست الإسرائيلى

«ونؤمن.. بأن الكتاب المقدس يعترف بأورشليم عاصمة روحية لإسرائيل وبأن المسيح اليهودى سيعود إليها»

القس مايك إيفانز

١ ـ الإحياء الدينى فى الخمسينيات والستينيات

يمكن وصف الحركة المسيحية الصهيونية والأصولية الأمريكية، فى النصف الأول من القرن العشرين، بأنها كانت «حركة ما قبل سياسية»، بالرغم من أنها اجتذبت قطاعا واسعاً داخل البروتستانتية الأمريكية، إذ لم تسع إلى السلطة سواء كانت تشريعية أو تنفيذية قبل السبعينيات.

لقد عرفت أمريكا الأصولية منذ نشأتها، كما عاشت الإحياء الأصولى مع الصحوة الدينية الكبرى فى أربعينيات القرن التاسع عشر. ونعنى هنا بالأصولية التيار الذى يعتقد فى «عصمة الكتاب المقدس»، أى الأخذ بالمعنى الحرفى للإنجيل والعهد القديم، وهى أصولية صهيونية باعتقادها فى حرفية الكتاب المقدس والنبوءات التوراتية عن بعث اليهود فى فلسطين، وقد أطلق على هذا التيار فى سبعينيات القرن التاسع عشر تيار التدبيرية. وشاع تعبير «الأصولية» فى الإعلام الأمريكى فى عشرينيات القرن العشرين بمناسبة انقسام الكنائس حول نظرية دارون. إذ استطاع الأصوليون الإيڤانجيليون أن يشغلوا الرأى العام بقضية چون سكوبز أحد مدرسى ولاية تينسى الذى اخترق الحظر الحكومى على تدريس نظرية دارون حول نشوء الإنسان، باعتبارها تعارض الاعتقاد بالخلق الإلهى للإنسان.

وقُدِّم سكوبز للمحاكمة بتهمة انتهاك قوانين الولاية، ولم تكن النتيجة لصالح الأصوليين وجرى وصفهم بالتعصب واللاثقافة ومعاداة الحداثة، إلا أن ذلك لم يعن أن التيار الأصولى كان هامشيا فى المجتمع الأمريكى، والدليل على ذلك قانون «تحريم الخمر» الذى استمر فى الولايات المتحدة من عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٣٣، وكان تعبيرا عن أخلاقية پروتستانتية أصولية فى النظام الاجتماعى الأمريكى[١].

واستفادت الأصولية من ظروف الكساد العظيم (١٩٢٩). فأسس الأصوليون مدارس وجامعات لاهوتية مثل مدرسة اللاهوت فى دالاس وجامعة بوب چونز، وعادوا البروتستانت المناصرين للحداثة.

وفى عام ١٩٣٣ ، انشقت مجموعة أصولية عن الكنيسة المشيخية للولايات المتحدة، وأسست الكنيسة المشيخية للكتاب المقدس، بزعامة كارل ماكنتاير.

وللمفارقة، فإن ماكنتاير ربط نفسه فى البداية بجماعات فى اليمين المسيحى، عنصرية ونازية، ومعادية للسامية، ومن ثم تركز نشاطهم على معاداة اليهود، ومعاداة الشيوعية(٢).

وجرى تفسير الإحياء الأصولى فى المجتمع الأمريكى وقتئذ، بأنه التأثير السلبى لانتقال المجتمع من نظام قديم إلى نظام حديث، وأنه ظاهرة ستزول مع اكتمال الانتقال ثقافيا وزوال الأسباب الاجتماعية له(٣).

واعتبر المؤرخ أرنست آر. ساندين أن الإحياء الأصولى تعبير عن صراع بين مجتمع حديث ونظام اعتقادى أساسه «التدبيرية» و«الميللينية»، بمعنى أن الرب يسير التاريخ بما لا يدرى البشر باتجاه المجىء الثانى للمسيح، ليحكم العالم فى الألف عام السعيدة.

ويشير ساندين ومعه اللاهوتى الأيرلندى چون نيلسون داربى إلى أن «التدبيرية» أصبحت تياراً فى نهاية القرن التاسع عشر، وأصبح تيار «اللا إرادية» يقسم التاريخ إلى مراحل، المرحلة الأخيرة منها مجىء المسيح لتخليص المسيحيين إلى الجنة قبل نهاية التاريخ (القيامة)، بمعركة هرمجدون بين قوى الخير والشيطان، ليحكم المسيح مع أتباعه فى الألف عام السعيدة، أما المرحلة قبل الأخيرة، فهى المرحلة التى يعيشها العالم الآن، قبل المجىء الثانى للمسيح. ولأن نبوءات الكتاب المقدس تشير إلى عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة الهيكل، اعتبر الأصوليون الأمريكيون أن إنشاء دولة إسرائيل مقدمة لمجىء المسيح(٤).

ويقول عالم الاجتماع چيمس ديفسون هنتر أن ظروف الكساد، أنعشت لدى الأصوليين الأمريكيين التوقعات بقرب مجىء المسيح، والاعتقاد بأن الكساد بحد ذاته عقاب إلهى لأمريكا المرتدة(٥).

ولذلك نشطت الكنائس الأصولية المشيخية والخمسينية فى مواجهة كنائس التيار العام البروتستانتى الحداثى.

وفى حركة كنسية مستقلة، تعكس الأخلاقية التقليدية والخلاص الشخصى والانسحاب من الحياة الحداثية، أسس كارل ماكنتاير عام ١٩٤١ ، منظمة «المجلس الأمريكى للكنائس المسيحية» (American Council of Christian Churchs - ACCC)

فى مقابل «المجلس الفيدرالى للكنائس»، ووصف المجلس الأمريكى للكنائس نفسه بأنه بشارة متشددة ومعادية للحداثة.

وضغط المجلس الأمريكى للكنائس المسيحية على لجنة الاتصالات الفيدرالية لاقتسام وقت البث الإذاعى المسموح به للپروتستانت بين الأصوليين والمجلس الفيدرالى للكنائس.

وبعد عام، تأسس «الاتحاد الوطنى للإيڤانجيليين» (National Association of Evan-gelicans) والذى شارك المجلس الأمريكى للكنائس فى الاعتقاد بحرفية الكتاب المقدس. وفى عام ١٩٤٣، وبعد عام من تأسيس مقره فى شيكاغو، افتتح الاتحاد الوطنى للإيڤانجيليين مكتبا له فى واشنطن العاصمة مهمته إرسال الإرساليات إلى الخارج وتمثيل الإيڤانجيليين بين قسس القوات المسلحة[٦].

وبحلول منتصف الأربعينيات، كان الاتحاد الوطنى للإيڤانجيليين يضم عضوية ٤٣ تجمعا كنسيا بالإضافة إلى ١٠٠ كنيسة[٧]. وزاد تأثير المجلس الأمريكى للكنائس فى نمو اليمين المسيحى. وعند تأسيس المجلس العالمى للكنائس، وفرعه فى أمريكا: المجلس الوطنى للكنائس، اعتبرهما الاتحاد الوطنى صنيعة الشيوعية العالمية[٨].

لقد استفادت الأصولية من ظروف الكساد، إلا أنها وجدت فرصتها التاريخية خلال الأربعينيات، وهاجم الأصوليون السياسات الاجتماعية التى اعتمدها الرئيس روزڤلت لمواجهة الكساد تحت مسمى «الصفقة الجديدة»، إلا أن معاداة الشيوعية كانت البيئة التى جعلت من الحركة الأصولية الإيڤانجيلية حركة شعبية.

وبعد الحرب العالمية الثانية، اهتم الاتحاد الوطنى للإيڤانجيليين بثلاث قضايا شملها برنامج الاتحاد.

كانت القضية الأولى معارضة العلاقات الدپلوماسية بين الولايات المتحدة والڤاتيكان. وكان الهجوم على مبدإ الفصل بين الكنيسة والدولة «العلمانية» القضية الثانية، أما القضية الثالثة، فكانت الضغط لمنع موافقة مجلس الشيوخ على منح المدارس العامة ثلاثة ملايين دولار، على أساس أن ذلك سيؤدى إلى سيطرة واشنطن على العملية التعليمية وتعليم الأجيال الصاعدة على أسس ليبرالية وعلمانية[٩].

واتخذ الاتحاد الوطنى للإيڤانجيليين، خطا أيديولوجيا يتفق مع الإجماع القومى على معاداة الشيوعية، كما سعى الاتحاد للحصول على تأييد الحكومة فى الحصول على

موجات بث إذاعى دينى مستقل. وكوّن الاتحاد ما سمى «اتحاد المذيعين الدينيين» الذى ضم ١٥٠ عضوا من الوعاظ الإذاعيين، وأصبح يعقد مؤتمرا سنويا منذ عام ١٩٥٦، ثم أصبح يعقد صلوات إفطار مع الكونجرس، وأحيانا كان الرئيس الأمريكى بنفسه يحضر المؤتمر السنوى[١٠].

ونجح الإيفانجيليون فى الضغط على لجنة الاتصالات الفيدرالية والتى أعلنت عن تغيير فى سياستها عام ١٩٦٠، فأصبح بموجب ذلك التغيير للإذاعات الدينية حق شراء أى وقت من البث الإذاعى بدلا من نظام الحصة السابق. وبذلك تمكن اتحاد المذيعين الدينيين (الإيفانجيلى) من شراء أوقات البث على الشبكات المحلية، ثم اتجه المذيعون الإيفانجيليون إلى برامج استعراض الكلام (Talk Show) التى بدأتها شبكة القس بات روبرتسون مع بداية الستينيات. وبقدر ما أصبحت تلك البرامج عالمية، أصبحت الشبكات الدينية المصدر المهم فى حركة اليمين المسيحى[١١]. ثم كان تأسيس إرساليات التبشير ليعطى زخما للحركة. إذ ركزت الإرساليات على من هم مسيحيون أصلاً وداخل الولايات المتحدة، وكان من أهم تلك الإرساليات منظمة «شبان المسيح»، للتبشير بين شباب أمريكا الشمالية، ولتدريب جيل تال من الإذاعيين للعمل على الموجات القصيرة وراء البحار. وذاعت شهرة المبشر بيلى جراهام بين مبشرى «شبان المسيح»، والذى بدأ بعثته التبشيرية فى أواخر الأربعينيات، وجذب انتباه اثنين من أباطرة الإعلام الأمريكى، أولهما ويليام راندولف هيرست الذى أبرق لمحررى مجلاته وصحفه: «لمِّعوا جراهام». وكان الثانى هنرى لوس الذى اجتذبته معاداة جراهام للشيوعية، فخصص له غلاف مجلة «تايم» لعددها فى ٢٥ من أكتوبر عام ١٩٥٤، باعتباره «الإيفانجيلى الجديد»، وأصبحت لجراهام شعبية كبيرة، اجتذبت الآلاف لسماع مواعظه فى المدن الكبرى من لوس أنجلوس إلى نيويورك. وبشعبية جراهام سنحت فرص عظيمة أمام الحركة الإيفانجيلية لتطوير موارد جديدة. وفى هذا المجال كان للمطبوعات دور مهم، فى وقت لم يكن فيه التليفزيون مسيطراً. ففى عام ١٩٥٠ تأسست مجلة «الاقتصادات المسيحية ـ كريستيان إيكونومكس» للدعوة للحرية الاقتصادية، والرأسمالية، ومعاداة الشيوعية. **وفى عام ١٩٥٦ أسس بيلى جراهام مجلة «المسيحية اليوم . . كريستيانتى توداى». وكانت رسالة المسيحية اليوم، كما فى أول افتتاحية لها، هى تطبيق وحى الكتاب المقدس فى كل المسائل الاجتماعية المعاصرة واستحضار معانى الرسالة الإيفانجيلية فى كل جوانب الحياة. وتضمن العدد الثانى للمجلة هجوما على قبول عضوية «الصين الحمراء» فى الأمم المتحدة، وبما يعنى أن ضمن رسالتها معاداة الشيوعية. ونشرت «المسيحية اليوم» مقالات لبيلى جراهام وإدجار هوفر مدير**

مكتب التحقيقات الفيدرالية، فى معاداة الشيوعية، بعناوين مثل «الدعاية الشيوعية وجوهر المسيحية»، وتضمنت أن الدعاية الشيوعية التى يقوم بها نفر من ملاحدة ماركسيين لينينيين عديمى الأخلاق، تستهدف ضرب جوهر المسيحية، والتشويش على المثالية والأخلاقية والفضيلة المدنية فى أمريكا[١٣]. وهكذا، فإن أكثر ما شغل اليمين المسيحى خلال الخمسينيات والستينيات، كان قضية معاداة الشيوعية، وهى القضية التى مثلت له مصدر الشرعية وأساس تطوره فيما بعد.

* * *

لقد بدأ عقد الستينيات بحملة صليبية معادية للشيوعية، قادها الاتحاد الوطنى للإيڤانجيليين، بتنظيم برامج لتجمعاته الكنسية التى وصلت ٤١ تجمعا وضمت عشرة ملايين من البروتستانت. وفى عام ١٩٦١ نشر «العمل الإيڤانجيلى الموحد» سلسلة دراسات تحت عنوان «الجواب المسيحى على الشيوعية» جُمعت بعد ذلك فى كتاب، ثم أنتج فيلم «الشيوعية على الخريطة»، وعقدت منظمة «شبان المسيح» مؤتمراً ضد الشيوعية.

والحق أن اليمين المسيحى من خلال حملته الصليبية ضد الشيوعية، أصبح رصيداً مهما للدولة، وذلك ما مهد الطريق للإيڤانجيليين نحو السلطة والممارسة السياسية[١٤]. وأمام احتمالات فوز مرشح الرئاسة الكاثوليكى چون كنيدى، ثارت ثائرة الإيڤانجيليين عام ١٩٦٠، ووجه بيلى جراهام مبشر «شبان المسيح» خطاباً إلى ريتشارد نيكسون نائب الرئيس محذراً من أن المرشح الديمقراطى كنيدى واثق من الحصول على أصوات الكاثوليك، واقترح جراهام أن يسمى الحزب الجمهورى وجها شعبياً پروتستانتيا للترشيح للرئاسة، هو والتر جود عضو الكونجرس الذى عمل مبشراً فى الصين قبل دخول الكونجرس. وكان يجمع بينه وبين نيكسون وجود العداء الصليبى للشيوعية.

ومن جهة، كان المرشح الديمقراطى الكاثوليكى كنيدى قد أعلن التزامه بفصل الكنيسة عن الدولة، ومعارضته لأى تمويل حكومى للمدارس الدينية، وبأنه لن يرسل بعثة دپلوماسية أمريكية لدى الڤاتيكان، وبذلك اجتذب البروتستانت واليهود الليبراليين إلى جانب الكاثوليك[١٥]. وشن الاتحاد الوطنى للإيڤانجيليين حملة ضد المرشح الرئاسى الكاثوليكى فى مؤتمر عقد فى واشنطن عام ١٩٦٠، باعتبار أن ترشيح كنيدى يمثل تدخلا خطيرا من الڤاتيكان فى السياسة الأمريكية، وأن كنيدى كرئيس سيصبح «دمية» للكنيسة الكاثوليكية.

وبمجرد أن انتخب كنيدى حاول تهدئة مخاوف الإيڤانجيليين، فحضر هو وعدد من معاونيه فى البيت الأبيض (بأكثر من العدد الذى كان يحضر به أيزنهاور) صلاة الإفطار السنوى مع الإيڤانجيليين. وقبل رحلته إلى أمريكا اللاتينية عام ١٩٦٢، دعا كنيدى القس بيلى جراهام إلى البيت الأبيض، وقال له مازحاً: «سأكون لك يوحنا الرسول»(١٦).

ولكن الإيڤانجيليين فى العام نفسه، ١٩٦٢، بدءوا أول مشروع تصويتى لصالح اليمين المسيحى تحت اسم «المواطن المسيحى» بهدف تدريب الإيڤانجيليين على الحملات الانتخابية والمنافسة الانتخابية، واستطاعوا تجنيد ألفى عضو فى تنظيم لدراسة اللجان الانتخابية في ١٧ ولاية.

وفى عام ١٩٦٤، دخل اليمين المسيحى المعترك السياسى، بترشيح بارى جولد ووتر، الذى تضمن برنامجه الانتخابى السعى لتعديل دستورى لإسقاط حكم المحكمة العليا بحظر الصلاة فى المدارس. ولكن فشل حملة ووتر، سيشكل انعطافاً فى حركة اليمين المسيحى خلال النصف الثانى من الستينيات ليعود التركيز على معاداة الشيوعية خصوصاً مع التورط الأمريكى فى مستنقع ڤيتنام فى عهد چونسون(١٧)، وظهور اليمين الجديد- داخل الحزب الجمهورى فى عهد نيكسون- المعادى الصليبى للشيوعية.

لقد أدت التطورات الاجتماعية والسياسية فى الستينيات إلى انعطافة فى تطور اليمين المسيحى. فقد أدت حركة الحقوق المدنية ودخول أمريكا الحرب فى ڤيتنام إلى انقسام حاد فى المجتمع الأمريكى، بما أدى إلى انقسام أشد داخل المسيحية الأمريكية. فالليبراليون دافعوا عن فكرة العمل المباشر مثل الاعتصام والمظاهرات، والمحافظون ركزوا على تأثير الدين على الضمير الفردى. بيد أن التغيرات الاجتماعية فى أمريكا قادت إلى صحوة إيڤانجيلية للرد على تحديات اجتماعية داهمة مثل المساواة بين المرأة والرجل، والحرية الجنسية، وحق الاجهاض، والمثلية الجنسية.

وكان طبيعيا أن يتوجه اليمين المسيحى نحو اليمين السياسى فى مواجهة التغيرات السياسية والاجتماعية، وبما أدى إلى صعود اليمين المسيحى إلى الحلبة السياسية فى السبعينيات.

٢ ـ حرب سنة ١٩٦٧ وإحياء المسيحية الصهيونية

ساهمت حرب يونيو سنة ١٩٦٧ والانتصار العسكرى المدوى لإسرائيل فيها، فى إحياء صهيونية المسيحية الأصولية الأمريكية وتوثيق علاقات التعاون بين منظماتها والمنظمات الصهيونية اليهودية والدولة الإسرائيلية. فالمسيحية الصهيونية الأمريكية، اعتبرت أن قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ تأكيد لنبوءات التوراة حول نهاية العالم وإحلال مملكة جديدة مع المجىء الثانى للمسيح بعد عودة اليهود إلى الأرض المقدسة (١٨). وانتظرت المسيحية الصهيونية اكتمال خطة الرب بعد تأسيس إسرائيل، وبالتالى كان انتصار إسرائيل فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧، واحتلالها لبقية أرض فلسطين وبخاصة القدس، إضافة إلى أراض عربية أخرى، تأكيدا على أن خطة الرب تكتمل وأن النبوءات التوراتية تتحقق وأن نهاية التاريخ أصبحت قريبة.

وعبرت عن ذلك مجلة (المسيحية اليوم ـ Christianty Today) فى ٢١ من يوليو سنة ١٩٦٧ بقولها: **«لأول مرة منذ أكثر من ألفى عام فإن القدس الآن كاملة بأيدى اليهود، مما يعطى لدارس التوراة إيماناً عميقاً ومتجدداً فى صحتها وصلاحيتها»**. إن الحركة المسيحية الصهيونية والأصولية تعتقد بأن القدس هى المدينة التى سيحكم المسيح العالم منها عند قدومه الثانى. وبرغم أنها تعتقد أيضا بتنصير اليهود حتى يشملهم خلاص المسيح عند مجيئه الثانى، إلا أن الحركة أجلت هذا الموضوع إلى حين اكتمال النبوءات التوراتية، بقيام مملكة الألف عام السعيدة، وصارت أكثر التزاماً بتوفير جهودها لتحقيق شرعية الدولة اليهودية وحقها فى أرض إسرائيل بما فى ذلك الضفة الغربية. **فاحتلال القدس لم يزل الخطوة قبل الأخيرة لنهاية التاريخ، إذ إن الخطوة الأخيرة هى إعادة بناء المعبد القديم فوق موقعه التاريخى القديم.. وهو المكان نفسه الذى تقام عليه الآن قبة الصخرة. وهكذا، فإن التراث اليهودى للمسيحية الأمريكية، كما يقول پول فندلى، جعل الكثيرين من الأمريكيين، يشعرون بأن إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ جاء كتحصيل للنبوءات**

التوراتية، وأن الدولة اليهودية، ستظل تلعب دورا مركزيا فى مخطط السماء والأرض، وأن انتصار إسرائيل العسكرى فى حرب سنة ١٩٦٧ واحتلال القدس تأكيد للنبوءات التوراتية والخطوة قبل الأخيرة للمجىء الثانى للمسيح.

ويستخلص فندلى أن التركيز على التراث التوراتى جعل كثيرين من المسيحيين الأمريكيين ينظرون إلى الشرق الأوسط والصراع الدائر فيه كانعكاس للأحداث التى يصورها العهد القديم، ففلسطينيو وعرب القرن العشرين يصبحون «الفليستيين» الذين حارب بطلهم «جوليات» الملك داود[١٩].

بيد أن الحركة المسيحية الصهيونية، بتأثير انتصار إسرائيل فى حرب سنة ١٩٦٧ واستيلائها على القدس، ثم بتأثير الإحياء المسيحى الأصولى فى السبعينيات، شهدت نهوضاً فى عقد السبعينيات على نحو مماثل للذى شهدته فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر أيام ويليام بلاكستون.

ففى عام ١٩٧٠ أصدر هال ليندسى كتابه الشهير «كوكب الأرض العظيم الراحل» (The Late Great Planet Earth)، الذى باع عشرات الملايين من النسخ، والذى تحول إلى فيلم سينمائى فيما بعد، وأورد الكتاب أن «أهم إشارة لنهاية التاريخ والمجىء الثانى للمسيح هى عودة اليهود إلى أرض إسرائيل بعد آلاف السنين»[٢٠]. وذكر أن «الاتحاد السوفيتى هو ياجوج الذى تعاون معه العرب وحلفاؤهم لمهاجمة إسرائيل . . وأن قوة إسرائيل ستنتصر على قوى الشر تمهيدا للمجىء الثانى للمسيح المنقذ، بعد معركة هرمجدون فى سهل المجدل فى فلسطين»[٢١].

وفى عام ١٩٧٣ أصدر أورال روبرتس كتابه (دراما نهاية الزمن ـ Drama of the End-Time)، لتأييد إسرائيل، معتبراً أن الشعب الإسرائيلى شعب الرب يؤسس ـ الآن ـ إمبراطورية[٢٢].

وفى عام ١٩٧٥، أنتج القس بيلى جراهام (منظمة شبان المسيح) فيلم (أرض الرب ـ His Land) الذى شاهده أكثر من ٢٠ مليون أمريكى، وأشار الفيلم إلى وعد الرب لبنى إسرائيل بأرض فلسطين، وقدم صورة زاهية عن بناء المدن وتعمير الصحارى فى الأرض الموعودة[٢٣].

ومع صعود الأصولية المسيحية الأمريكية عام ١٩٧٦ (عام الإيفانجيلى)، وصل إلى البيت الأبيض رئيس أعلن أنه ولد ثانية كمسيحى هو الرئيس چيمى كارتر، وذكر فى بيانه الانتخابى

«إن تأسيس إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءة التوراتية».

كما أعلن كارتر عن إدانته لمن يتهم اليهود بقتل المسيح بمعاداة السامية، وكان أول رئيس أمريكى يؤسس لجنة رئاسية لموضوع الهولوكوست (المحارق النازية لليهود) عام ١٩٧٨ تحت اسم (President's Commission of the Holocaust)، وعندما زار كارتر إسرائيل فى مارس عام ١٩٧٩، ألقى خطاباً أمام الكنيست الإسرائيلى بمناسبة إقرار معاهدة السلام المصرية ـ الإسرائيلية، قال فيه:

« جسد من سبق من الرؤساء الأمريكيين الإيمان بأن جعلوا علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل هى أكثر من علاقات خاصة، إنها علاقات فريدة لأنها متأصلة فى ضمير الشعب الأمريكى نفسه، وفى أخلاقه وفى دينه وفى معتقداته، لقد أقام كلا من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، مهاجرون رواد، ثم إننا نتقاسم معكم تراث التوراة»(٢٤).

٣ ـ أصولية السبعينيات والثمانينيات: الكنائس التليفزيونية وعبادة إسرائيل

مع بداية السبعينيات، أحس اليمين المسيحى بأن التغيرات الاجتماعية فى أمريكا، تهدد قدرته على الدعوة لعظمة الأخلاق التقليدية المسيحية. فقضايا المساواة بين المرأة والرجل، والإجهاض، والمثلية الجنسية، أصبحت عابرة للطبقات والأعراق فى المجتمع الأمريكى. وزاد التهديد مع تصاعد حركة الحقوق المدنية وتدخل الدولة فى المجال الاقتصادى والاجتماعى لإعادة توزيع الثروة (برنامج العمل الإيجابى).

ولمحاولة الارتباط بقدرة سياسية، زاد توسع الإيڤانجيليين فى الشبكات الإذاعية ثم التليڤزيونية، إضافة إلى التوسع فى الكنائس الإيڤانجيلية.

وشهد النصف الأول من السبعينيات تحول الآلاف من الشبان إلى «مسيحيين ولدوا ثانية»، ونمو الكنائس المحافظة.

بيد أن مصدر القوة الأول، تمثل فى الشبكات الإذاعية والتليڤزيونية، التى أصبحت وسيلة حشد للجهود، وأداة لتوفير التمويل من خلال اتحاد المذيعين الدينيين، الذى تضاعف عدد أعضائه أربع مرات خلال الفترة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢.

وبعد أن كانت منظمة «شبان المسيح» للتبشير التى يقودها القس بيلى جراهام هى الأنشط داخل حركة اليمين المسيحى، فإن الشبكات الدينية الإذاعية والتليڤزيونية أمدت الحركة بزعامات جديدة.

لقد اعتمدت الحركة المسيحية الصهيونية والأصولية فى السبعينيات، على الشبكات الدينية التليڤزيونية التى سميت «الكنائس المرئية»، فى الدعوة لأفكارها والوصول بفاعلية إلى أكبر عدد ممكن من الناس من خلال برامج جماهيرية استعراضية. وعنى ذلك التطور أن الحركة كانت حساسة للتغيرات التكنولوچية والاجتماعية فى المجتمع الأمريكى.

فتأسيس الشبكات الدينية التليفزيونية «الكنائس المرئية» كان امتطاء لجواد التكنولوچيا لتوصيل الرسالة الدينية بشكل فعال وكفء، كما كان تجاوباً مع أهمية وتأثير التليفزيون فى المجتمع الأمريكى. فمتوسط ما يقضيه تلاميذ المدارس من الوقت أمام شاشات التليفزيون يفوق ما يقضونه فى المدارس، أما البالغون فإنهم يمضون نصف وقت فراغهم فى مشاهدة التليفزيون. وقد بدأت الحركة المسيحية الصهيونية والأصولية تأسيس الشبكات التليفزيونية المسيحية عام ١٩٦٠، حينما أسس بات روبرتسون محطة تليفزيون ڤيرچينيا التى كانت أول محطة يسمح لها ببث برامج دينية لأكثر من ٥٠٪ من وقت البث. واستطاع بات روبرتسون اجتذاب خمسة ملايين مشاهد لبرنامجه «نادى السبعمائة». واجتذب المبشر التليفزيونى چيرى فالويل(*) لبرنامجه «ساعة من إنجيل زمان» حوالى ٦,٥ مليون مشاهد[٢٥]. غير أن انتشار الشبكات التليفزيونة المسيحية، تزامن مع نمو كنائس اللاهوت الأصولى، وصعود المسيحية الإيڤانجيلية (الأصولية) بدءاً من النصف الثانى من السبعينيات. فكما أظهرت استطلاعات جالوب، فإن ما بين خمس وثلث الأمريكيين فى الفترة ١٩٧٦ ـ ١٩٧٩، مارسوا العمادة من جديد (مسيحيين ولدوا ثانية)، وشهد عام ١٩٧٦ (عام المئوية الثانية لإعلان استقلال أمريكا)، وصول رئيس (مسيحى ولد ثانيةً) هو چيمى كارتر إلى البيت الأبيض. واعتبر عام ١٩٧٦ هو «عام الإيڤانجيلى». والإيڤانجيلى، كما أورد استطلاع لجالوب، هو «الشخص المسيحى الذى ولد ثانية، ويؤمن بالمسيح كمخلص، ويعتقد بحرفية النصوص، وبأن من واجبه أن ينشر ذلك الاعتقاد». وخاطبت الشبكات التليفزيونية المسيحية، ذلك المد الأصولى، **فمقابل الكنائس التى لا تتجاوز دعوتها أبنيتها والأعضاء بها أو الملتزمين بالصلاة فيها أيام الآحاد والأعياد والمناسبات الدينية، فإن الشبكات التليفزيونية المسيحية كنائس مرئية تليفزيونية تصل دعوتها إلى داخل البيوت، وفضلاً عن أنها تستخدم الأسلوب الحوارى الجذاب، فإن برامجها تتخطى الوعظ والإرشاد الدينى إلى قضايا الانتخابات وشئون المجتمع، ابتداء من الضرائب، والإجهاض، والأخلاق، ودور المرأة، والأسرة والصلاة فى المدارس، مروراً بالشيوعية والحرب النووية، وانتهاءً بدعم وتأييد إسرائيل وسياستها لأن فى ذلك مرضاة للرب.**

وفى مسح أجرى على مشاهدى الشبكات التليفزيونية المسيحية، تبين أن معظمهم من

(*) نصح فالويل نتنياهو فى إحدى زياراته لواشنطون بألا يتخلى عن بوصة واحدة من الأرض.

الأكبر سنا، والإناث، والأقل تعليماً ودخلاً، والأكثر ريفية ومحافظة بين الأمريكيين، وأنهم فى العادة من مرتادى وممولى الكنائس المحلية.

وكشفت استطلاعات جالوب أن حوالى ٧٠ مليوناً من الأمريكيين يشاهدون المحطات التليفزيونية الدينية التى بلغ عددها ١٠٤ محطة تليفزيونية، إضافة إلى ١٠٠٦ قناة تليفزيونية بنظام الشفرة (الكابل) أما محطات الإذاعة الدينية، فيقدر عددها ما بين ١٢٠٠ ـ ١٤٠٠ محطة تبث الواحدة منها حوالى ١٧ ساعة يوميا[٢٧].

وأيا كانت حقيقة عدد الشبكات الدينية وعدد مشاهديها ومستمعيها، فإن العقدين الأخيرين شهدا نموا متواصلا للظاهرة.

وتعتمد موارد الشبكات الدينية والتليفزيونية والإذاعية، بشكل أساسى، على اشتراكات وتبرعات المشاهدين والمستمعين والمؤيدين والمتعاطفين.

ومع بداية الثمانينيات، أصبحت «عبادة إسرائيل» فى مركز اهتمام قيادات الكنائس البروتستانتية الإيفانجيلية فى الولايات المتحدة، وجعلت الشبكات الدينية التليفزيونية والإذاعية «الكنائس المرئية»، من إسرائيل قضية القضايا فى برامجها، وفى حملاتها لجمع التبرعات لدعم إسرائيل، وكذلك جولات زعماتها مثل چيرى فالويل، ويات روبرتسون، وچيمى سواجارت، وأورال روبرتس، وچيم وتامى بيكر، ومايك إيڤانز.

وقامت زعامات الكنائس المرئية برحلات تضم الأمريكيين البروتستانت إلى إسرائيل، شملت لقاءات مع علماء آثار وخبراء فى الشرق الأوسط ورؤساء الحكومات الإسرائيلية، وكان الهدف من تلك الرحلات، تأكيد الاعتقاد البروتستانتى بدور إسرائيل المركزى فى مخطط الرب لنهاية العالم، بمعركة هرمجدون والمجيء الثانى للمسيح. وكانت تلك الزعامات البروتستانتية تقرأ تاريخ القرن العشرين، انطلاقا من اليهود والحركة القومية اليهودية (الصهيونية) فى إطار مخطط الرب. فالصهيونية أعادت اليهود إلى أرض أجدادهم، بالعناية الإلهية، وتحقيقاً لنبوءات العهد القديم والإنجيل، والعناية الإلهية فقط هى التى تفسر إقامة إسرائيل الجديدة، وانتصار إسرائيل على الجيوش العربية فى سنة ١٩٤٨، ثم انتصارها الساحق فى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، حيث استردت القدس، وبصفة خاصة القدس الشرقية ـ المدينة القديمة بما تحويه من أماكن مقدسة يهودية ومسيحية وإسلامية، وهزمت الأردنيين واستولت على الضفة الغربية، كما هزمت السوريين واستولت على الجولان، وهزمت المصريين واستولت على سيناء.

كما اعتبرت الزعامات البروتستانتية، أن العناية الإلهية أنقذت إسرائيل من كارثة عسكرية فى حرب يوم كيبور عام ١٩٧٣، كما أن ازدهار الشعب اليهودى فى وطنه القومى وانتصاراته العسكرية المعجزة، كما تعتقد الزعامات البروتستانتية، مؤشر على قرب نهاية الزمان، والمجىء الثانى للمسيح، وبداية النصر النهائى على قوى الشر.

وبالرغم من أن زعامات الكنائس المرئية الإيفانجيلية، كانت تجمع على ترويج ذلك الاعتقاد فى برامجها ورحلاتها، إلا أن كلا منهم كانت له رسالة خاصة ليكون له جمهوره الخاص.

وبشكل عام، فإن مضمون الرسالة الإعلامية لبرامج الشبكات الدينية، هو مضمون إيفانجيلى أصولى يتضمن الاعتقاد بالنبوءات التوراتية، والدعاوى «المسيحية الصهيونية» وتأمين إسرائيل تنفيذاً لمشيئة الرب. ومن أسبق تلك البرامج «برنامج ساعة من إنجيل زمان» الذى كان يقدمه القس چيرى فالويل، بشكل يومى، لمدة ساعة من خلال ٣٩٢ محطة مرئية و٥٠٠ محطة مسموعة، كما قدم فالويل برنامجاً آخر هو «چيرى فالويل لايف» وكان يبث أسبوعيا فى كل أمسية من أيام الآحاد، ويتلقاه ٣٤ مليون منزل [٢٨].

وأكد فالويل، من خلال شبكته الدينية المرئية والمسموعة، أن **«إعادة تأسيس إسرائيل عند المسيحيين الأصوليين، هو إيفاء للنبوءات التوراتية، ويتوجب على كل أمريكى بذل كل جهد ممكن لضمان الدعم الكامل لإسرائيل»**. وطالب فالويل بامتداد حدود إسرائيل من النيل إلى الفرات بقوله: **«إن سفر التكوين من التوراة يذكر أن حدود إسرائيل ستمتد من الفرات إلى النيل، وستكون الأرض الموعودة هى العراق وسوريا وتركيا والسعودية ومصر والسودان ولبنان والأردن والكويت»** [٢٩].

ويكشف فالويل عن مسيحية صهيونية وأصولية، فى كتابه «اسمعى أمريكا» بتأكيد «أن الرب يحب اليهود، ويتعامل مع الأمم حسبما تتعامل هذه الأمم مع إسرائيل، وأن مخلصنا المسيح كان يهودياً» [٣٠]. أما الشبكة المسيحية المرئية والمسموعة الأهم فهى شبكة CBN التى تغطى الولايات المتحدة و٦٠ دولة أجنبية، ويمتلكها القس بات روبرتسون الذى يقدم برنامجاً استعراضياً يعرض عدة مرات يوميا يسمى «نادى السبعمائة».

ويقول روبرتسون عن برنامجه «نادى السبعمائة» إنه أكثر جاذبية من مجلات وأفلام الجنس لأنه ليس دينيا فقط، بل هو ترفيهى ويعالج مسائل السياسة والفن والرياضة والكوميديا، **وأنه يصل إلى عدد من المشاهدين يفوق أعداد الذين تصلهم مجلات «تايم» و«نيوزويك» وصحف «واشنطن پوست» و«نيويورك تايمز» و«لوس أنجلوس تايمز»**

مجتمعة(٣١). ويسيطر على عقل روبرتسون الاعتقاد بأن قيام إسرائيل تحقيق للنبوءات التوراتية، وإشارة إلى قرب معركة هرمجدون بغزو الروس والعرب لإسرائيل ونهاية العالم والمجيء الثاني للمسيح. وكما ورد في برنامجه، يعتقد روبرتسون **«أن الرب يقف بجانب إسرائيل وليس بجانب العرب الإرهابيين»**، وتحدث عن «الشر الكبير الموجود لدى العرب لأنهم أعداء إسرائيل»(٣٢)، واعتبر استيلاء إسرائيل على القدس **«أهم حدث تنبئ في تاريخ حياتنا ويقرب نهاية زمان غير اليهود»**(٣٣).

ويعتبر القس والواعظ التليڤزيوني مايك إيڤانز، الصوت الأكثر تميزا من أجل إسرائيل والقدس، وتتبنى رعوية القس إيڤانز من خلال أنشطة مختلفة «أچندة» المسيحية البروتستانتية الأمريكية الأصولية، التي تشمل قضايا حظر الإجهاض، والسماح بالصلاة في المدارس، وقيم العائلة التقليدية إلى جانب دعم إسرائيل.

ففي ديسمبر سنة ١٩٨٤، أرسل إيڤانز إلى الآلاف من مؤيديه أچندة للعام الجديد: ١٩٨٥، بعنوان «شركاء في النبوءة ١٩٨٥»، تضمنت نصوصاً توراتية وإنجيلية، ليقرأ تابعوه نصا منها كل يوم، كما تضمنت الأچندة طلبات إقامة صلوات في أيام محددة من العام من أجل موضوعات محددة، كما شملت أچندة «شركاء في النبوءة ١٩٨٥» صوراً فوتوغرافية لأنشطة رعوية مايك إيڤانز، منها صورة لإيفانز مصافحا بيده الرئيس ريجان، وكتب تحتها التعليق التالي:

«لقد دعاني الرئيس ريجان ومعي چيم بيكر وچيمي سواجارت وچيري فالويل (قيادات الشبكات التليڤزيونية) وآخرين، إلى لقاء خاص به، ولن أنسى أبداً ما قاله لنا.. فالرئيس عبّر عن اعتقاده بأن أمريكا على شفا صحوة روحية، وقال: إنني أعتقد في ذلك بكل قلبي.. والرب أظهر رجالاً مثلك ومثلي في صلاة شفاعة وحب من أجل إعداد العالم لملك الملوك ورب الأرباب» (٣٤).

بيد أن إسرائيل والقدس، تعتبران مركز اهتمام رعوية إيڤانز، فهو يرى نفسه «في مهمة ربانية لحث الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل على العمل معاً من أجل الرب».

ففي برنامجه الاستعراضي **«إسرائيل: مفتاح أمريكا للبقاء»**، الذي كان يبث في ٥٠ محطة تليفزيونية عبر ٢٥ ولاية، لمدة ساعة يوميا، عام ١٩٨٣، تحدث إيڤانز عن أن الرب أمره بوضوح بإنتاج هذا البرنامج الخاص بإسرائيل، **وقال:**

« إن إسرائيل تلعب دوراً حاسماً في المصير الروحي والسياسي لأمريكا، كما أن تخلي

إسرائيل عن الضفة الغربية سوف يجر الدمار على إسرائيل وعلى الولايات المتحدة من بعدها»(٣٥).

ونشر إيڤانز فى ديسمبر عام ١٩٨٣، إعلاناً فى صفحة كاملة فى صحيفة «نيويورك تايمز» جاء فيه: **«إن بقاء إسرائيل حيوى لبقائنا، وإن الإيمان بإسرائيل يعزز موقف الولايات المتحدة الأمريكية»**. وفى عام ١٩٨٤ تقدم بعريضة وقعها الآلاف من الأمريكيين إلى الرئيس ريجان يدعوه فيها إلى الوقوف إلى جانب إسرائيل وإقرار حقوق إسرائيل فى الأراضى المحتلة(٣٦).

وأنتج مايك إيڤانز فيلماً تليفزيونياً أسماه «القدس دى. سى» (JerUSAlem, D.C)، ومثلت حملته لإنتاج الفيلم أكبر حملة «ميللينية» فى إطار توقعات نهاية العالم مع بدء الألفية الجديدة عام ٢٠٠٠، إذ أظهرت الحملة اليهود، وإسرائيل، والقدس، كعلامات مرئية على قرب نهاية التاريخ ومعركة هرمجدون ضد قوى الشيطان والمجىء الثانى للمسيح.

وقد أظهر منشور الحملة حروف USA وهى الحروف الأولى من اسم الولايات المتحدة الأمريكية، كبيرة داخل كلمة چيروزاليم، بمعنى أن أمريكا متضمنة فى أورشليم، كما استخدم حرفى D.C اختصاراً لـ David's Capital أى عاصمة داود، وللربط فى أذهان الأمريكيين بين العاصمة الأمريكية «واشنطن دى. سى» و«چيروزاليم دى. سى» (چيروزاليم عاصمة داود). وأشار المنشور إلى أن المسيحيين اليوم يعيشون زمن تحقيق النبوءات، لجعل القدس عاصمة أبدية لإسرائيل حيث اختارها الرب لفرض اسمه.

وتضمنت الحملة شريطا مسجلا يعطى للمتبرعين، عن لقاء إيڤانز مع مناحم بيجن رئيس الوزراء الإسرائيلى، جاء فيه:

«لن أنسى أبداً ذلك المنظر المؤثر حينما شاهدت أنا وآخرون الدموع التى انسابت على وجه بيجن المتعب حينما كنا نتقاسم معه حب الرب، ونبلغه أن المسيحيين فى أمريكا يصلون من أجله، وأن المسيحيين الحقيقيين مهتمون به وبإسرائيل. . وقد أبلغنى مناحم بيجن، أن الرئيس السابق كارتر، خلال اتفاقات كامب داڤيد، قال له إنه لا يعترف بالقدس كعاصمة تاريخية لإسرائيل، فرد عليه بيجن قائلا: اعذرنى أيها الرئيس، لكن التوراة تعترف بها والرب القدير إله التوراة يعترف بها، ولذلك فإننا لا نعترف بعدم اعترافك»(٣٧).

وطالب إيفانز المتبرعين بتوقيع بيان إلى رئيس الولايات المتحدة ورئيس وزراء إسرائيل، جاء فيه:

«نحن نؤمن بأن القدس تخص الرب العظيم وأن كلمة الرب غير قابلة للتفاوض، ونؤمن، علاوة على ذلك، بأن الكتاب المقدس يعترف بأورشليم عاصمة روحية لإسرائيل وبأن المسيح اليهودى سيعود إليها كذلك، ومن أجل هذا، قد تعاهدنا على الصلاة من أجل شعب إسرائيل، والوقوف معه فى كفاحه من أجل الحرية والسلام.. نحن نؤمن بكلمة الرب القائلة: سوف أبارك من يباركهم وألعن من يلعنهم.. نحن نؤمن بأنه يتوجب على أمريكا الوقوف بجانب إسرائيل.. وكلمة الرب تعترف بالقدس وعلينا واجب الاعتراف بكلمة الرب»(٣٨).

وقد بث إيفانز طوال صيف سنة ١٩٨٥ برنامجاً تليفزيونيا أسماه «دع شعبى يرحل» لدعم هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتى إلى إسرائيل. كما بث فى فبراير عام ١٩٨٦، برنامجاً جديدا تحت عنوان «العودة»، حول عودة المسيح ودور إسرائيل فى تقريب هذه العودة الثانية.

وفى عام ١٩٨٦، وزع إيفانز منشورا تحت عنوان «ادعم اليهودى فينا»، تضمن رسما كرتونيا يؤرخ لعهد الرب لإبراهيم وسلالته بأنه سيبارك من يباركهم ويلعن من يلعنهم.

ويظهر الرسم الكارتونى مصر: **«مصر.. موضع حسد العالم! التى لم تدانها أمة فى الثروة والقوة العسكرية، والزراعة والعلوم، ولم يكن لها منافس فى العمارة، وكانت الأمة الأقوى على الأرض، ولكن مصر ارتكبت خطأ فهى لم تدعم يهودها».**

وفى صورة أخرى، يظهر مصرى يضرب عبداً يهوديا، وتُظهر صورة ثالثة، تدمير جيش مصر فى البحر الأحمر. وفى الصورة الأخيرة يظهر مرشد سياحى مصرى أمام الآثار الباقية، إذ لم يعد له إلا التفاخر بمجد تليد. فمصر ـ الآن ـ أمة متخلفة غنية بالذكريات تعتمد على معونات الآخرين. وتتوالى صور الرسم الكارتونى من مصر التى مازالت عدوة لإسرائيل، إلى الإغريق والرومان حتى صعود ألمانيا النازية وتقسيمها بعد هزيمتها عقابا على جرائمها ضد اليهود، كما يظهر الرسم دول المجاعة الإفريقية التى عاقبها الرب لأنها لا تقيم علاقات مع إسرائيل(٣٩).

وإلى جانب إيفانز وروبرتسون وفالويل، اشتهر وعاظ تليفزيونيون دينيون آخرون.

من هؤلاء، القس أورال روبرتس الذى تحول من الكنيسة الخمسينية إلى الكنيسة

المنهجية «الميثودية»، وهو صاحب البرنامج الديني الشهير «توقع معجزة»، الذى وصل عدد مشاهديه إلى حوالى ٦ ملايين مشاهد.

وحاز القس چيم بيكر شهرة واسعة ببرنامجه الكنسى «مجدوا الرب» وتجاوز عدد مشاهديه ٨,٥ مليون مشاهد.

وكان من أكثر القسس التليفزيونيين شهرة چيمى سواجرت، وكان برنامجه «الحملة الصليبية الأسبوعية» يصل إلى ٩ ملايين مشاهد، أما برنامجه الآخر «دراسة فى الكلمة»، فوصل عدد مشاهديه إلى ٤,٥ مليون مشاهد.

غير أن عام ١٩٨٧، شهد انفجار فضائح مالية وجنسية فى وسط القسس التليفزيونيين، فقد اتُّهم القس چيم بيكر بممارسة الجنس مع الآنسة جسيكا هاهن سكرتيرة كنيسته «مجدوا الرب»، والتى باعت صورها فيما بعد لمجلة «پلاى بوى». كما اتهم بيكر بممارسة الجنس فى حفلات عربدة جنسية وبالمثلية الجنسية، واعترف عدد من الشهود بالاشتراك مع بيكر وزوجته تامى فى حفلات من ذلك النوع، وأبعد بيكر من الكنيسة وعروضها التليفزيونية، وبعد ذلك، ضبط القس چيمى سواجرت مع بغىّ فى أحد الفنادق، واعترف بأنه لم يضاجعها وإنما كان يشاهدها ترقص عارية.

جدول (١)

الأديان فى الولايات المتحدة(*)

الأديـــان	النسبة من عدد السكان
البروتستانتية	٦٠ ـ ٦٢٪
الكاثوليكية	٢٥ ـ ٢٧٪
الأرثوذكسية الشرقية	١٪
المسيحية	٨٦ ـ ٩٠٪
اليهودية	٢٪
الإسلام	٢٪
ملحدون	٢٪
لا دين	٢٪
أديان أخرى	٤٪

(*) المصدر: **Barna Research Group: Princeton Reseanch, Galloup.**

جدول (٢)

المجموعات الكنسية المسيحية فى الولايات المتحدة(*)

الكنائس	عدد الأتباع
الكنائس المعمدانية (Baptist)	٣٩,٥٢٣٨١٥
الكنائس المنهجية (Methodist)	١٣,٤٨٣٤٨١
الكنائس الخمسينية (Pentecostal)	١٠,١٤٣٢٨٢
الكنائس اللوثرية (Lutherian)	٨,٣٢١١١١
المورمون (Letter - day Saints)	٤,٨٨٩٢٧٩
الكنائس المشيخية (Presbyterian)	٤,١٧٤٢٢٠
الكنائس المسيحية الشرقية (East Orthodox)	٣,٣٥٣٨٢١
الكنائس الأسقفية (Episcopal)	٢,٥٣٦٥٥٠
الكنائس الإصلاحية (Reformist)	١,٧٠١٤٩١
الكنائس الكاثوليكية (الروم الكاثوليك)	٦٠,٢٠٨٤٥٤
الكنائس السبتية (Adventist)	٩٧٢٢٢١
شهود يهوه (Jehovah's Witnesses)	٩٦٦٢٤٢

(*) المصدر: **1997 Yearbook of American & Canadian Chuches.**

جدول (٣)

العقائد المسيحية الأمريكية(*)

	الأصل	النص المقدس	التعاليم الدينية
المعمدانية	حركة إصلاح ، ضد تعميد الأطفال ، ومع فصل الكنيسة عن الدولة ، انشقاق قاده چون سميث فى إنجلترا عام ١٦٠٩ .	الكتاب المقدس بعهديه ، مع الالتزام الحرفى خصوصا فى الجنوب الأمريكى .	تعارض شرب الكحول والتدخين ، وتتوجه نحو الكمال الأخلاقى .
كنيسة المسيح	بين الإنجيليين المشيخيين منذ ١٨٣٢ .	تتكلم عندما تتكلم النصوص ونصمت عندما تصمت	الاهتمام بالنواحى الاجتماعية والكمال الأخلاقى .
الأسقفية	انفصال الملك هنرى الثامن عن كنيسة روما عام ١٥٣٤ . تأسست فى أمريكا عام ١٧٨٩ .	العهد القديم ٣٩ سفرا وليس ٤٦ سفرا كما يعتقد الروم الكاثوليك .	التسامح ، العمل الاجتماعى .
شهود يهوه	أسسها عام ١٨٧٠ تشارلز راسل .	الكتاب المقدس بعهديه .	نظام أخلاقى متشدد ، قيم العائلة ، تجنب التدخين وتحية العلم ونقل الدم .
المورمونية	أسسها چوزيف سميث فى العشرينيات من القرن التاسع عشر .	الكتاب المقدس بعهديه وكتاب المورمون .	التشدد الأخلاقى ، تعدد الزوجات قبل إلغائه ، الذاتية .
اللوثرية	بدأها مارتن لوثر فى ألمانيا عام ١٥١٧ ، كانشقاق على الكاثوليكية .	التفسير الفردى ـ اللوثرى للنصوص .	مذهب مملكتى الأرض والسماء ، الفردية الدينية .
المنهجية	بدأت فى كنيسة إنجلترا بحركة چون وزلى عام ١٧٣٨ ، كانشقاق عن الكاثوليكية .	تفسير النصوص بالعقل والتجربة .	الاهتمام بالأخلاقيات والعمل الاجتماعى .
الأرثوذكسية	تتنافس مع الكاثوليكية فى الأقدمية والمرجعية .	تعاليم المجمعات المسكونية حتى المجتمع السابع .	قيامة المسيح .
الخمسينية	حركة فى الغرب الأمريكى فى أوائل القرن العشرين .	تعاليم الروح القدس .	الفردية الدينية ، التسامح .
المشيخية	كالڤينية بدأت فى القرن الـ ١٦ .	النص المقدس	الفردية الدينية ، التسامح .
الروم الكاثوليك	المسيح ثم بطرس الرسول .	تعاليم بابا الڤاتيكان .	المحافظة ، عدم السماح بالطلاق أو الزواج ثانية .
الكنيسة المتحدة للمسيح	تمثل اللوثرية والكالڤينية .	النص المقدس	التسامح ، العمل الاجتماعى .

(*) المصدر : رضا هلال ، تفكيك أمريكا ، القاهرة ، الإعلامية للنشر ، ١٩٩٨ .

جدول (٤)

المجموعات الكنسية البروتستانية(*)

المعمدانية الجنوبية	٪٨
الكنيسة المنهجية المتحدة	٪٧
معمدانيون آخرون	٪١٠
پروتستانت آخرون	٪١٠
منهجيون	٪٣
الكنيسة المتحدة للمسيح	٪٣
الكنائس المعمدانية الأمريكية	٪٣
الأسقفيون	٪٢
اللوثريون	٪٢
الكنيسة المشيخية للولايات المتحدة	٪٢
الكنيسة اللوثرية الأمريكية	٪١
الكنيسة المشيخية المتحدة	٪١
المورمونية	٪١
الكنيسة اللوثرية لأمريكا	٪١
اللوثريون المعمدانيون لميسروى	٪١
مشيخيون آخرون	٪١
لوثريون آخرون	٪١
كنائس آخرى	٪٣
	٪٦٠

(*) المصدر : Princeton Research Center, Galloup. Surveys

جدول (٥)

مؤشرات التدين فى أمريكا الثمانينيات مقارنة بدول غربية مسيحية أخرى (*)

النسبة إلى عدد السكان	أمريكا	ألمانيا	فرنسا	الدنمرك	السويد
مؤمنون بوجود الله	٪٩٥	٧٢	٦٢	٥٨	٥٢
المنتمون إلى كنائس	٪٥٧	١٣	٤	٤	٩
التطوع لخدمة الكنائس	٪٢٣	٧	٣	٢	٥

(*) المصدر : Oxford Analytica, American Perspective,

جدول (٦)

برامج الكنائس التليفزيونية حسب المشاهدين(*)

البرنامج	مقدمه	عدد المشاهدين شهريا بالمليون
ساعة من إنجيل زمان	چيرى فالويل	٥,٦
جيرى فالويل لايف	چيرى فالويل	٣٤
نادى السبعمائة	بات روبرتسون	١٦,٣
توقع معجزة	أورال روبرتس	٦,٠
مجدوا الرب	چيم بيكر	٥,٨
الحملة الصليبية الأسبوعية	چيمى سواجرت	٩,٠
دراسة فى الكلمة	چيمى سواجرت	٤,٥
ساعة من القوة	روبرت شيللر	٧,٦
كينيت كوبلاند	كينيث كوبلاند	٤,٩

(*) المصدر:

-Sara Diamond, Roads to Dominion.
- David W. Clark, Religious TV Audience,

فى: رضا هلال، تفكيك أمريكا، القاهرة، الإعلامية للنشر، ١٩٩٨ .

الفصل الرابع

صعود اليمين المسيحى واللوبى المسيحى الصهيونى

«فى سفر حزقيال أن الرب سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة .. لقد تحقق ذلك أخيرا بعد ألفى سنة.. ولأول مرة يبدو كل شيء فى مكانه فى انتظار هرمجدون والمجيء الثانى للمسيح..».

الرئيس ريجان

«إن اليمين المسيحى مستعد -بل راغب بكل قواه- فى إشعال نيران حرب نووية من أجل إسرائيل».

جريس هالسل

١ ـ صعود اليمين المسيحى وهرمجدون ريجان

منذ عام ١٩٨٠ ، بدا أن التحالف بين اليمين المسيحى واليمين الجديد، هو الحركة الأكبر تأثيرا على الساحة السياسية الأمريكية . إذ وجد اليمين المسيحى طريقه إلى داخل الحزب الجمهورى متحالفا مع اليمين السياسى .

وهذه الصلة لم تبدأ عام ١٩٨٠ ، فالعلاقة بين القس بيلى جراهام زعيم منظمة «شبان المسيح» والرئيس دوايت أيزنهاور معروفة، كما أن القس جراهام كان يقيم صلوات إفطار فى البيت الأبيض أثناء فترة رئاسة نيكسون، ولكن العلاقة وصلت إلى آفاق جديدة مع ترشيح ريجان وخلال رئاسته .

فعقب مؤتمر ترشيحه للرئاسة عام ١٩٨٠ ، أعلن ريجان تأييده للأچندة الأخلاقية لليمين المسيحى، فى خطاب وجهه إلى اجتماع كهنوتى .

وقامت منظمة «الأغلبية الأخلاقية» بنشاطات مكثفة لصالح ريجان خلال حملته الانتخابية . وتمكنت «الأغلبية الأخلاقية» التى كانت تمثل القلب المحرك لليمين المسيحى من حشد ٣ ملايين ناخب فى الانتخابات الرئاسية والتشريعية . وبذلك أصبح اليمين المسيحى قوة مؤثرة فى فوز ريجان .

وعين ريجان عددا من شخصيات اليمين المسيحى فى مناصب سياسية مهمة[(١)] . وفى عام ١٩٨٣ ، أيد ريجان فى خطابه أمام «الاتحاد الوطنى للإذاعيين الدينيين»، قضايا أچندة اليمين المسيحى مثل خفض الضرائب على أولياء أمور تلاميذ مدارس الأبرشيات، وعودة الصلاة إلى المدارس ، وأدان ريجان حكم المحكمة العليا بإجازة الإجهاض (دعوى رو ضد ويد ١٩٧٣)، وأصبح لليمين المسيحى عُصبة أعضاء موالين فى مجلس النواب وممثلين فى مجلس الشيوخ ، مثل السناتور چيسى هيلمز والسناتور أورن هاتش، للتقدم بتشريعات لحظر الإجهاض، والسماح بالصلاة فى المدارس[(٢)] .

وشهدت سنوات الثمانينيات توسع «أجندة» اليمين المسيحى، لتضم إلى جانب القضايا المحلية والأخلاقية، قضايا خارجية مثل زيادة القدرة الدفاعية الأمريكية، ومعارضة التجميد النووى. بل إن اليمين المسيحى انخرط فى عمليات خارجية على نحو ما ظهر فى فضيحة «إيران ـ كونترا» وإسقاط حكومة ساندنيستا. وفى السلفادور، قادت المنظمات الإيفانجيلية تظاهرات وحملات دعائية لتأييد نظام الحكم العسكرى. وفى الفليبين، نظمت تلك المنظمات بعثات تبشيرية بعد انتخاب كورازون أكينو. وفى جنوبى إفريقيا، شارك الإيفانجيليون الأمريكيون فى حملات دعائية ضد المؤتمر الوطنى الإفريقى لصالح النظام العنصرى هناك. كما حشدت منظمة الأغلبية الأخلاقية أعضاءها فى «الحملة الصليبية ضد التجميد النووى» **ووزع رئيس المنظمة نشرة تحت عنوان «الحرب النووية وعودة المسيح»، تربط الحرب النووية مع الاتحاد السوفييتى بالمجىء الثانى للمسيح[٣]. وكانت «هرمجدون النووية من أجل إسرائيل» الرباط المقدس بين اليمين المسيحى الصهيونى والرئيس ريجان.**

لقد تأثر ريجان كثيرا بوالدته التى كانت قارئة للكتاب المقدس، متعبدة جدا، مؤمنة بالمسيح والخلاص. ولذا، نشأ ريجان على قراءة الكتاب المقدس وزيارة الكنائس.

ويقول ريجان عن نفسه إنه تربى على الكتاب المقدس، وعلمه لمدة طويلة فى مدارس الأحد.

كما تأثر ريجان بأصدقاء مقربين يعتقدون فى «التدبيرية الإلهية» مثل القس الإيفانجيلى المبشر بيلى جراهام. ويذكر ريجان أن جراهام زاره خلال إقامته فى المستشفى عام ١٩٦٨، ودار بينهما حديث حول النبوءات المتعلقة بالمجىء الثانى للمسيح وإمكان تحقيقها فى ذلك الوقت.

وفى عام ١٩٧٠، وخلال حملة ريجان لولاية ثانية كحاكم لولاية كاليفورنيا، زار ريجان فى منزله القس الإيفانجيلى چورج أوتيس، حيث دار حديث طويل عن النبوءات التوراتية ومؤشرات نهاية الزمن. وفى نهاية الحديث، كما قال أوتيس، وقف الجميع مع الحاكم ريجان يؤدون الصلاة وأيديهم متشابكة، وتنبأ أوتيس لريجان بأن يصبح رئيسا للولايات المتحدة.

وفى عام ١٩٧١، طلب الحاكم ريجان من بيلى جراهام أن يلقى خطابا فى المجلس التشريعى لكاليفورنيا، فتحدث جراهام عن أن البديل للشيوعية هو الخطة الواردة فى الكتاب المقدس بالمجىء الثانى للمسيح.

وروى چيمس ميلز رئيس مجلس الشيوخ فى كاليفورنيا، فى مقال نشره عام ١٩٨٥، فى مجلة «سان دييجو»، أن ريجان أقام مأدبة عشاء على شرفه عام ١٩٧١، وفى أثنائها سأله ريجان بصورة غير متوقعة عما إذا كان قد قرأ الإصحاحين ٣٨ و٣٩ من سفر حزقيال. وقال ريجان إن حزقيال رأى فى العهد القديم المذبحة التى ستدمر عصرنا. ثم تحدث بتركيز لاهب عن ليبيا لتحولها إلى الشيوعية، وأصرّ على أن فى ذلك إشارة إلى أن يوم هرمجدون لم يعد بعيدا. **وقال ريجان :**

إن جميع النبوءات التى يجب أن تتحقق قبل هرمجدون قد مرت. ففى الإصحاح ٣٨ من سفر حزقيال أن الرب سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة . . لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفى سنة، ولأول مرة يبدو كل شىء فى مكانه بانتظار هرمجدون والمجىء الثانى للمسيح . . إن حزقيال يقول إن النار والحجارة المشتعلة سوف تمطر على أعداء شعب الرب. إن ذلك يجب أن يعنى أنهم سوف يدمرون بواسطة السلاح النووى . . ويخبرنا حزقيال أن جوج وماجوج، الأمة التى ستقود قوى الظلام الأخرى ضد إسرائيل سوف تأتى من الشمال. إن جوج يجب أن تكون روسية. ليس من الأمم القديمة شمالى إسرائيل غير روسيا. لقد أصبحت روسيا شيوعية وملحدة لتضع نفسها ضد الرب والآن تنطبق عليها تماما مواصفات جوج. وفى عام ١٩٧٦، ناقش ريجان حاكم ولاية كاليفورنيا معركة هرمجدون فى مقابلة مسجلة مع چورچ أوتيس، وقال ريجان إنه ينتظر نبوءة حرب جوج وماجوج «التى تعتبر بأنها غزو روسى لإسرائيل فى المستقبل القريب».

وفى حملته للرئاسة عام ١٩٨٠، ذكر ريجان فى مقابلة تليفزيونية أجراها معه الواعظ التليفزيونى چيم بيكر: إننا قد نكون الجيل الذى يشهد هرمجدون. وفى العام نفسه، نقل ويليام سافاير معلق صحيفة «نيويورك تايمز»، أن ريجان قال أمام مؤتمر يهودى: **إن إسرائيل هى الديمقراطية الثابتة الوحيدة التى يمكن أن نعتمد عليها كموقع لحدوث هرمجدون.**

وفى مقابلة مع القس چيرى فالويل عام ١٩٨١، كشف فالويل عن أن الرئيس ريجان قال له إن تدمير العالم يمكن أن يحدث قريبا.

وفى مناسبات ثلاث (١٩٨٢ و١٩٨٣ و١٩٨٤) خطب ريجان فى اتحاد المذيعين الدينيين، مؤكدا اقتناعه بقرب هرمجدون والمجىء الثانى للمسيح وفقا لمشيئة الرب كما ورد فى نبوءات الكتاب المقدس(٤).

وفى عام ١٩٨٦ ، أصبحت ليبيا العدو الأول لريجان. ونظر إليها كواحدة من أعداء إسرائيل الذين ذكرتهم النبوءات، وبالتالى فهى عدوة للرب . . وكان مما قاله: إن أرض إسرائيل ستتعرض لهجوم تشنه عليها جيوش الأمم الكافرة، وإن ليبيا ستكون من بين تلك الأمم . . إن يوم هرمجدون لم يعد بعيدا . . ولذلك حاول ريجان رئيس أمريكا الدولة العظمى قتل رئيس (القذافى) دولة صغيرة (ليبيا) فى مخدعه[٥].

إن چيمس ميلز فى مقاله فى مجلة سان دييجو أغسطس عام ١٩٨٥ يستنتج أن ريجان كان ينطلق فى سياساته من إيمانه بنبوءات الكتاب المقدس. وأظهر بصورة دائمة التزامه القيام بواجباته تمشيا مع إرادة الرب، أى العمل بما يحقق نبوءة الرب انسجاما مع إرادته السامية حتى يعود المسيح ليحكم الأرض ألف سنة. ومن ثم فإن توجه ريجان للإنفاق العسكرى وتردده إزاء مقترحات نزع السلاح النووى يتفقان مع رؤيته المستمدة من الكتاب المقدس. إذ إن هرمجدون التى تنبأ بها حزقيال لا يمكن أن تحدث فى عالم منزوع السلاح، وقال ميلز أيضا إن سياسات ريجان الداخلية والمالية توخت الانسجام مع النبوءات التوراتية سواء من جهة زيادة الإنفاق العام «الدفاعى»، وزيادة الدين القومى العام أو من جهة معاداة التدخل الحكومى فى الاقتصاد ومعاداة البرامج الاجتماعية لمكافحة الفقر والبطالة.

لقد جاء انخراط اليمين المسيحى فى القضايا الخارجية بعدما تبين أن أجندته الداخلية الأخلاقية لم يتبنها الرئيس ريجان، بعكس ما كان منتظرا، وبعد فشل تمرير تشريعى حظر الإجهاض، وإباحة الصلاة فى المدارس، من الكونجرس الذى كانت تسيطر عليه أغلبية ديمقراطية.

ولذلك، اتخذ اليمين المسيحى تكتيكات جديدة مثل الاستخدام المتزايد للتظاهر واللجوء إلى العنف تجاه عيادات الإجهاض، إلى جانب زيادة قدرته التنظيمية والتصويتية لدعم مرشحى الرئاسة والكونجرس[٦].

وإلى جانب منظمة «الأغلبية الأخلاقية» ومنظمة «الصوت المسيحى» والشبكات التليفزيونية الدينية، أسس اليمين المسيحى منظمة «الائتلاف الأمريكى للقيم التقليدية»، عام ١٩٨٣ ، بزعامة القس تيم ليهى، لتجميع الأموال وحشد الأصوات.

وأسست زوجة ليهى، بيفرلى، منظمة «التركيز على المرأة من أجل أمريكا» عام ١٩٨٥ ، ووصل عدد أعضائها إلى حوالى ٦٠٠ ألف بنهاية الثمانينيات[٧]. وفى عام ١٩٨٧ ، نشأ «ائتلاف الحرية الأمريكية». وقد تورطت منظمتا التركيز على المرأة، وائتلاف الحرية، فى عمليات أمريكا فى نيكاراجوا[٨].

بيد أن عام ١٩٨٨ ، كان عام استعراض القوة بالنسبة لليمين المسيحى ، بإعلان بات روبرتسون الواعظ الدينى التليفزيونى ورئيس شبكة CBN عزمه على الترشيح للرئاسة عن الحزب الجمهورى.

من جهة تكلفت حملة روبرتسون ٢٧ مليون دولار ، واستطاع أن يحشد حوالى مليون صوت أى حوالى ٩٪ من المجمع الانتخابى ، بما جعله متقدما على المرشح جاك كمب[٩].

ولكن فشل روبرتسون فى الترشيح لانتخابات الرئاسة ، قاده لتأسيس منظمة «الائتلاف المسيحى» فى العام نفسه ، لتصبح المنظمة القاعدة لليمين المسيحى والقوة المؤثرة فى فوز الرئيس بوش وعدد من نواب الكونجرس وحكام الولايات فى انتخابات سنة ١٩٨٨ ، ثم التوسع على مستوى الولايات من خلال مجالس المدن ومجالس المدارس[١٠].

٢ ـ اللوبى المسيحى الصهيونى

منذ فجر التاريخ الأمريكى ، وبتأثير البروتستانتية البيوريتانية «التطهرية» ثم الإيفانجيلية الأصولية ، ظل الاعتقاد ببعث الدولة اليهودية قبل المجىء الثانى للمسيح ، يشكل جزءا من مصفوفة التاريخ الفكرى الأمريكى.

وهذا الاعتقاد البروتستانتى الأمريكى ، القائم على التفسير الحرفى للنبوءات التوراتية ، تحول إلى حركة مسيحية صهيونية ، سبقت الصهيونية اليهودية فى الدعوة إلى قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين مع مؤتمر بازل سنة ١٨٩٧ .

ولذلك ، ظهر «اللوبى المسيحى الصهيونى» فى الولايات المتحدة قبل ظهور «اللوبى اليهودى» بعقود ، وليصبح أكثر نفوذا وتأثيرا فى تسعينيات القرن العشرين ، بتغلغله داخل الحزب الجمهورى الذى سيطر على مجلسى الكونجرس منذ سنة ١٩٩٤ .

إن جماعات الضغط تلعب دورا مهما فى النظام السياسى الأمريكى ، وفى العمليات السياسية بمحاولة التأثير على صانعى القرار فى النظام السياسى ، من أجل تحقيق أغراضها ومصالحها . فهناك الجماعات التى تعبر عن مصالح الشركات أو نقابات العمال أو المزارعين او المنظمات المهنية أو التنظيمات العرقية والدينية أو تلك التى تحارب التمييز.

وتستخدم جماعات الضغط وسائل متنوعة فى ممارسة نشاطها ، منها وسيلة «اللوبى» ، إذ يتولى تقديم المعلومات بهدف الإقناع والتأثير فى قرارات الآخرين ، وبخاصة فى

المؤسستين التشريعية والتنفيذية، فضلا عن التأثير فى الجماهير من خلال تأثيرها فى اتجاه الفرد ورأيه، ومواقفه السياسية، وكذلك فى التنظيمات الجماعية الأخرى، والتأثير لإنجاح تأييد مرشحين فى الانتخابات وتقديم المساعدات المالية والمعنوية والإعلامية فى سبيل ذلك.

وما يطلق عليه «اللوبى اليهودى» يقصد به أساسا اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة ـ إيباك ـ التى تأسست عام ١٩٥٩، ومؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية، الذى تأسس فى العام نفسه، إضافةً إلى لجان العمل السياسى وأهمها اللجنة القومية للعمل السياسى، التى تأسست عام ١٩٨٢. وهناك حوالى ٣٠٠ منظمة يهودية فى الولايات المتحدة، تمارس أعمالا إنسانية داخل الوسط اليهودى.

ولكن الانتماء الصهيونى سرى فى طريقة الحياة الأمريكية وتخلل نسيجها قبل عقود من ظهور «اللوبى اليهودى». ويفصح عن مدى ذلك التغلغل، ما أظهره الجمهور الأمريكى العريض من تحمس بالغ للانتداب البريطانى على فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى، ثم إدانته عالية الصوت لسياسة بريطانيا فى فترة ما بين الحربين تجاه فلسطين، كلما بدا أن تلك السياسة خرجت عن خط بلفور، بل إن الواقع على الصعيدين التنفيذى والتشريعى، أى الإدارة والكونجرس، أظهر أن الانتماء الصهيونى بات مرادفاً فى أذهان كثيرة لكون المرء أمريكيا، بل أمريكيا كما ينبغى أن يكون الأمريكى[١١].

وقد نشطت الحركة المسيحية ـ الصهيونية الأمريكية فى إنشاء منظمات ولجان مسيحية تستخدم اسم فلسطين، وتهدف إلى تعبئة الرأى العام وممارسة الضغط على الإدارة والكونجرس لمصلحة الصهيونية السياسية قبل ظهور اللوبى اليهودى. وكانت من أوائل تلك المنظمات واللجان (منظمة فيدرالية أمريكا الموالية لفلسطين Pro- Palestine Federation of America) التى أسسها القس تشارلز رسل عام ١٩٣٠ للدفاع عن الوطن القومى لليهود[١٢].

وتبنت المنظمة مؤتمراً أسمته «المؤتمر المسيحى الأمريكى»، عقد بمدينة نيويورك فى ١٥ ديسمبر ١٩٣٦، وحضره أكثر من ٢٠٠ شخصية من المسئولين الحكوميين ومن رجال الدين، وأصدر المؤتمر إعلانا يطالب المجتمعات المتحضرة بمساعدة اللاجئين اليهود الفارين من ألمانيا وأوروبا الشرقية لدخول فلسطين ملاذهم الطبيعى[١٣].

وفى عام ١٩٣٢، تأسست (اللجنة الفلسطينية الأمريكية ـ American Palestine Committee) بهدف حشد المؤيدين للصهيونية من غير اليهود، وتطوير وعى الرأى العام

الأمريكى بالصهيونية وأغراضها وانجازاتها فى فلسطين. وقد ترأس اللجنة عام ١٩٤٢ السناتور روبرت واجنر ومعه زعيم الأقلية تشارلز ماكمارى، وضمت فى عضويتها ٦٨ من أعضاء مجلس الشيوخ وأكثر من ٢٠٠ من أعضاء مجلس النواب وعشرات من رجال الدين[١٤].

وفى عام ١٩٤٢، تشكلت منظمة مسيحية صهيونية هى (المجلس المسيحى الفلسطينى - Cheristian Council On Palestine)، وكان معظم أعضائها من القساوسة البروتستانت، واستهدفت «توجيه الاهتمام نحو فلسطين كملجإ وحيد لليهود وكأرض موعودة ومعتمدة بوعد بلفور»[١٥]. وفيما بعد، اندمجت اللجنة الفلسطينية الأمريكية مع المجلس المسيحى الفلسطينى فى منظمة جديدة عرفت باسم «لجنة فلسطين المسيحية الأمريكية».

كما شهد عام ١٩٤٢، تأسيس «الاتحاد الوطنى للإيفانجيليين» الذى أصبح فيما بعد معقل المسيحية الصهيونية والإيفانجيلية الأصولية، إذ قام على الاعتقاد بحرفية الكتاب المقدس، بما فى ذلك النبوءات التى تشير إلى عودة اليهود إلى فلسطين قبل المجىء الثانى للمسيح. كما أفرز الاتحاد الوطنى للإيفانجيليين منظمات وزعامات مسيحية صهيونية حشدت البروتستانتية الأمريكية المحافظة، ولعبت دوار مهما فى السياسية الأمريكية داخليا وخارجيا، يفوق دور «اللوبى اليهودى»، فالإيفانجيلية «الأصولية»، انطلاقاً من مبدإ عصمة الكتاب المقدس، تحولت لأن تصبح مسيحية صهيونية، تعتقد فى النبوءات التوراتية، حول نهاية العالم وإحلال مملكة جديدة بعد العودة الثانية للمسيح «معركة هرمجدون»، وضرورة تجميع اليهود فى الأرض المقدسة قبل عودة المسيح.

لذلك، سعت المنظمات والزعامة المسيحية الصهيونية والأصولية فى أمريكا، قبيل إنشاء الدولة اليهودية، لدعم الاتجاهات الصهيونية لدى الرأى العام الأمريكى، وممارسة الضغوط السياسية على الإدارة الأمريكية من أجل مصلحة إقامة دولة يهودية فى فلسطين، مستخدمة من أجل ذلك كل وسائل النشر المتاحة والندوات والإعلانات والعرائض. وبعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، اعتبرت الإيفانجيلية الأصولية ذلك الحدث تجسيدا لصحة نبوءات التوراة والاعتقاد بقرب المجىء الثانى للمسيح ليحكم العالم فى الألف عام السعيد. وصارت الإيفانجيلية الأصولية ترى فى دعم وتثبيت دولة إسرائيل تعجيلا وتسريعا ليوم الخلاص بعودة المسيح. وبدلا من تنصير الإسرائيليين قبل مجىء المسيح حسب الاعتقاد الإيفانجيلى، فقد رأت الحركة المسيحية الصهيونية والأصولية

تأجيل هذا الموضوع وركزت جهودها على تأكيد شرعية دولة إسرائيل على أساس الاعتقاد بأنها قامت وفقا للنبوءات التوراتية، وتأكيد حق إسرائيل فى أرض الميعاد بما فيها القدس.

وجاءت حرب يونيو سنة ١٩٦٧ والانتصار الإسرائيلى العسكرى فيها، وما نتج عنه من احتلال القدس، لتعطى زخما للحركة المسيحية الصهيونية والأصولية فى أمريكا، إذ كان احتلال القدس أكثر أهمية من إقامة إسرائيل، حيث اعتبرت عودة اليهود إلى القدس تحقيقا لنبوءات التوراة وتأكيدا لصحتها، ودليلا على قرب مجىء المسيح.

لقد اعتبرت الحركة المسيحية الصهيونية والأصولية، بعد عام ١٩٦٧، أن العالم أصبح إزاء الخطوة قبل الأخيرة لنهايته.

وفى عام ١٩٧٠، كتب هال لندسى كتابه «كوكب الأرض العظيم الراحل» الذى زعم فيه «أن عودة القدس إلى اليهود تمثل الخطوة قبل الأخيرة قبل نهاية العالم، إذ إن الخطوة الأخيرة هى إعادة بناء المعبد القديم فوق موقعه التاريخى القديم .. وهو المكان نفسه الذى تقوم عليه الآن قبة الصخرة»(١٦).

ومع صعود المسيحية الصهيونية والأصولية الأمريكية فى السبعينيات كقوة سياسية مؤثرة، تشكلت منظمات مسيحية صهيونية مماثلة لإسرائيل، ربطت بين بقاء إسرائيل وبقاء أمريكا عظيمة، باعتقاد أن الرب يبارك أمريكا لأنها تدعم إسرائيل. وتشكل تلك المنظمات ما يمكن تسميته «اللوبى المسيحى الصهيونى»

● منظمة (الأغلبية الأخلاقية ـ The Moral Majority)

أسس القس والواعظ التليفزيونى چيرى فالويل منظمة «الأغلبية الأخلاقية» عام ١٩٧٩، لنشر الأخلاق المسيحية التقليدية، ولذلك استهدفت معارضة كل من الإجهاض والمثلية الجنسية وتقنين حقوق اللواطيين والسحاقيات، والمطالبة بإيقاف الحظر على الصلاة فى المدارس. وفى مجال السياسة الخارجية، استهدفت الأغلبية الأخلاقية محاربة الشيوعية وتوفير دفاع قوى للولايات المتحدة ومعارضة التجميد النووى، بزعم أن العالم بانتظار معركة هرمجدون نووية بين قوى الخير والشيطان. وتمثل إسرائيل موقعا بارزا فى برنامج الأغلبية الأخلاقية وخطاب مؤسسها چيرى فالويل.

فالبرنامج يتضمن دعم إسرائيل دون شرط. وكما قال فالويل فإن البرنامج ومنظمته وسيلة لحماية وتطوير الموقف بجانب الشعب اليهودى وإسرائيل .. فالرب قد حدد حدود

إسرائيل وأيد مطالبها فى الأرض . . واليهود لهم حق تاريخى ولاهوتى وقانونى فى أرض إسرائيل.

وتعود جذور فكر فالويل الصهيونى إلى معتقداته الإيفانجيلية الأصولية المتهودة، وهو يشير باستمرار إلى مايسميه «وعد الرب لإبراهيم منذ أربعة آلاف عام . . سأبارك من يبارك إسرائيل وألعن من يلعنها . . ومن هذا الموقف اللاهوتى، فإن على الولايات المتحدة الأمريكية ألاّ تتردد فى تقديم كل الدعم المالى والعسكرى إلى إسرائيل»(١٧).

ويعتبر فالويل أول سياسى أمريكى يتطرف فى القول بأن «دعم الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل ليس من أجل مصلحة إسرائيل، ولكن من أجل مصلحة الولايات المتحدة نفسها». ويقول أيضا إن «دعمه لإسرائيل غير مشروط، وإن إسرائيل هى خط الدفاع الأمريكى فى الشرق الأوسط». ويعتقد أنه «لا مجال للنقاش فى كون يهودا والسامرة جزءاً من إسرائيل وكذلك الجولان، وأن القدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل»(١٨).

وكان لمنظمة الأغلبية الأخلاقية قيادة على المستوى القومى برئاسة فالويل تسمى «القيادة القومية للأغلبية الأخلاقية»، وفروع فى كل أنحاء الولايات المتحدة.

وقد تملكت «الأغلبية الأخلاقية» نظاما متطورا للتنظيم والاتصال، فوصل عدد أعضائها إلى ٦,٥ مليون أمريكى، ومدت اتصالاتها البريدية والإلكترونية إلى حوالى ٢٥ مليون أمريكى، علاوة على اتصالاتها بالبيت الأبيض والكونجرس. وسلكت المنظمة مسلك «اللوبى» بما فى ذلك تأمين الدعم المالى للمرشحين للمناصب السياسية ممن يؤيدون وجهة نظرها. وتمكنت «الأغلبية الأخلاقية» من مخاطبة الأمريكيين وتوعيتهم من خلال شبكة فالويل الإذاعية والتليفزيونية الدينية، وتعبئة الملايين من غير المهتمين بالعمل السياسى للانخراط فيه وممارسة الحقوق الانتخابية، إضافة إلى أساليب الضغط المكثف فى الكونجرس سواء لانجاح مشروع أو مرشح مؤيد لها، أو إفشال المعارضين.

● السفارة المسيحية الدولية (International Christian Embassy)

جاءت ولادة هذه المنظمة المسيحية الصهيونية عام ١٩٨٠، بعد قرار الحكومة الإسرائيلية، اعتبار القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل فى العام نفسه.

وتضمن المنشور التأسيسى للمنظمة أن «من الواضح أن الرب وحده، هو الذى أنشأ هذه السفارة المسيحية الدولية، وفى هذه الساعات الحرجة من أجل الراحة لصهيون، واستجابة حب جديدة لإسرائيل»[١٩].

واختصر مؤسس المنظمة ورئيسها چان ڤان ديرهوفن أهدافها بإعلانه **«إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم، وإن القدس هى المدينة الوحيدة التى تحظى باهتمام الرب، وإن الرب قد أعطى هذه الأرض لإسرائيل إلى الأبد»** [٢٠].

ويرى أعضاء هذه السفارة أنه إذا لم تبق إسرائيل، فإنه لا مكان للمسيح عند مجيئه الثانى. ولا تكتفى هذه المنظمة بدعمها وجود إسرائيل، بل تدعم سياساتها التوسعية، بما فيها اعتبار الضفة وغزة حقوقا أعطاها الرب للشعب اليهودى [٢١].

وتنظم السفارة احتفالا سنويا بالعيد اليهودى المسمى عيد العريش (Tabernacles) فى القدس، وتحشد الآلاف من المسيحيين فى جميع أنحاء العالم للمشاركة، كتعبير عن التأييد المسيحى لإسرائيل ولسياستها.

بيد أن أهم أنشطة السفارة المسيحية الدولية هو «المؤتمر المسيحى الصهيونى» الدورى الذى تعقده فى المكان نفسه الذى انعقد فيه أول مؤتمر صهيونى يهودى فى مدينة بازل فى سويسرا عام ١٨٩٧.

وفى المؤتمر المسيحى الصهيونى الأول الذى عقد عام ١٩٨٥، صدرت عدة قرارات منها دعوة كل الأمم للاعتراف بإسرائيل، واعتبار يهودا والسامرة جزءا من إسرائيل بالحق التوراتى، والمطالبة بالاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل، ودعوة مجلس الكنائس العالمى فى چنيف إلى الاعتراف بالصلة التوراتية التى تربط بين الشعب اليهودى وبين أرضه الموعودة وكذلك بالبعد التوراتى لدولة إسرائيل.

وكان البند الأخير فى إعلان المؤتمر أن أعضاء المؤتمر يصلون وينظرون بلهفة لليوم الذى تصبح فيه القدس مركزا لاهتمام الإنسانية، حينما تصير مملكة الرب حقيقة واقعة[٢٢].

وفى المؤتمر المسيحى الصهيونى الثانى الذى عقد فى القدس عام ١٩٨٨، بمناسبة الذكرى الأربعين لقيام إسرائيل، أعلن أعضاء المؤتمر فى بيانه الختامى: **الحب لإسرائيل وللشعب اليهودى. . الحق المقدس لليهود بأن يعيشوا أحراراً فى أرض إسرائيل كلها بما فيها يهودا والسامرة. . تشجيع عودة الشعب اليهودى كله من الشتات استجابة لدعوة**

الرب . . حث الدول جميعها على الاعتراف بإسرائيل، وإقامة سفاراتها فى القدس . . دعوة الأمم إلى دعم إسرائيل والاستثمار فيها.

وقد أنشأت السفارة المسيحية الدولية، صندوقا دوليا للاستثمار من أجل تطوير الإقتصاد الإسرائيلى فى مجالات السياحة والصناعة عالية التكنولوچيا وتشجيع استيراد البضائع الإسرائيلية، ومن أجل ذلك تعهدت بحثٍّ الأمم المسيحية على عدم الخضوع لأنظمة المقاطعة العربية لإسرائيل.

وأقامت السفارة مراكز لها فى أكثر من ٤٠ دولة فى العالم، وفى الولايات المتحدة وحدها يوجد لهذه المنظمة ٢٢ فرعا فى ٢٢ ولاية. وفى كل فرع كاهن أو أسقف برتبة قنصل . . ومهمة القناصل داخل الولايات المتحدة وخارجها تنظيم التجمعات والتظاهرات المؤيدة لإسرائيل، وجمع المساعدات والتبرعات وبيع سندات الدعم لإسرائيل والاتصال المباشر بالمسئولين السياسيين للاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل. **وكانت منظمة السفارة المسيحية وراء القرار الأول الذى صدر عن الكونجرس الأمريكى فى شهر إبريل عام ١٩٩٠، والذى دعا الإدارة الأمريكية إلى الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل.**

● مؤسسة جبل المعبد (Temple Mount Foundation)

ربما تكون مؤسسة جبل المعبد أكثر المنظمات المسيحية الصهيونية الأمريكية صهيونية. ومقر المؤسسة فى لوس أنچلوس بولاية كاليفورنيا، وهدفها إقامة المعبد فى القدس. ويتولى إدارة شئونها مليونير أمريكى وأحد أقطاب صناعة النفط فى ولاية أوكلاهوما يدعى تيرى رايز نهوفر [(٢٣)].

ويتفرع عن المؤسسة «اللجنة الإيڤانجيلية» وتعمل فى مدينة القدس، وتترأسها قيادة ثلاثية تضم إضافة إلى رايزنهوفر، رجل أعمال من كاليفورنيا هو تشاك كريجر، ورجل دين پروتستانتى أصولى هو چيمس ديلوش.

وقد دافعت اللجنة عام ١٩٨٣ عن المعتقلين من الإسرائيليين المتطرفين الذين قاموا بتخريب وإتلاف جزء من المسجد الأقصى.

ويشكل بناء المعبد اليهودى (الهيكل) عند هذه المنظمة الصهيونية واحدة من آخر الإشارات التى تسبق المجىء الثانى للمسيح.

ومن أجل هذه الغاية، تقوم مؤسسة جبل المعبد بتجميع الأموال من المسيحيين الأصوليين الأمريكيين، لشراء الأراضى فى القدس، والإنفاق على إعداد عدد من رجال الدين اليهودى وتدريبهم على أنظمة الهيكل وقوانين ذبح القرابين وإحراق البخور. كما ساهمت المؤسسة فى مشروع تصميم الهيكل، حيث تم تصميم مجسم له فى حجم غرفة كاملة. وبموجب التصميم المعتمد يقوم الهيكل مكان المسجد الأقصى. كما يبين التصميم موقع «قدس الأقداس»، أى المكان الذى يقال إنه كانت فيه الألواح المقدسة التى تضمنت الوصايا الإلهية(*).

ويتمتع رايزنهوفر ومجموعته بصلات واسعة مع المنظمات والقيادات المسيحية والصهيونية الأصولية، وله منافذ سالكة إلى البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية، وكان أحد أفراد القيادة المسيحية الأصولية الذين دعاهم البيت الأبيض فى مارس سنة ١٩٨٤ لكسب تأييدهم لبرنامج الإدارة الأمريكية داخليا وخارجيا.

وقام رايز نهوفر بشراء أراض فى الضفة الغربية، وبخاصة فى مدينة القدس لمصلحة إسرائيليين، وظل هدفه الأساسى بناء «المعبد الثالث»(*) عند المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

● مؤتمر القيادة المسيحية الوطنية لأجل إسرائيل

(The National Christian Leadership Conference For Israel)

نشأ مؤتمر القيادة المسيحية لأجل إسرائيل عام ١٩٨٠، من تجمع عدة جماعات ومنظمات مسيحية صهيونية. ويقول پول فندلى إن الهدف من ذلك التجمع المسيحى الصهيونى الاهتمام ببقاء ودعم إسرائيل ورفاهيتها[٢٤] ويمارس المؤتمر نشاطاته بأشكال وأساليب متعددة منها النشاطات اللاهوتية والمؤتمرات والمسيرات ووسائل الضغط المنظمة والإعلانات.

وتقيم المنظمة مؤتمرا سنويا فى واشنطن العاصمة لخدمة إسرائيل، وعادة يحضره أعضاء من الكونجرس. وقد دعا المؤتمر فى يونيو عام ١٩٨٢، للتظاهر دعما لغزو إسرائيل

(*) يُمكن لمن أراد الرجوع لقصة الهيكل من مصادرها فى العهد القديم أن يرجع لكتاب «داود وسليمان فى العهد القديم والقرآن» من إصدارات مكتبة الشروق.

للبنان. وبالفعل شملت التظاهرات عدة مدن أمريكية، مطالبة بدعم اسرائيل عسكريا واقتصاديا، وتفهم حاجة إسرائيل لحماية شعبها ضد الإرهاب! ثم قامت المنظمة بحملة إعلانية فى صحيفتى «واشنطن پوست» و «نيويورك تايمز» وعدد آخر من كبريات الصحف الأمريكية، تحت عنوان «مسيحيون متضامنون مع إسرائيل».

وبررت الحملة الإعلانية عملية الغزو الإسرائيلى للبنان، واعتبرتها حماية للمدنيين الإسرائيليين، وتحريرا للشعب اللبنانى من منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا . . وحثت الحكومة الأمريكية على مواصلة العمل لتعاون أفضل مع إسرائيل لأنها الحليف الذى يعتمد عليه فى الشرق الأوسط [٢٥].

وفى المؤتمر الذى عقدته المنظمة عام ١٩٨٢ فى واشنطن العاصمة، صدر بيان ختامى، يؤيد إسرائيل واليهود ويؤكد على الالتزام بأمن إسرائيل، «وبأن كل الأراضى المقدسة هى ملك للشعب اليهودى، وأن القدس هى العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل، التى لا يجوز تدويلها أو أن تكون محلا للتفاوض أو الحلول الوسط . . وأن الشعب اليهودى فى أى مكان سيظل شعب الله المختار الذى يبارك الرب من يباركه ويلعن من يلعنه»[٢٦].

وفى ذكرى مرور أربعين عاما على انتهاء الحرب العالمية الثانية، أصدر مؤتمر القيادة المسيحية الوطنى من أجل إسرائيل بياناً وجهه إلى جميع المسيحيين ونشره كإعلان فى صحيفة نيويورك تايمز، جاء فيه :

«أعطوا اهتماماً خاصا لمعنى إسرائيل فى فكر الشعب اليهودى وعقيدته وحياته خلال تاريخه الطويل . . وارفعوا أصواتكم عالية ضد اللاسامية التى تختفى وراء معادة الصهيونية . . »[٢٧].

واعتبر البيان قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص بإعلان الصهيونية شكلا من العنصرية . . فضيحة لابد من إزالتها من سجل الأمم المتحدة [٢٨].

ويعمل مؤتمر القيادة المسيحية من أجل إسرائيل، كائتلاف منظمات تعمل لدعم الصهيونية وإسرائيل وسط المجتمع المسيحى الأمريكى، ولذلك يعتبر من أقوى جماعات الضغط المسيحية الصهيونية.

ويضم اللوبى المسيحى الصهيونى فى الولايات المتحدة، منظمات أخرى أصغر. فهناك المنظمة المسماة «مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل»، التى نشأت عام ١٩٧٥ بهدف تعزيز الموقف المسيحى الصهيونى ودعم إسرائيل.

وهناك (المصرف المسيحى الأمريكى لأجل إسرائيل ـ The American Christian Trust for Israel) لنقل الأموال الأمريكية مباشرة إلى إسرائيل، واستخدام التبرعات والمساهمات المالية فى شراء الأراضى فى الضفة الغربية وبناء وتوسيع المستوطنات. ومن أمثلة تلك المنظمات، أيضا، «عصبة الصداقة الإسرائيلية الأمريكية» ومقرها نيويورك، ويضم مجلس إدارتها أكثر من ٥٠ نائبا بالكونجرس وحكام بعض الولايات، وتعمل من أجل «ضمان استمرار ومتانة العلاقات الإستراتيچية والأخلاقية والتاريخية مع إسرائيل»، وتعتبر أن «مهمة كل أمريكى يحب الحرية ويخدم حقوق الإنسان، هى دعم إسرائيل وتحسين صورتها فى الولايات المتحدة»[٢٩].

وتنظم العصبة الندوات والمؤتمرات وورش العمل «لتطوير وتعميق قواعد فهم أفضل لحاجات وأهداف إسرائيل». وفى كنساس، توجد منظمة «وسطاء لأجل إسرائيل»، وتعتبر نفسها «المؤسسة القومية لأصدقاء إسرائيل المسيحيين» وتقوم بعقد ندوات وإقامة الصلوات لمصلحة إسرائيل فى المدن الرئيسية، وإرسال العرائض من أجل دعم إسرائيل إلى البيت الأبيض والكونجرس.

وهناك منظمات أخرى مثل منظمة «تاف»، وتنظم مسيرات تضامن مع إسرائيل، ومنظمة «اللجنة المسيحية الأمريكية لأجل إسرائيل»، و «رابطة الصهيونية المسيحية لدعم إسرائيل».

إن من الصعب حصر كل المنظمات المسيحية الصهيونية والأصولية فى الولايات المتحدة. ولكن الباحثة جريس هالسل تذكر أنه توجد ٢٥٠ منظمة مسيحية أمريكية مماثلة لإسرائيل تمارس أنشطة مختلفة بدءاً من اجتماعات كنسية للتضامن مع إسرائيل إلى الدعم اللاهوتى وطبع المنشورات وعقد المؤتمرات وتنظيم الأفواج السياحية إلى إسرائيل، إلى الدعم السياسى المباشر بأساليب «اللوبى»[٣٠].

لقد قام اللوبى المسيحى الصهيونى، قبل عقود من نشأة «اللوبى اليهودى» لتأييد ودعم قيام دولة إسرائيل تحقيقا للنبوءات التوراتية، ثم دعم الدولة العبرية بعد قيامها، وتأييد استيلائها على القدس كخطوة قبل أخيرة للمجىء الثانى للمسيح.

ويصل الأمر لحد الاعتقاد بأن دعم أمريكا لإسرائيل، ليس فقط التزاما سياسيا، وإنما رسالة إلهية بسببها يبارك الرب أمريكا، وأصبح ملايين البروتستانت الأمريكيون يدعمون

إسرائيل عن إيمان كامل بأن دعم أمريكا لإسرائيل هو السبيل الأساسى لبقاء أمريكا السياسى والروحى. واستنادا على النص التوراتى «سأبارك من يباركك وألعن من يلعنك» جعلت البروتستانية الصهيونية والأصولية فى أمريكا «إسرائيل فوق الجميع» فالرب يبارك من يبارك إسرائيل. وهكذا، أسست منظمات المسيحية الصهيونية والأصولية، الانحياز الأمريكى لإسرائيل على أساس لاهوتى ثقافى قبل الأساس الإستراتيجى.

وذلك الأساس اللاهوتى والثقافى، هو الذى زاد من ضخامة تأثير ونفوذ إسرائيل و«اللوبى اليهودى الصهيونى» فى الولايات المتحدة.

الفصل الخامس

حزب الله وانتصار اليهومسيحية

«.. لقد شهدت أمريكا مع انتخابات سنة ١٩٩٢ ظهور «حزب الله» بالتحالف بين اليمين المسيحى ويمين الحزب الجمهورى..»

دورية «القرن المسيحى» ١٧ فبراير ١٩٩٣

«استرشاداً بالرؤيا القديمة لأرض الميعاد، فلنوجه أبصارنا اليوم إلى أرض الميعاد الجديدة»

الرئيس كلينتون ـ خطاب حالة الاتحاد ١٩٩٧

١ ـ الائتلاف المسيحى فى سنوات بوش

بعد ٨ أعوام من حكم ريجان، الذى كان قد وعد بتنفيذ «أچندة» الأغلبية الأخلاقية، ظل نشطاء اليمين المسيحى يحركهم أمل حذر خلال حكم چورچ بوش، فحوالى ٨٠٪ من أصوات الإيڤانجيليين ساندت بوش فى الانتخابات الرئاسية عام ١٩٨٨ . وبعد الانتخابات دُعى حوالى مائة من قيادات اليمين المسيحى إلى البيت الأبيض لتبادل الآراء مع نائب الرئيس دان كويل وكبار مساعدى الرئيس. وكان زعماء حركة مناهضة الإجهاض واثقين من عزم الرئيس على اختيار قضاة للمحكمة العليا يسقطون حكم إباحة الإجهاض: قضية (Rev V. Wade) ولكن ثقتهم تراجعت عندما عيّن بوش لويس سوليفان الذى لم يكن معارضا للإجهاض وزيراً للصحة . وفى سنة ١٩٨٩ حكمت المحكمة العليا بوقف قانون ولاية ميسورى الذى كان يحظر استخدام الأموال والتسهيلات العامة والموظفين العاملين فى إجراء الإجهاض[١] .

ولكن اليمين المسيحى فى أواخر الثمانينيات لم يقبل بموقف بوش، فواصل نفوذه داخل الحزب الجمهورى على المستوى المحلى «الولايات» بعد أن كان قد دفع بأحد قادته وهو المبشر التليڤزيونى بات روبرتسون للترشيح للرئاسة عام ١٩٨٨ ، كحركة للمزايدة على ممارسة النفوذ على المستوى القومى. كما لجأ اليمين المسيحى إلى ممارسة تكتيكات مثل التظاهر والمبادرات التصويتية والحملات الإعلامية الدعائية فى قضايا الإجهاض، وحقوق اللواطيين والسحاقيات ، والتمويل الفيدرالى للفنون. وكان من نتيجة التحرك داخل الحزب الجمهورى واستخدام تكتيكات الحشد، أن ظهر نشطاء اليمين المسيحى بقوة على المسرح.

فبعد منظمة الأغلبية الأخلاقية، التى أسسها القس چيرى فالويل، أسس القس بات روبرتسون عام ١٩٨٨ منظمة «الائتلاف المسيحى»، واختار رالف ريد اليمينى المسيحى الجمهورى مديرا لها.

وفى حوار مع «كريستيانتى توداى» ، شرح ريد تأثير الائتلاف المسيحى على الدولة والسياسة المحلية بقوله :

«إننا نعتقد أن الجماعة المسيحية ـ فقدت بسبل شتى ـ الاتجاه الصحيح بتركيزها تماما على البيت الأبيض والكونجرس ، بينما تتقرر معظم المسائل التى تهم الپروتستانت الإيڤانجيليين و الكاثوليك المحافظين فى مجالس المدن ومجالس المدارس والأجهزة التشريعية فى الولايات» (٢) .

ولم يضع الائتلاف المسيحى وقتا ، وتحول إلى اختيار ودعم مرشحين للأجهزة المحلية .

وبعد الانتخابات الرئاسية ، واستكمالاً للائتلاف المسيحى ، أسس چيميس دوبسون شبكة إذاعات «التركيز على العائلة» ، والتى أصبحت تضم ١٣٠٠ محطة إذاعة عام ١٩٨٩ ، وأسس جارى بوير ، مستشار ريجان للسياسات المحلية ، منظمة «مجلس أبحاث العائلة» ، الذى عنى أساسا بالضغط ضد تشريعات إباحة الإجهاض ، بعد حكم المحكمة العليا عام ١٩٨٩ (٣) .

ونشط دور منظمات الائتلاف المسيحى فى تبنى ماسميت «القضايا الأخلاقية» أو ما كان يطلق عليها نشطاء المنظمات «الحرب الثقافية» ، وظلّت الأولوية بين تلك القضايا لقضية الإجهاض وقضية حقوق اللواطيين والسحاقيات ، مثلما كان الأمر منذ منتصف السبعينيات ، وأضيفت إليهما قضايا مثل الصلاة فى المدارس العامة ، والتمويل العام للفنون من خلال «الصندوق القومى للفنون» .

بيد أن قضية الإجهاض كان لها نصيب الأسد فى حركة الائتلاف المسيحى بنهاية الثمانينيات وأوائل التسعينيات . فمن ناحية ، لجأ نشطاء اليمين المسيحى إلى ممارسة الضغط بتكتيكات «اللوبى» ضد التشريعات التى تبيح الإجهاض ، مثلما حدث فى حالة قانون ولاية پنسلڤانيا الذى اشترط على المرأة التى تريد الإجهاض أن تتلقى معلومات «رسمية» عن الإجهاض ، وأن تنتظر ٢٤ ساعة قبل أن تجرى العملية . وتم الدفع بالقانون إلى المحكمة العليا التى أجرت تعديلات عليه عام ١٩٩٢ .

ومن ناحية أخرى ، أيد نشطاء اليمين المسيحى ـ وشاركوا ـ فى أعمال العنف لمنع الإجهاض ، فتعرضت عيادات الإجهاض لموجة من العنف شملت التفجير والسطو المسلح والتهديد بالقتل (٤) .

وفى عام ١٩٩٨ صدر «بيان من أجل الحياة» عن ناشر من اليمين المسيحى حرض على استخدام العنف المسلح لمنع الإجهاض، بقوله إنه : **«إذا كنا قد فشلنا فى محاولة تغيير القوانين لمنع الإجهاض، فلابد أن نلجأ إلى الهجوم المسلح على العيادات والمستشفيات التى تجرى عمليات الإجهاض، بل وعلى من يقومون بالإجهاض.**

وإذا كان الهجوم المسلح هو الحل ، فلا بد من تنفيذه دون تردد وعلى أوسع نطاق . .»(٥).

وبعد ذلك نشر چوزيف شيدلر كتابه «النهاية : ٩٩ طريقة لمنع الإجهاض . .» الذى أصبح دليل نشطاء الحركة المضادة للإجهاض، خصوصا ،وأن مؤلفه كان الملهم لراندل تيرى مؤسس منظمة «عملية الإنقاذ» التى كانت تداهم عيادات الإجهاض(٦).

وبعد القبض على نشطاء داهموا عيادات الإجهاض بالقرب من مقر المؤتمر القومى للحزب الديمقراطى فى انتخابات عام ١٩٨٨ ، دافع عنهم زعماء اليمين المسيحى بمن فيهم بات روبرتسون وچيرى فالويل وچيمس دوبسون، من خلال الشبكات الدينية التليفزيونية.

أما قضية اللواطيين والسحاقيات، فقد احتلت مرتبة تالية، فى حركة اليمين المسيحى، التى استغلت فى تحركها انتشار وباء الإيدز.

ففى كاليفورنيا ، تحرك اليمين المسيحى، لإسقاط حاكم الولاية بيت ويلسون لأنه سمح بقبول دعاوى التمييز ضد اللواطيين والسحاقيات أمام مفتش العمل بالولاية(٧).

وفى أوريچون، أسقط اليمين المسيحى تشريع الولاية الخاص بمنع التمييز المهنى فى التشغيل بالولاية(٨).

وفى كلورادو ، اعتبر تشريع مماثل غير دستورى، وتركزت دعاية اليمين المسيحى بين الجمهور ضد اللواطيين والسحاقيات، على أنهم (اللواطيون والسحاقيات) لا يطالبون بالمساواة فى الحقوق، وإنما يطلبون حقوقا زائدة لاختلافهم جنسيا.

وبخصوص قضية الإنفاق العام على الفن، اعتبر اليمين المسيحى أن الصندوق القومى للفنون يدعم «الفن الإباحى» الذى يهدد القيم التقليدية للعائلة.

وبمجرد أن تسلم بوش الحكم، حول زعماء اليمين المسيحى وعدد من أعضاء الكونجرس قضية الصندوق القومى للفنون إلى قضية على المستوى الفيدرالى، لأن

الصندوق قدم دعما لاثنين من المصورين، كان المصور الأول آندريز سيرانو الذى رسم «المسيح متبولاً». وكان المصور الثانى روبرت مابلثورب، الذى رسم «ألبوم المثلية الجنسية». . وانطلقت حملة فى إبريل سنة ١٩٨٩، بدأها دونالد وايلدمون من «جمعية العائلة الأمريكية» بتعميم رسالة على الكونجرس و «الميديا» و المنظمات المسيحية، معتبرا أن صورة «المسيح متبولاً» انحلال وكراهية للمسيح. وهاجم السناتور ألفونس داماتو والسناتور چيسى هيلمز الصندوق القومى للفنون فى مجلس الشيوخ فى مايو عام ١٩٨٩. وبعد أيام، وقع عضو مجلس النواب ريتشارد آرمى «جمهورى - تكساس» متزعما ١٠٠ من أعضاء الكونجرس، خطابا انتقدوا فيه دعم الصندوق القومى للفنون لمعرض مابلثورب. ولم ينته الأمر عندما وضع الكونجرس قيودا على الدعم الذى يمنحه الصندوق القومى للفنون. فقام بات روبرتسون رئيس منظمة «الائتلاف المسيحى» بحملة إعلانية فى صحيفة « يو إس توداى» تكلفت ٢٠٠ ألف دولار ضد الصندوق القومى للفنون. ثم كان أن ضغط الرئيس بوش لكى يقدم مدير الصندوق چون فورهانماير استقالته(٩).

غير أن نفوذ وتأثير اليمين المسيحى خلال عهدى ريجان وبوش، لم يقتصر على الحملات القومية والمحلية ضد الإجهاض، وحقوق اللواطيين والسحاقيات والصندوق القومى للفنون.

فابتداءً من عام ١٩٩٠، أصبح «الائتلاف المسيحى» بزعامة بات روبرتسون، القلب المحرك لليمين المسيحى فى الحملات الانتخابية على المستويين المحلى والقومى. وحظيت الحركة بنجاح طاغ فى مقاطعة سان دييجو بولاية كاليفورنيا حين نجح لها ٦٠ مرشحاً من إجمالى ٩٠ مرشحا لمجالس المدارس والمدن، لانتمائهم لليمين المسيحى(١٠). وأصبح النجاح المفاجئ فى سان دييجو دليلا لليمين المسيحى فى الحملات الانتخابية المحلية عام ١٩٩٢(١١). بل وأصبح عام ١٩٩٢، عام انتقال اليمين المسيحى من خارج الحزب الجمهورى إلى داخله.

لقد كان الدرس خلال عهدى ريجان وبوش، أن دعم اليمين المسيحى للمرشح الرئاسى (ريجان ثم بوش) والارتباط بمؤسسة الرئاسة، استفاد منه ريجان بركوب موجة «قيم العائلة» العالية، والمد الدينى، واستفاد منه بوش انتخابيا ثم تخلى عن «أچندته»، ومن ثم لابد من الانتقال من تلك المرحلة إلى مرحلة التأثير داخل الحزب الجمهورى.

٢ـ حزب الله: تحالف الإيڤانجيليين والحزب الجمهورى

بعد نهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتى عام ١٩٩١ ، تهدَّد اليمين الأمريكى بالانقسام ، وظهر اليمين المسيحى باعتباره القوة الأكثر تماسكا على الساحة. ففى حين أدى انهيار الاتحاد السوفييتى إلى فقدان اليمين الجديد زخمه مع زوال الشيوعية، وإلى تجديد الاهتمام بالقضايا المحلية فى السياسة الأمريكية، تركز اهتمام اليمين المسيحى على الأخلاق التقليدية ، مستفيدا من الدرس الذى خرج به من تجربة الثمانينيات بأن يضع قدما داخل الحزب الجمهورى والأخرى داخل الكنائس الإيڤانجيلية.

وإلى جانب التركيز على قضايا الإجهاض وحقوق اللواطيين والسحاقيات، والصندوق القومى للفنون ، تحرك الائتلاف المسيحى باتجاه حشد الأصوات فى حملات انتخابية. ففى المؤتمر القومى للائتلاف المسيحى «طريق إلى النصر» فى نوڤمبر سنة ١٩٩١ ، بمقر شبكة روبرتسون التليفزيونية (CBN) فى ڤيرچينيا، اجتمع ٨٠٠ من قادة الائتلاف ، وقرروا أن يكونوا ضمن وفود المؤتمر القومى للحزب الجمهورى وأعضاء فى اللجنة الجمهورية القومية. واتفقوا على تكتيك أن الحد من الأصوات التى لا تشارك فى التصويت هو السبيل إلى الفوز، **فإذا كانت نسبة المسجلين للتصويت، حوالى ٦٠٪ فقط وكان حوالى نصف هذه النسبة فقط يذهب إلى التصويت ، فإن نسبة ١٥٪ من مجمع الأصوات يمكن أن تحدد نتيجة الانتخابات** [١٢].

وقد أظهرت الحملة الانتخابية للرئاسة عام ١٩٩٢ ، نجاحا مذهلاً لنشطاء اليمين المسيحى، سواء داخل الحزب الجمهورى أو فى شعارات الحملة الانتخابية للمرشح الجمهورى.

من ناحية، ظهر اليمين المسيحى كجناح مؤثر داخل الحزب الجمهورى. وكان المؤشر على ذلك أن ٤٧٪ من المفوضين فى المؤتمر القومى للحزب عام ١٩٩٢ ، كانوا يعتبرون أنفسهم «مسيحين ولدوا ثانية» [١٣].

ومن ناحية ثانية، تضمنت شعارات الحملة الانتخابية لبوش أجندة اليمين المسيحى. فبوش نفسه طالب بتعديل دستورى لمنع الإجهاض دون أى استثناء. وحوت الحملة شعارات تعارض منح أى حقوق للواطيين والسحاقيات، وتطالب بمنع الحكومة بيع «البورنوجرافيا» أو تمويل الفنون «الشهوانية» إضافة إلى السماح بالصلاة فى المدارس، ومنع إباحة وسائل منع الحمل فى المدارس[١٤].

وساند اليمين المسيحى المرشحين لمجالس المدن. وفى حصر أجرى لخمسمائة مرشح فائز، تبين أن ٤٠٪ منهم كانوا مدعومين من اليمين المسيحى.

وفى كاليفورنيا، كان ١٣ مرشحا عن اليمين المسيحى من إجمالى ٢٢ مرشحا للكونجرس جرى انتخابهم أو إعادة انتخابهم[١٥]. وكان مفتاح النجاح تكتيك توزيع ملايين من «الدليل الانتخابى» ومطبوعات للترويج لمرشحى وقضايا اليمين المسيحى. ووزع روبرتسون رئيس الائتلاف المسيحى ٤٠ مليون نسخة من «الدليل الانتخابى» على ١٠٠ ألف كنيسة فى الولايات المتحدة الخمسين[١٦]. أما الإستراتيجية فقد تمثلت فيما اتفق عليه المؤتمر القومى للائتلاف المسيحى، أى حشد المسجلين للتصويت الذى لايذهبون عادة للتصويت وراء مرشحيهم وقضاياهم.

ولذلك، مثَّل اليمين المسيحى نسبة ١٧٪ من القاعدة التصويتية فى انتخابات سنة ١٩٩٢، وكان من الممكن أن تكون هزيمة بوش ساحقة، كما قال رالف ريد مدير «الائتلاف المسيحى» لولا أن ٢٥٪ ممن صوتوا له كانوا من اليمين المسيحى، بينهم ٧٠٪ من الإيفانجيليين[١٧].

ولبيان مدى تغلغل اليمين المسيحى داخل الحزب الجمهورى، فإن اللجنة القومية للحزب أجرت مسحا عام ١٩٩٣ على ممولى الحزب تبين منه أن ٩٢٪ منهم أيدوا الصلاة فى المدارس، ورفض ٩٣٪ منهم أن يدرس بالمدارس أن المثلية الجنسية أسلوب حياة مقبول، ورفض ٨٤٪ منهم أى تمويل فيدرالى للإجهاض[١٨]. وبتغلغه داخل الحزب الجمهورى حاول اليمين المسيحى - خلال رئاسة كلينتون - تحسين صورته الأصولية وتوسيع قاعدته، فأعلن رالف ريد مدير «الائتلاف المسيحى» أن اليمين المسيحى سيعطى الأولوية لقضايا اقتصادية واجتماعية مثل الضرائب، والمنح الدراسية، وزيادة الأجور لتكون ضمن أجندته، ولكن الائتلاف أنفق حوالى مليون دولار عام ١٩٩٤ للضغط ضد تشريع مشروع كلينتون للرعاية الصحية، واعتبر ريد أن إسقاط مشروع الرعاية الصحية أحد أهم أهداف الحزب الجمهورى[١٩].

وفى إطار محاولته لتلميع صورته وتوسيع قاعدته، أعلن الائتلاف المسيحى بمبادرة من رالف ريد عن عزمه لتجنيد غير البيض داخل صفوفه، باعتبار أن بين الأمريكيين الأفارقة والهيسپانيك (ذوى الأصول اللاتينية) من لهم رؤى محافظة فى المسائل الاجتماعية مثل الإجهاض وحقوق اللواطيين والسحاقيات، والجريمة، والرفاه الاجتماعى، وبرنامج العمل الإيجابى. وبدأ الائتلاف المسيحى فى مخاطبة الزنوج والهيسپانيك بالإعلانات فى محطاتهم التليڤزيونية والإذاعية وبإرسال مطبوعاته إلى كنائسهم [٢٠].

ورد الديمقراطيون خلال حكم كلينتون، بإظهار مرشحى اليمين المسيحى بأنهم «عنصريون» و«متطرفون». وأظهرت انتخابات ڤيرچينيا عام ١٩٩٣ ذلك الاستقطاب. إذ وصف الديمقراطيون المرشح مايكل فاريز المدعوم من الائتلاف المسيحى بأنه «أصولى» فخسر السباق على مقعد الحاكم برغم أنه استطاع الحصول على ٤٦٪ من الأصوات وجمع مليون دولار لحملته. إلا أنه ومؤيديه استطاعوا دعم أوليڤر نورث ليكون مرشح الحزب الجمهورى لمجلس الشيوخ [٢١].

وخرج الائتلاف المسيحى من انتخابات حاكم ڤيرچينيا، بتكتيكات جديدة لحشد الأصوات فى مقدمتها وصف الديمقراطيين بـ«التعصب الدينى» وبالميل إلى «الاضطهاد»، مما انعكس فى فوزهم بمجالس المدارس [٢٢].

وفى مدينة نيويورك، فاز الائتلاف المسيحى بمجالس عدد من الضواحى بالتحالف مع الكاثوليك المعارضين للمثلية الجنسية [٢٣].

وفى الأنحاء الأربعة للولايات المتحدة، أصبحت مجالس المدارس محل استقطاب بين اليمين المسيحى والديمقراطيين، خصوصا، بعد أن حاول اليمين المسيحى فى وسط فلوريدا أن يفرض على المدرسين أن يربوا التلاميذ على أن الولايات المتحدة بحكومتها ونظامها الرأسمالى و«القيم التقليدية» أصبحت الأعظم بين الثقافات التاريخية الأخرى [٢٤]. أى أن تفوق الولايات المتحدة ارتبط بتبنى «القيم التقليدية» التى ينادى بها اليمين المسيحى. وكان المغزى أن اليمين المسيحى يتجه للسيطرة على مؤسسات الدولة العلمانية [٢٥]. وقال رالف ريد مدير «الائتلاف المسيحى»: إننا الآن نرى تلك المؤسسات القريبة من حيوات الأمريكيين وذات التأثير العظيم عليهم فى أيدى أناس مؤمنين محافظين [٢٦]. وكانت القضية الثانية محل الاستقطاب خلال حكم كلينتون، هى تقنين حقوق اللواطيين والسحاقيات. ففى ١٠ ولايات، تحرك اليمين المسيحى لإسقاط التشريعات التى تعطى حقوقا لهم، باعتبار أن تلك التشريعات تمثل تمييزا للواطيين

والسحاقيات عن سائر المواطنين. وامتد الاستقطاب للرأى العام الذى أظهر تسامحا مع المثلية الجنسية إلا أنه أبدى اعتراضا على أن يرتب ذلك حقوقا تمييزية. وانتشرت أفلام ڤيديو ومطبوعات معادية للواطيين والسحاقيات(٢٧).

وعلى جبهة الإجهاض وبسبب النكسات التى تعرض لها اليمين المسيحى فى هذا المجال، فإنه أصبح أكثر عنفا. فشجع راندال تيرى وعدد من زعماء «عملية الإنقاذ» مؤيديهم على استهداف الأطباء. وانطلقت حملة عنف تحت عنوان «لا مكان للاختفاء»، استهدفت العاملين فى عيادات الإجهاض وعائلاتهم لدرجة تهديد أطفالهم، وفى خلال عامى ١٩٩٣ و١٩٩٤ تعددت محاولات اغتيال الأطباء الذين يجرون عمليات الإجهاض(٢٨).

وعلى الجبهة الانتخابية، حقق نشطاء اليمين المسيحى انتصارات عديدة فى انتخابات عام ١٩٩٤ فى عدة ولايات.

وكان أهم تلك النجاحات سيطرة الحزب الجمهورى - بفضل اليمين المسيحى - على مجلسى الكونجرس. فحوالى الثلث ممن صوتوا فى الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٤، كانوا يعتبرون أنفسهم «مسيحيين ولدوا ثانية». وبين ٦٠٠ مرشح على المستوى القومى ومستوى الولايات، حظوا بدعم اليمين المسيحى، نجح منهم ٦٠٪(٢٩).

لقد شهد عام ١٩٩٤ سخونة المواجهة بين الديمقراطيين «المسيطرين على البيت الأبيض» واليمين المسيحى «المسيطر على الكونجرس». ففى مؤتمر صحفى عقده فايس فازيو مدير لجنة الحملة الديمقراطية لانتخابات الكونجرس، اعتبر أن الجمهوريين يلهبون الصدور بتحالفهم مع اليمين المسيحى المتشدد. ورد عليه الجمهوريون واليمين المسيحى بأنه «متعصب دينى». ورفع أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريون (٤٤ عضوا) عريضة إلى الرئيس كلينتون يطالبونه فيها بالتبرؤ مما وصفوه بـ«ضرب المسيحية»(٣٠).

كما طالب ٨٧ من أعضاء مجلس النواب بإقالة الجراح العام جويسلين إلدرز، لأنه ألقى خطابا عاما أدان فيه اليمين المسيحى(٣١). ورد كلينتون فى حديث لإذاعة سانت لويس، بهجوم على المبشرين التليفزيونيين مثل چيرى فالويل وراش ليمبان «تحديدا» معتبرا أنهم المصدر الدائم والمتواصل لدق طبول السلبية والسخافة(٣٢).

وظهر أن نتائج تكتيكات الديمقراطيين مشكوك فى نتائجها. ففى استطلاع صحيفة «لوس أنجلوس تايمز»، أوضحت نسبة ٢٠٪ فقط أن انخراط اليمين المسيحى فى الحزب الجمهورى سيجعلهم أقل ميلا للتصويت للجمهوريين(٣٣).

بيد أن أهم عامل أضعف تحرك الديمقراطيين في مواجهة الحزب الجمهوري وبداخله اليمين المسيحي، هو الفضائح المالية والجنسية التي ارتبطت بالرئيس كلينتون . ولكن المؤشر الأخطر الذي كشف عنه عقد التسعينيات، أنه بالرغم من أن المسيحيين الإيفانجيليين تقل نسبتهم عن ١٠٪ من السكان، إلا أنهم يمثلون ٢٥٪ من القاعدة التصويتية، وكشفت الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٤ عن أن الإيفانجيليين كانوا يمثلون ثلث أعضاء الحزب الجمهوري، بل ويمثلون نصف الأصوات في التصويت على الترشيحات الأولية للحزب.

وبذلك، مكّن الإيفانجيليون مرشحي الحزب الجمهوري من السيطرة على مجلسي الكونجرس في الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٤، بعد سيطرة للديمقراطيين على الكونجرس استمرت أكثر من ٤٠ عاما.

فبعد أن كان الوضع في مجلس الشيوخ يشكل أغلبية للديمقراطيين (٥٦ عضوا) مقابل ٤٤ للجمهوريين ، انقلب الوضع ليصبح ٥٣ عضواً مقابل ٤٧ عضوا للديمقراطيين، أي أن الديمقراطيين خسروا ٩ مقاعد، وفي مجلس النواب، خسر الديمقراطيون ٣٦ مقعدا، ليصبح عدد مقاعدهم ٢٢٠ مقعدا، وكسب الجمهوريون ٤٥ مقعدا، ليصبح عدد مقاعدهم ٢٢٣ مقعدا. (كان هناك عضوان مستقلان).

وبالنسبة لحكام الولايات، زاد عدد الحكام الجمهوريين من ١٩ حاكماً إلى ٣٠ حاكماً، وانخفض عدد الحكام الديمقراطيين من ٢٨ إلى ١٨.

كما أطاحت الانتخابات برئيس مجلس النواب «الديمقراطي» توم فولي الذي خسر مقعده عن دائرته بولاية واشنطن، وكان أول رئيس للمجلس يخسر في دائرته منذ ١٣٤ عاما، ليتولى رئاسة مجلس النواب النائب نيوت جينجريش الذي كان دينامو التيار المحافظ في الحزب الجمهوري، والذي رسم إستراتيجية الانتخابات للحزب، وكان صاحب فكرة «العقد مع أمريكا» التي قام عليها البرنامج الانتخابي للحزب، وتضمن: تحقيق موازنة الميزانية، وزيادة الإجراءات ضد الجريمة، وتخفيض الإنفاق الحكومي على برامج الضمان الاجتماعي، وتخفيض الضرائب على عدة شرائح (٣٤).

وكان النواب الثلاثة والسبعون الجمهوريون الجدد في مجلس النواب، والأحد عشر عضواً الجدد في مجلس الشيوخ، مدينين في فوزهم لليمين المسيحي (٣٥).

لقد تحالف اليمين المسيحي مع اليمين الجمهوري داخل الكونجرس منذ بداية الثمانينيات للضغط من أجل تمرير أجندته التشريعية «المسيحية التقليدية» ، التي طالبت

بتحريم الإجهاض، والسماح بالصلاة فى المدارس وحظر المثلية الجنسية. وبعد فشل، اضطر قادة اليمين المسيحى إلى محاولة التوفيق بين «العقد مع أمريكا» و «قيم العائلة الأمريكية» فى إطار التحالف مع اليمين السياسى فى الحزب الجمهورى.

وأحدث «الائتلاف المسيحى» بقيادة رالف ريد تحولا فى حركة اليمين المسيحى، تزامن مع الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٤.

فقد نجح الائتلاف المسيحى فى الحصول على أغلبية مجالس المدارس فى مقاطعة سان دييجو «كاليفورنيا» ومقاطعة ليك «فلوريدا» فى أوائل التسعينيات، فى إطار التحول من التركيز على البيت الأبيض والكونجرس إلى التركيز على المستوى المحلى. بيد أن التحول الأكبر الذى قاده ريد هو تسييس «الأجندة الأخلاقية» للائتلاف المسيحى.

فمقابل برنامج «العقد مع أمريكا»، الذى اكتسح به الحزب الجمهورى مجلسى الكونجرس عام ١٩٩٤، وضع ريد برنامج «العقد مع العائلة الأمريكية».

وكان برنامج العقد مع العائلة الأمريكية برنامجا سياسيا محافظا ومناصرا للعائلة، بالدعوة إلى خفض الضرائب على العائلات المعوزة، وفرض رقابة على مطبوعات وأفلام الجنس «البورنوجرافيا»، والمطالبة بتعديل دستورى لإلغاء الحظر على الصلاة والممارسات الدينية فى المدارس.

وتجنب «العقد مع العائلة» القضايا الخلافية مثل إدخال تعديل دستورى لحظر الإجهاض، ،كما تحاشى أى ذكر للواطيين والسحاقيات.

وقد وصف ريد برنامج العقد مع العائلة، بأنه أجندة سياسية ذات نطاق ضيق، وليس مجرد أجندة مسيحية أو بيان لاهوتى (٣٦).

وهكذا، بدا «الائتلاف المسيحى» تحت قيادة ريد حركة تتبنى المبادرة وليس مجرد رد الفعل.

وفى عام ١٩٩٦ (عام الانتخابات الرئاسية) نشر ريد كتابه «الإيمان الحركى»، حذر فيه المحافظين الدينيين من مقاومة إغراء استبدال الهندسة الاجتماعية اليسارية، بهندسة اجتماعية يمينية، من خلال «فرض المبادىء الأخلاقية التى تحركنا بعمق». ودعا مؤيديه إلى تجنب لغة النقد الجارحة فى قضايا الإجهاض، والهجوم على كلينتون، والمثلية الجنسية والتحدث مع معارضيهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأغضب ريد معارضى الإجهاض فى انتخابات سنة ١٩٩٦ ، خصوصا منظمة «عملية الإنقاذ» التى كانت تقوم بأعمال عنف ضد عيادات الإجهاض .

وكان موقف ريد متسقا مع هدفه النهائى فى بناء منظمة سياسية تكون لاعباً رئيسيا فى التيار السياسى العام فى المدى الطويل . وهدف من كتابه أن يقنع المحافظين الدينيين أنه ليس من الملائم سياسيا التصلب فى قضية الإجهاض . وبمعنى آخر ، حاول ريد أن يجمع بين البراجماتية والمثالية ، ليتحول «الائتلاف المسيحى» من قوة سياسية هامشية إلى قوة رئيسية فى الساحة السياسية .

وفى إطار حملة الانتخابات الرئاسية (١٩٩٦) ، حاول اليمين المسيحى التوفيق بين «العقد مع أمريكا» و«العقد مع العائلة الأمريكية» ، لدعم التحالف مع اليمين الجمهورى .

فى مسألة الضرائب ، كان البند المفضل لدى اليمين المسيحى فى «العقد مع أمريكا» ، هو خفض الضرائب بمعدل ٥٠٠ دولار عن كل طفل للعائلة التى يقل دخلها عن ٢٠٠ ألف دولار سنويا . إذ يشكل جمهور اليمين المسيحى عائلات الطبقة الوسطى التى استفادت من ذلك الخفض .

وفى مسألة الإجهاض ، تخلى اليمين المسيحى عن المطالبة بتعديل دستورى يحظر الإجهاض (وإن بُذلت محاولات لذلك) وأصبح الهدف تقييد أموال الرعاية الصحية التى توجه إلى الإجهاض فى حالات الاغتصاب وجماع المحارم والخوف على صحة الأم . وطالبت فيليس شافلى رئيسة «منتدى النسر» الأصولى ، بعدم صرف أى مبالغ من صناديق الرعاية الصحية على الإجهاض . كما طالب آخرون باشتراط موافقة الآباء عند طلب بناتهم إجراء عمليات الإجهاض .

وفى مسألة الحرية الدينية ، قرر قادة اليمين المسيحى عدم المطالبة بتعديل دستورى لإباحة الصلاة فى المدارس ، والعمل ـ بدلا من ذلك ـ باتجاه تعديل حكم المحكمة العليا بحظر الصلاة فى المدارس . والهدف من ذلك ، كما قال بات روبرتسون مؤسس الائتلاف المسيحى ، التوسع فى أنشطة المدارس بما يسمح بالصلاة ، وقراءة الكتاب المقدس ، ولبس الشارات الدينية .

وفى مسألة التعليم ، نادى قادة اليمين المسيحى بما سمى «التركيز على حقوق أولياء الأمور» ، بدءا من إلغاء وزارة التعليم التى تتدخل فى تشكيل قيم وأخلاق الأبناء ، ونهاية بالمطالبة بدعم حكومى لأولياء أمور التلاميذ فى المدارس الخاصة (التى ضمنها المدارس الدينية) أسوة بما يحدث فى المدارس العامة .

وفى مسألة الميزانية، طالب اليمين المسيحى بعدم تمويل برامج تنظيم الأسرة (لأنها تحد من النسل)، وعدم تمويل برنامج الخدمات القانونية (لأنه يشجع على الطلاق وهدم الأسرة). وكان الصندوق القومى للفنون والإذاعة العامة، هدفين للإيفانجيليين المحافظين الذين رأوا أن التمويل الحكومى لهما تشجيع لفنون العرى والقيم غير المسيحية (٣٨).

لقد عبر رالف ريد المدير التنفيذى للائتلاف المسيحى، عن قوة اليمين المسيحى وقتئذ بقوله: «**إننا لم نعد نشم ما يجرى فى النظام السياسى من وراء حجاب. لقد أصبحنا موجودين على طاولة النظام السياسى**» (٣٩).

وبعد أن كان هدف اليمين المسيحى هو الحزب الجمهورى ثم الكونجرس، دفعه النصر فى الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٤، إلى محاولة الفوز بالكونجرس والرئاسة معاً فى انتخابات عام ١٩٩٦.

ففى الانتخابات التمهيدية لمرشح الحزب الجمهورى للرئاسة، وقف اليمين المسيحى خلف دان كويل نائب الرئيس السابق ووليام بنيت وزير التعليم الأسبق. ولما فشل فى مسعاه توجه اليمين المسيحى نحو آلان كيريز المتشدد الدينى ثم نحو روبرت دورنان الذى طالب بحكم أمريكا برؤيا العهد القديم! ثم اصطف الائتلاف المسيحى خلف بوب دول المرشح الجمهورى للرئاسة (٤٠). وقدم دول نفسه إلى اليمين المسيحى على أنه «مسيحى ولد ثانية» ومدافع عن «القيم الأخلاقية». وبرغم أن دول كان قد تقدم لترشيح الحزب الجمهورى للرئاسة مرتين من قبل، إلا أنه لم يعرف عنه أنه مرشح «القيم الأخلاقية» إلا فى المرة الثالثة. ففى مزايدة انتخابية سعيا وراء أصوات الإيفانجيليين المحافظين، شن دول هجوما مباغتا على نجوم ومنتجى وكتاب وفنانى هوليوود. وأعلن أمام جمع من مؤيديه فى لوس أنجلوس عام ١٩٩٦ أن أفلام هوليوود بما تتضمنه من مشاهد العنف والجنس تنشر كوابيس الرذيلة، وأن هوليوود تحابى الربح والتجارة ولاتحابى قيم العائلة(٤١). واتفق دول مع الائتلاف المسيحى على أنه فى حالة فوزه، فإنه سيتبنى أجندة «العقد مع العائلة الأمريكية».

وفى حين أن الانتخابات الرئاسية أسفرت عن إعادة انتخاب الرئيس كلينتون رئيسا للولايات المتحدة، إلا أن تحالف الحزب الجمهورى واليمين المسيحى حافظ على سيطرته على الكونجرس بمجلسيه، إذ عزز الجمهوريون سيطرتهم وبات لهم فى مجلس الشيوخ ٥٥ مقعدا مقابل ٤٥ للديمقراطيين، وفى مجلس النواب ٢٢٧ مقعدا مقابل ٢٠٦ مقعدا للديمقراطيين(٤٢).

بيد أن «الإطاحة بكلينتون» ظلت قضية تحالف الجمهوريين واليمين المسيحى. فمنذ ولايته الأولى عام ١٩٩٢، ظل كلينتون ملاحقا باتهامات تلوث سمعته. واضطر فى عام ١٩٩٤، لأن يصدر أوامره إلى وزيرة العدل چانيت رينو باختيار محقق خاص للنظر فى ماسمى بفضيحة «وايت ووتر» تتعلق باتهامات لكلينتون وزوجته بممارسات قاما بها عندما كان حاكما لولاية آركانسو فى منتصف الثمانينيات. ووقع الاختيار على المحقق روبرت فيسك. وبعد حوالى خمسة أشهر - فى مايو - رفعت پولا چونز دعوى ضد كلينتون اتهمته بالتحرش الجنسى بها. وفى أغسطس سنة ١٩٩٤، عينت هيئة قضائية فيدرالية الجمهورى كينيث ستار محققا خاصا بدلا من فيسك، وخلال نظر دعوى پولا چونز انفجرت فضيحة مونيكا لوينسكى متدربة البيت الأبيض (التى كانت على لائحة الشهود)، حيث سجلت لها صديقتها ليندا تريپ بأمر من المحقق ستار إفادة بأن الرئيس أقام معها علاقة جنسية. وبعد أن نفى الرئيس تلك العلاقة الجنسية، شهدت لوينسكى أمام هيئة محلفين كبرى وروت تفاصيل العلاقة. وتمسك كلينتون بموقفه فى شهادته. وعلى ضوء الشهادتين كتب المحقق ستار تقريره الشهير، وأرسله إلى اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب، للبدء فى إجراءات اتهام الرئيس تمهيدا لمحاكمته وعزله.

وقرر الكونجرس نشر تقرير ستار وإذاعة شريط الڤيديو الذى يتضمن شهادة كلينتون أمام هيئة المحلفين العليا. وكان الغرض فضح وتحقير الرئيس أمام الرأى العام، ومحاكمته، وعزله.

لقد تحدثت هيلارى كلينتون عن «مؤامرة يمينية» تستهدف الاغتيال المعنوى للرئيس الليبرالى. فقد أشارت إلى لقاء بين رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق الليكودى بنيامين نيتنياهو ومئات من المسيحيين الأصوليين الإيڤانجيليين وعلى رأسهم چيرى فالويل زعيم منظمة «الأغلبية الأخلاقية» المسيحية الأصولية. وهو اللقاء الذى انفجرت بعده قضية لوينسكى.

والحق أن قضية لوينسكى فجرت الصراع فى المجتمع الأمريكى حول «روح أمريكا» أى حول أى أمريكا تكون فى المستقبل؟ أمريكا المحافظة المسيحية أم أمريكا الحرية والعلمانية؟

فاليمين السياسى والدينى «الأصولى»، اعتبر كلينتون ممثلا لليبرالية والعلمانية ومدافعا عن الرعاية الاجتماعية والصحية والأقليات والزنوج والإجهاض والمثلية الجنسية.

كما رأى اليمين السياسى والدينى فى قضية لوينسكى، فرصة لاكتساح انتخابات التجديد النصفى للكونجرس عام ١٩٩٨، ولعزل الرئيس كلينتون. ولكن نتائج الانتخابات لم تأت بما يشتهى اليمين الجمهورى والمسيحى. فصحيح أن الأغلبية ظلت لهم فى مجلس الكونجرس، إلا أنهم خسروا خمسة مقاعد فى مجلس النواب ليصبح لهم ٢٢٢ مقعدا وللديمقراطيين ٢١٢ مقعدا (٤٣).

وقد عكست النتائج استياء الرأى العام الأمريكى من الطريقة التى أدار بها اليمين الجمهورى والمسيحى قضية «إدانة» كلينتون فى فضيحة «مونيكا جيت»، وهى الطريقة التى عكست «حزبية» صارخة و «مكارثية أخلاقية» ومحاولة لشل الرئيس المنتخب شعبيا، وبما أدى إلى غير النتائج المرجوة وإلى إفلات كلينتون من العزل، واستقالة زعيم الأغلبية فى مجلس النواب نيوت جينجريش.

وقد اعترف المدير التنفيذى السابق للائتلاف المسيحى رالف ريد، بأن انتخابات عام ١٩٩٨ قد أديرت كما لو كانت فضائح كلينتون وحدها كافية لتحقيق النصر. وكان ذلك خطأ، فالناخبون كانوا يتطلعون إلى من يخاطبهم حول القضايا التى تمس حياتهم (٤٤).

وألقى مدير الائتلاف المسيحى راندى تات باللائمة على حلفائه الجمهوريين بأنهم أداروا الحملة الانتخابية على أساس فضح كلينتون. وقال چيمس دوبسون مؤسس منظمة «التركيز على العائلة» إن الجمهوريين، برغم تركيزهم على فضح كلينتون، فإنهم لم يقنعوا الناخبين بذلك، فى حين أن الرئيس كان ملطخا بالفضيحة وقريبا من العزل.. ولذا، يتوجب عزل جينجريش (٤٥). لقد كان اليمين الدينى يريد نصراً نهائيا، إذ استطاع برغم خيبة أمله فى الجمهوريين، منع زواج المثليين فى هاواى وآلاسكا. وألحق الهزيمة فى دائرة واشنطن الثانية بالمرشحة السحاقية جريث كامرماير، وحمل إلى مقاعد الكونجرس المرشحين الذين انحازوا لـ «الأچندة الأخلاقية» له فى إيداهو وإنديانا (٤٦).

إن الإحياء الإيڤانجيلى، قد وصل إلى ذروته فى آخر عقود الألفية الثانية.

وكشفت استطلاعات جالوب أن حوالى ٧٠ مليونا من الأمريكيين يشاهدون الشبكات التليفزيونية الإيڤانجيلية «الكنائس المرئية» التى بلغ عددها ١٠٤ محطة تليڤزيونية، إضافة إلى ١٠٠٦ قناة تليڤزيونية بنظام الشفرة «الكابل». وتزايد عدد دور النشر المسيحية إلى ١٣٠٠ دار نشر متخصصة فى العناوين المسيحية، إضافة إلى ٧ آلاف مكتبة لتوزيع الكتب المسيحية، وتقدر مبيعاتها بحوالى ٣ مليارات دولار سنويا (٤٧) ونشأت صناعة للموسيقى

المسيحية تشمل موسيقى البوب والراب والروك والميتال (المسيحية) وتقدر مبيعاتها بحوالى مليار دولار سنويا. كما انتشرت الدوريات الإيڤانجيلية مثل أسبوعية «المسيحية اليوم» و«أسبوعية العالم» و«شهرية الوعاظ» إضافة إلى «الأشياء الجديدة» و «الأبوية المسيحية» و« التاريخ المسيحى»، إلى جانب دوريات للرياضة والموسيقى ورعاية الطلاب على الطريقة الإيڤانجيلية. وبصعود الأصولية الإيڤانجيلية أصبحت هناك ٢٠ ألف مدرسة مسيحية ابتدائية وثانوية وألف كلية للتعليم بعد الثانوى.

ودخلت الأصولية الإيڤانجيلية إلى « السوق» بمنتجات مسيحية مثل قمصان الـ «تى. شيرت» والقبعات وأدوات المطبخ ولوازم الرحلات وبرمجيات الكمبيوتر.

واستفادت الأصولية من الثورة التكنولوچية، حيث نشهد الآن على «الإنترنت» «المسيحية على الخط»، كما أصبحت للكنائس المختلفة خطوط على الإنترنت[٤٨].

وبهذا الزخم، ضمنت الأصولية سيطرة الجمهوريين على مجلسى الكونجرس فى الانتخابات التشريعية فى أعوام ١٩٩٤ و١٩٩٦ و١٩٩٨. وشهدت السياسة الأمريكية طيلة عقد التسعينيات، ماأصبح يعرف بمسمى «حزب الله» وهو تعبير أطلقته مجلة (القرن المسيحى ـ Cheristian Century) على تحالف الإيڤانجيليين والحزب الجمهورى.

بيد أن صعود حزب الله (اليمين الإيڤانجيلى والجمهورى) عبر الربع الأخير من القرن العشرين، ارتبط بصعود ظاهرة (اليهو ـ مسيحية Judeo-Christianinty). وقد وجدت «اليهومسيحية» أساسها فى مقولة التراث اليهودى المسيحى، أى تماثل القيم اليهودية والمسيحية، التى ترجمت فى النهاية إلى توافق القيم الإسرائيلية الأمريكية.

وثمة أوجه تماثل بين اليهودية والمسيحية، أجدرها بالملاحظة أنهما تشتركان فى الكتاب المقدس، ولذلك تسميان ديانتا الكتاب المقدس. كما تتشارك الديانتان فى «الوصايا العشر»(*).

ويعتقد المسيحيون الأمريكيون أن يسوع المسيح ولد يهوديا بل إنه (المسيح) أحد أنبياء اليهود الكثيرين. فالپروتستانية وإن كانت قد مثلت ثورة من جهة إلغائها وصاية الكنيسة الكاثوليكية، وتأكيدها على أن الفرد هو الوصى على عقله وروحه والمسئول عن نفسه وعن خلاصه الشخصى دينيا، إلا أنها (الپروتستانية) من جهة أخرى جذّرت التراث

(*) ولكن فى نفس الوقت تختلف الديانتان، فى مسائل جوهرية متعددة، أولها التوحيد، وثانيها البعث، وثالثها المسيح نفسه ـ الناشر.

اليهومسيحى. إذ أصبحت التوراة جزءا من الإيمان البروتستانتى ـ كما تقول المؤرخة اليهودية باربرا توخمان فى كتابها «الكتاب المقدس والسيف» ـ كما أصبحت عودة اليهود كأمة إلى فلسطين تمثل عصب الإيمان البروتستانتى المبنى على التوراة، إذ إن نبوءات التوراة تتضمن أن اليهود سوف يعودون إلى فلسطين ثم يصبحون مسيحيين حتى وإن مات منهم كثيرون فى معركة هرمجدون الفاصلة ولم يبق منهم إلا ١٤٤ ألفا مع المجىء الثانى للمسيح ليشملهم الخلاص فى الألف عام السعيدة.

وهكذا، فإن التراث اليهودى للمسيحية الأمريكية، كما يقول پول فندلى، جعل الكثيرين من المسيحيين الأمريكيين يقرون بأن إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ جاء كتحصيل للنبوءات التوراتية وأن الدولة اليهودية ستظل تلعب دورا مركزيا فى مخطط السماء والأرض. وجاء انتصار إسرائيل فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ واحتلال القدس، ليمثل عند المسيحيين الأمريكيين تأكيدا لنبوءات التوراة وقرب مجىء المسيح.

بل إن الأمريكيين باعتبارهم «الشعب المختار الجديد» استعادوا حكايات وبطولات التوراة فى أدوار معاصرة فى أمريكا «أرض الميعاد الجديدة».

يقول موشيه ديفيز:

«إن التوراة فى المعتقدات الأمريكية هى مصدر الإيمان، وقوة متماسكة فى الطموح القومى. فلغتها وخيالاتها وتوجيهاتها الأخلاقية وكفاحها البشرى، تشكل جزءا لايتجزأ من الشخصية الأمريكية. والأنبياء والوثنيون والملوك والعامة الذين عاشوا فى إسرائيل القديمة منذ قرون عديدة، نهضوا للقيام بأدوار معاصرة فى التاريخ الأمريكى فى أيامه المشرقة والعصيبة على حد سواء».

ومع صعود الإحياء الإيڤانجيلى فى السبعينيات، ووصول الرئيس كارتر الذى أعلن أنه «مسيحى ولد ثانية» إلى البيت الأبيض، أعلن زعيم منظمة الأغلبية الأخلاقية چيرى فالويل «أن مخلصنا المسيح كان يهوديا»، وعقد أول مؤتمر سنوى للمنظمة فى إسرائيل. كما أعلن الرئيس كارتر نفسه عن إدانته لمن يتهم اليهود بقتل المسيح بـ «اللاسامية». وأعرب عن علاقة التماثل بين أمريكا وإسرائيل فى حديث ألقاه أمام الكنيست الإسرائيلى فى مارس سنة ١٩٧٩:

«لقد آمن وأظهر سبعة من رؤساء الجمهورية أن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة.. لقد كانت ولاتزال علاقة فريدة، وهى علاقة لايمكن تقويضها لأنها

متأصلة فى وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى نفسه. لقد أقام الرواد وأقوام تجمعوا فى كلا الشعبين من دول شتى، إسرائيل والولايات المتحدة. فشعبى كذلك أمة مهاجرين ولاجئين.. إننا نتقاسم معا ميراث التوراة..».

وزاد كارتر على ذلك بأن أعلن فى بيانه الانتخابى، فى العام نفسه، أن تأمين إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءات التوراتية.

وأصبح «تأمين إسرائيل» قضية رئيسية للوعاظ الإيڤانجيلين فى محطاتهم وبرامجهم «الكنائس التليڤزيونية». إذ اعتبر چيرى فالويل أن أهمية الأمريكيين فى نظر الرب مرتبطة بتنفيذ أمريكا لإرادته فى الأرض أى دعم إسرائيل. وأنتج الواعظ التليڤزيونى مايك إيفانز برنامجا تحت عنوان **«إسرائيل مفتاح بقاء أمريكا»**. واشتهر بات روبرتسون بترويجه فى برنامج «نادى السبعمائة» تأمين إسرائيل وتهويد القدس من أجل الإعداد للمجىء الثانى للمسيح وإن كان يرى تحويل اليهود إلى المسيحية قبل عودة المسيح.

وفى إعلان تجارى ظهر فى معظم الصحف الأمريكية فى أول نوڤمبر عام ١٩٧٧، تحت عنوان «قلق الإيڤانجيليين على إسرائيل»، عبّر ١٥ من زعماء اليمين المسيحى عن قلقهم من أن يحدث تحول فى السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط، وناشد الإعلان واضعى السياسة الأمريكية أن يتقبلوا مواقف أكثر «توراتية» فى الشرق الأوسط، وأن يعلنوا حق الشعب اليهودى فى الأرض التى منحهم إياها الرب بما فى ذلك الضفة الغربية وغزة وهضبة الجولان.

وفى كتابها «النبوءة والسياسة» تقول الباحثة الأمريكية جريس هالسل(*)، إن اليمين المسيحى كان مستعدا، بل راغبا بكل قوة فى إشعال حرب نووية من أجل إسرائيل تحقيقا للنبوءات التوراتية.

(*) ولدت فى مدينة «ليبوك» من أب وأم مسيحيين ونشأت وترعرعرت فى تكساس على الإيمان المسيحى.
عملت كاتبة ومراسلة صحفية فى أوروبا وكوريا وڤيتنام واليابان وأمريكا الجنوبية. اختارها الرئيس چونسون لتعمل كاتبة لخطبه السياسية.
ذهبت إلى فلسطين المحتلة - على حد قولها - عام ١٩٧٩، وأقامت فى إحدى المستوطنات اليهودية غير الشرعية.
لها عدة كتب بالإنجليزية، منها: «النبوءة والسياسة»، ترجمة محمد السماك، ونشرته دار الشروق.

وفى عام ١٩٨٢ وخلال الغزو الإسرائيلى للبنان، ظهر القس روبرتسون فى نادى السبعمائة، يبشر بمعركة هرمجدون بين إسرائيل والعرب الذين يظهر بينهم المسيح الدجال. ونشرت مجلة «سان دييجو» فى عدد أغسطس عام ١٩٨٥، حديثا مع الرئيس ريجان قال فيه إنه مقتنع بأن المعركة الأخيرة «هرمجدون» بين جوج وماجوج كما وردت فى سفر حزقيال، أصبحت وشيكة، ونسبت إليه قوله: **«إن أرض إسرائيل ستتعرض لهجوم تشنه عليها جيوش الأمم الكافرة (العرب بمساعدة الاتحاد السوفييتى) وإن ليبيا ستكون من بين تلك الأمم. إن يوم هرمجدون لم يعد بعيدا..»**

وبعد الغزو العراقى للكويت فى أغسطس عام ١٩٩٠، روّج اليمين المسيحى سيناريو أن صدام حسين هو المسيح الدجال، الذى سيدعمه الروس فى الحرب على إسرائيل، بما يمهد لمعركة هرمجدون بين قوى الشر (المسيح الدجال والعرب والروس) وقوى الخير (أمريكا وإسرائيل)، لينتهى العالم ويعود المسيح.

ولما انتهت حرب الخليج عام ١٩٩١ بدون قيامة هرمجدون، أشعلت اليهومسيحية الأمريكية حرباً مزدوجة ضد الرئيس بوش.

فدعوة بوش إلى إقامة نظام عالمى جديد، بعد سقوط الاتحاد السوفييتى وحرب الخليج، اعتبرتها اليهومسيحية دعوة لإقامة حكومة عالمية واحدة لها جيش عالمى بقيادة الأمم المتحدة، تضم قوى الشر والكفر فى مواجهة أبناء الرب، تمهيدا للهجوم على إسرائيل. كما اعتبرت اليهومسيحية أن دعوة بوش لمؤتمر مدريد من أجل السلام فى الشرق الأوسط، وإرغام إسرائيل على حضور المؤتمر بتجميد ضمانات القروض الأمريكية لها، هى دعوة الهدف منها إجبار إسرائيل على التخلى عن الأراضى التى وعد بها الرب إبراهيم.

وكانت نتيجة حرب اليهومسيحية ضد بوش خسارته الانتخابات عام ١٩٩٢، برغم أن فترة رئاسته «الوحيدة»، شهدت سقوط الاتحاد السوفييتى وانتصار أمريكا فى حرب الخليج، وتتويج أمريكا كقوة عظمى وحيدة دون منافس.

كما شهد العام نفسه (١٩٩٢)، حرباً ثقافية حول «الدين الأمريكى». ففى أثناء المؤتمر القومى للجمهوريين فى هيوستن ـ تكساس، ظهر المرشح الجمهورى پاتريك بوكنان (المدعوم من اليمين المسيحى) والواعظ التليڤزيونى بات روبرتسون (مرشح اليمين المسيحى فى الانتخابات عام ١٩٨٨) ونائب الرئيس دان كويل، وسط الآلاف من الملصقات والصيحات التى تقول: «إنها الحرب الثقافية».

وافتتح المرشح الرئاسى بوكنان المؤتمر بصيحة تحذير من «الحرب الدينية المقبلة التى ستقسم الولايات المتحدة من الداخل» قائلا : «إنها حرب ثقافية فى خطورة الحرب الباردة على صعيد تحديد أى أمريكا ستكون فى المستقبل . إنها حرب حول روح أمريكا» .

وامتدت الحرب بعد ذلك، حين أعلن حاكم ولاية مسيسيبى الجمهورى كيرك فورديس، خلال أحد المؤتمرات **«أن أمريكا أمة مسيحية»**، فطالت قذائف الحرب الحزب الجمهورى وفورديس .

ودفع الحزب الجمهورى بحاكم كارولينا الجنوبية الجمهورى كارول كامبل، ليرد على فورديس، مؤكدا على أهمية التراث اليهومسيحى . واضطر الحزب الجمهورى ـ فيما بعد ـ أن يصدر تصحيحا لتصريح فورديس . بل إن فورديس نفسه اعتذر بأن تصريحه أسىء نقله وبأنه مؤمن بأن تقاليد أمريكا الدينية والأخلاقية هى تقاليد يهومسيحية . ولم يجرؤ أحد فى الحزب الجمهورى بعد فورديس أن ينسى وضع كلمة «يهو» قبل كلمة «مسيحية» عند ذكر التقاليد الأمريكية الأخلاقية والدينية .

ومن عجب أن البروفيسور التلمودى يعقوب نوسنر ، علق على واقعة فورديس (نيوزويك ٧ ديسمبر ١٩٩٢) ، بأن «فورديس يمكن أن يكون قد جانبه الصواب من الناحية السياسية، أما من الناحية اللاهوتية فليس هناك شىء اسمه اليهومسيحية فهى أسطورة علمانية» .

ولكن تلك الأسطورة العلمانية التى استندت على سند دينى وتاريخى، تحولت إلى حركة سياسية مع صعود اليمين المسيحى خلال الربع الأخير من القرن العشرين، وامتدت لتشق طريقها ليس فقط بين البروتستانت وإنما داخل الكاثوليكية الأمريكية أيضا .

٣ ـ الإحياء الكاثوليكى والسياسة
مثلث واشنطون ـ الڤاتيكان ـ أورشليم

لئن كانت مغامرة كريستوفر كولمبس باكتشاف أمريكا شأنا استعماريا إسپانياً فى البداية، إلا أنها كانت قبل ذلك مهمة دينية. فإسپانيا، الأمة الأكثر إخلاصا للكاثوليكية فى أوروپا القرن الخامس عشر، كانت تعتقد بمسئولية كبرى تجاه الڤاتيكان وتجاه نقاء إيمانها المسيحى، ولمدة ٨٠٠ عام، حارب الكاثوليك فى إسپانيا ضد المسلمين حتى نجحوا فى استردادها، وطرد المسلمين إلى إفريقيا عبر مضيق جبل طارق؛ وإجبار يهود إسپانيا على اعتناق الكاثولكية أو عزلهم أو طردهم.

لقد جاء اكتشاف العالم الجديد (أمريكا)، بالنسبة لإسپانيا، ضمن رسالتها الدينية لهداية الوثنيين من جهة، وتنقية إيمانها الكاثوليكى بالحرب من جهة ثانية.

وأخيرا، مثلت مغامرة اكتشاف العالم الجديد (أمريكا)، لإسپانيا، امتداداً للحملات الصليبية التى استمرت لقرون، بالتوسع فى الأرض وإغناء مملكة الرب وكنيسته. وكان كولمبس، نفسه، يعتقد بأن مغامرته تأتى ضمن خطة الرب لعودة المسيح وبدء الألف عام السعيدة، وسوف تقود فى النهاية إلى تحرير أورشليم من المسلمين الكفار وإعادة بناء المعبد. وقال كريستوفر للملكة إيزابيلا إنه سوف يستخدم الذهب الذى يجده فى العالم الجديد فى إعادة بناء المعبد لكى تكون أورشليم مركز العالم[٤٩].

بيد أن التدافع الكاثوليكى على العالم الجديد (أمريكا) لم يقتصر على إسپانيا. ففرنسا وصلت فى القرن السابع عشر ببعثات «الچيزويت» (الجماعات اليسوعية) إلى كيبك. وأصبحت ميريلاند مركزا كاثوليكيا. وفى القرن الثامن عشر، وصل الفرنسيون إلى ألاباما ونيوأورليانز وأركنساس. ولكن عوامل داخلية وأوروپية منعت التوسع الفرنسى الكاثوليكى فى العالم الجديد. ففرنسا كان اهتمامها أوروپيا بالأساس فى القرن السادس عشر، بسبب حركة الإصلاح الدينى التى قسمت ألمانيا إلى كاثوليك وپروتستانت وهددت

فرنسا بالمصير ذاته . وبعد تواجد فرنسى كاثوليكى ظاهر فى العالم الجديد فى القرن السابع عشر ، تراجعت فرنسا فى القرن الثامن عشر بسبب الصراع بين الدولة والكنيسة عام ١٧٦٣ وهو العام نفسه الذى شهد نهاية حرب السنوات السبع بين فرنسا وبريطانيا ومعاهدة صلح پاريس . وبمقتضى تلك المعاهدة تنازلت فرنسا لبريطانيا عن ممتلكاتها شرقى نهر المسيسيپى (عدا نيوأورليانز)، ولإسپانيا عن الأراضى غربى نهر المسيسيپى. وبذلك أصبح الوجود الفرنسى الكاثوليكى فى أمريكا بعد عام ١٧٦٣ رمزيا .

غير أن تدافع الأمم الكاثوليكية : إسپانيا والبرتغال وفرنسا ، إلى العالم الجديد ، كان دافع الإنجليز كأمة پروتستانتية لاستعمار أمريكا .

بل يمكن القول بأن التنافس البحرى بين الإسپان والإنجليز ، كان تنافسا كاثوليكيا پروتستانتيا . وكان انتصار إنجلترا وتدميرها للأسطول الإسپانى البحرى أرمادا عام ١٨٥٥ ، تعبيرا عن ذلك . إذ كان الأمر بالنسبة للإنجليز حملة صليبية پروتستانتية . فالسفن الإنجليزية ، كانت تقام بها الخدمات الكنسية ومحملة بنسخ من الكتاب المقدس وكتاب الصلوات إضافة إلى «كتاب الشهداء» الذى كتبه چون فوكس القس الپروتستانتى عن الآلام والتضحيات التى تحملها الپروتستانت تحت حكم الملكة الكاثوليكية مارى الأولى .

وحتى قبل تدمير أسطول الأرمادا الإسپانى بعقد ، فإن السير همفرى جلبرت ، كان قد اقترح على الملكة الپروتستانتية إليزابيث الأولى أن على الإنجليز الپروتستانت ، استغلال كل فرصة تجعل من أعدائهم الإسپان الكاثوليك فقراء وضعفاء ، ومن أنفسهم أغنياء وأقوياء ، فى إشارة إلى استعمار أمريكا .

كما أن القس ريتشارد هاكلايت نصح الملكة عام ١٥٨٤ ، بأن تكون الكنيسة الپروتستانتية الإنجليزية هى التى تحمل الرسالة المسيحية فى شمالى أمريكا وليست الكنيسة الكاثوليكية . وقال هاكلايت للملكة : لقد سبقتنا إسپانيا وفرنسا ولاينبغى أن نتأخر أكثر من ذلك [٥٠] . وكانت حملة إنجلترا الپروتستانتية لنقل المستوطنين واستعمار أمريكا .

وكان من نتيجة التقدم الپروتستانتى لاستعمار أمريكا ، أن أصبح الپروتستانت هم الغالبية بين سكان الولايات المتحدة (يشكلون أكثر من ٦٠٪ من السكان)، وظل الكاثوليك فى المرتبة الثانية إذ يشكلون حوالى ٢٤٪ من السكان بتعداد يزيد عن ٦٠ مليون نسمة .

غير أن الكاثوليك يشكلون أكبر جماعة دينية موحدة فى الولايات المتحدة ، إذ يتوجهون وجهة واحدة شطر الڤاتيكان ، فى الوقت الذى يتوزع فيه الپروتستانت على

العديد من الطوائف والمذاهب غير المتحدة والتى ليس لها مركز دينى واحد أو سلطة لاهوتية واحدة، فضلا عن أن الكنيسة الكاثوليكية لها تأثيرها على أتباعها بما لها من مكانة فى العقيدة الكاثوليكية، بعكس العقيدة البروتستانتية التى لاتعتقد فى كنسية واحدة أو سلطة دينية واحدة.

إن الكاثوليكية الأمريكية، ككنيسة مهاجرة وسط أغلبية بروتستانتية، أبقت على ارتباطها بالڤاتيكان كتعبير عن الهوية حتى لاتكون فى وضع هامشى، فى مواجهة البروتستانت.

وفى الوقت نفسه، يحرص الأمريكيون الكاثوليك على أن تفصلهم مسافة عن الڤاتيكان، حتى لايتهموا بولائهم للڤاتيكان، وليكون ولاؤهم الأول لأمريكا وقيمها الوطنية والديمقراطية. يضاف إلى ذلك أن ما يقرب الأمريكيين الكاثوليك إلى أمريكا أكثر مما يقربهم من الڤاتيكان، كتجمع يقوم على لاهوت جمعى عالمى.

ولذلك، حاول اللاهوتيون الكاثوليك فى أمريكا، ابتداع كاثوليكية أمريكية، أو بمعنى آخر: أمركة الكاثوليكية، دون أن يعنى ذلك استقلالية الكاثوليكية الأمريكية عن كاثوليكية الڤاتيكان. فالكاثوليك الأمريكيون يتبعون الڤاتيكان فى المذاهب والممارسة الدينية، ويحتفون بالبابا ويتبرعون للڤاتيكان. فعند زيارة البابا يوحنا بولس لأمريكا عام ١٩٩٥، حضر قداس البابا نحو ربع مليون، وفى حملة تبرعات العام نفسه، تبرع الكاثوليك الأمريكيون بأكثر من ثلث تبرعات الحملة وقدم ٣٠٠ ألف أمريكى تبرعات غير معلنة (٥١).

وبالنظر إلى التأثير المهم للڤاتيكان فى الكاثوليك الأمريكيين، فإن ذلك التأثير قد انعكس فى حركة الإحياء الكاثوليكى الأمريكى من ناحية، وفى دور الكاثوليك فى السياسة الأمريكية. بيد أن حركة الإحياء الكاثوليكى، كانت قد بدأت مع المجمع المسكونى الثانى للڤاتيكان، الذى انعقد بين أكتوبر عام ١٩٦٢ ونوڤمبر عام ١٩٦٥.

فقد قام المجمع بمراجعة تهدف إلى مماشاة الكنيسة الكاثوليكية مع العصر، وفقا لرغبة البابا يوحنا الثالث والعشرين، الذى اتخذ المبادرة إلى عقده.

وصدرت عن المجمع ١٦ وثيقة. وكان ضمن تلك الوثائق: وثيقة إعادة التأسيس المذهبى (المسيح هو نور الشعوب)، ووثيقة تحديد علاقة الكنيسة بالعالم (أفراح وآمال وأحزان وقلق بشر هذا الزمان).

وقد حددت وثيقة «المسيح هو نور الشعوب» دور المراتب الكنسية والبابا فى المرتبة الأولى، وعلاقة مجمع الأساقفة بالبابا، وعلاقة كنيسة روما بالكنائس.

أما الوثيقة الثانية «أفراح وآمال وأحزان وقلق بشر هذا الزمان»، فقد أدرجت كبرى قضايا العصر مثل التقدم والعدالة الاجتماعية ضمن منظور مسيحى[٥٢].

وقد انعكست مقررات مجمع الڤاتيكان الثانى على الكاثوليكية الأمريكية، سواء من ناحية العلاقة بين الڤاتيكان والكنيسة الكاثوليكية الأمريكية، أو من ناحية التوجه المحافظ للكاثوليك الأمريكيين فى قضايا مواجهة الشيوعية ومنع الحمل والإجهاض والمثلية الجنسية والطلاق وطاعة المرأة وعدم زواج الكهنة ومعارضة مبدإ الفصل بين الكنيسة والدولة.

ومنذ النصف الثانى من السبعينيات، قادت الكنائس الكاثوليكية الأمريكية عملية «إعادة تنصير» للمجتمع الكاثوليكى، تنطلق من تقويم متشائم لصيرورة عالم علمانى دنيوى يكاد فيه تقدم العلم والتكنولوچيا أن يفلت من سيطرة الإنسان، وينكره كخليفة لله، ويمحوه بتسخيره واسترقاقه. بل إن ذلك التقويم تضمن أن البشرجميعا باتوا فى خطر بحيث إنه لم يعد بوسع أى رسالة وضعية أن تنقذهم، وأن المسئول عن هذا الخطر هو هيمنة العقل على الإيمان، ومن ثم يكون الحل فى إعادة تنصير المجتمع. أى إعادة حضور المسيحية (الكنيسة) فى المجتمع ككل وليس فى الحياة الخاصة للفرد فقط، ورفض انفراد الدولة (العلمانية) بكل المجال الاجتماعى والسياسى. وبالتالى، تشمل عملية إعادة التنصير خطوتين. الخطوة الأولى هى إنقاذ الفرد بتقويم علاقته بالمسيح وإعادتها إلى ماكانت عليه. وتكتمل الخطوة الأولى بالخطوة الثانية، وهى إكمال خلاص الفرد بإدخاله فى جماعة تحركها الفضيلة وتلهمها الروح القدس (الكنيسة).

وبتأثير المد الإحيائى البروتستانتى، دخلت الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية، الخمسينية، وهى مسيحية متهودة، لا تعتقد فى عقيدة التثليث بل تعتقد فى وحدانية الإله وفى أن الروح القدس هى يسوع المسيح الذى يملأ أرواح أتباعه منها وينعم عليهم بالنعم وبالتكلم بألسنة أخرى على نحو ماظهرت الروح القدس لحواريى المسيح كألسنة منقسمة من نار (أعمال الرسل ١ : ٢) وأثّر الخمسينيون الكاثوليك فى أربعة أنحاء الولايات المتحدة من أجل «إعادة التنصير»[٥٤].

أما عن تأثير الڤاتيكان على الدور السياسى للكاثوليك، فيمكن القول بأن للكنيسة والقساوسة تأثيراً يفوق أحيانا الساسة العلمانيين. فقد حجب الكاثوليك أصواتهم عن

روزفلت عندما طلب منهم القساوسة ذلك . وتحت تأثير الكنيسة تكتلوا فى انتخابات عام ١٩٦٠ خلف المرشح الديمقراطى الكاثوليكى چون كيندى .

لقد درج الكاثوليك على التصويت لمرشحى الحزب الديمقراطى للرئاسة والكونجرس ، ولكن الجماعة الكاثوليكية مع صعود الإحياء الإيڤانجيلى منذ النصف الثانى من السبعينيات ، شهدت إحياءً كاثوليكيا . ونشطت الجماعة الكاثولكية فى حملات من أجل القيم المسيحية التقليدية . ونظمت حملات انتخابية لصالح المرشحين الذين يتبنون قضايا المحافظة الدينية وفى مقدمتها معارضة الإجهاض وتحريم المثلية الجنسية ومنع تحديد النسل والمطالبة بالسماح بالصلاة فى المدارس ، وبتقديم دعم حكومى للمدارس الدينية . كما عارضت الكنيسة الكاثوليكية مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة .

واتجهت الكنيسة الكاثوليكية للربط بين «الصوت الكاثوليكى» والمرشح الذى يؤيد البرنامج الاجتماعى للكنيسة . ففى الانتخابات الرئاسية عام ١٩٨٤ حرض رئيس أساقفة نيويورك چون أوكونور ، الكاثوليك على عدم إعطاء صوتهم لكل من يؤيد الإجهاض : «كيف يصوت كاثوليكى فى وعى كامل لمرشح يؤيد الإجهاض»[٥٥]؟ إذ إن الكنيسة الكاثوليكية تسوى بين الإجهاض والقتل ، وتعتبر أى قانون يمنح الشرعية للإجهاض بمثابة قانون يخالف أبسط حقوق الإنسان (الحياة) ، فضلا عن مخالفته للنص المقدس : «لا تقتل» .

لقد كان من تأثير صعود الإحياء الدينى فى الولايات المتحدة فى الثمانينيات أن تحول «الصوت الكاثوليكى» إلى الحزب الجمهورى (حزب البروتستانت البيض تاريخيا) بدلا من الحزب الديمقراطى (حزب الأقليات تاريخيا) . إذ كان للصوت الكاثوليكى تأثير فى فوز ريجان ١٩٨٠ و ١٩٨٤ وبوش ١٩٨٨ .

وكان نصيب الحزب الجمهورى فى الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٤ نسبة ٥٣٪ من أصوات الكاثوليك البيض . وبذلك انفك الارتباط التقليدى بين الكاثوليك والحزب الديمقراطى ، بالتصويت الكاثوليكى لصالح الحزب الجمهورى الذى ارتبط تقليديا بالأغلبية البروتستانتية التى مارست الاضطهاد الدينى والسياسى ضد الأقلية الكاثوليكية وسعت لفرض سيطرتها عليها بفرض سيطرة قيمها ومعتقداتها .

وذلك الارتباط الجديد الكاثوليكى ـ الجمهورى ، جاء نتيجة للارتباط بين المحافظة الدينية والمحافظة السياسية ، ضمن تيار اليمين المسيحى الذى جمع اليمين الدينى (البروتستانتى والكاثوليكى) واليمين السياسى داخل الحزب الجمهورى .

ولا يقتصر تأثير الجماعة الكاثوليكية على السياسة الداخلية، بل يتعداها إلى السياسة الخارجية.

وفى إطار السياسة الخارجية، تبدو الجماعة الكاثوليكية الأمريكية، فى أحيان كثيرة موزعة الانتماء بين الفاتيكان وأمريكا، لتجد نفسها فى موقف المعارض للسياسة الأمريكية فى حالات عدة، وموقف المعارض للفاتيكان فى حالات أخرى.

فالكنيسة الكاثوليكية الأمريكية، عارضت الغارات الجوية الأمريكية على ليبيا عام ١٩٨٦. وجاء فى بيان مشترك للكنائس الكاثوليكية "أن الولايات المتحدة، بتنصيب نفسها متهما وقاضيا وجلادا، تكون قد تخلت عن مثلها الأخلاقية».

وانتقدت الكنائس الكاثوليكية سياسة الولايات المتحدة فى نيكاراجوا، ورأت أن مساعدات الولايات المتحدة لـ «الكونترا» هى سبب أعمال العنف هناك.

ومنذ عام ١٩٧٦، قامت الكنائس الكاثوليكية، بحملة نشطة لإدانة برنامج التسليح النووى الأمريكى. وفى الرسالة الرعوية للمؤتمر القومى للقساوسة الكاثوليك عام ١٩٨٦، أكد القساوسة أن سباق التسلح يتناقض مع الأخلاق المسيحية كما يؤدى إلى تقليص البرامج الاجتماعية التى تهتم بها الكنيسة خصوصا مع تزايد البطالة والتضخم وغير ذلك من الجوانب التى يجب أن توجه لها الأموال التى تنفق على سباق التسلح.

وبالمقابل، عارضت الكنائس الكاثوليكية الأمريكية موقف الفاتيكان عندما أعلن البابا يوحنا بولس الثانى أنه سيستقبل الرئيس النمساوى كورت فالدهايم، إذ ساند الكاثوليك الأمريكيون موقف اليهود الرافض لاستقبال فالدهايم المتهم بالمشاركة فى الأعمال النازية ضد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية.

مثلث واشنطون الفاتيكان أورشليم

كانت الكنيسة الكاثوليكية، قبل عصر الإصلاح الدينى، تأخذ بالتفسير اللاهوتى «المجازى» وليس بالتفسير الحرفى للتوراة.

فالفقرات الواردة فى التوراة، والتى تشير إلى عودة اليهود إلى الأراضى المقدسة، كانت الكنيسة تعتقد بأنها لا تنطبق على اليهود بل على الكنيسة المسيحية مجازاً.

أما اليهود، فإنهم ـ طبقا للعقيدة الكاثوليكية الرسمية ـ قد اقترفوا إثما فطردهم الله

من فلسطين إلى منفاهم فى بابل. وعندما أنكروا أن يسوع هو المسيح المنتظر نفاهم الله ثانية، وبذلك انتهى وجود مايسمى «الأمة اليهودية» إلى الأبد.

تلك كانت فكرة De Civitate dei كما وضعها القديس أوغسطين فى القرن الخامس الميلادى، والتى مثلت العقيدة المسيحية الكاثوليكية حتى القرن السادس عشر. وعلى أساسها كانت فترة العصور الوسطى تميل إلى الفصل بين اليهود المعاصرين والعبرانيين القدامى.

ووفقا للعقيدة الكاثوليكية، اعتبرت فلسطين الوطن المقدس الذى أورثه المسيح لأتباعه المسيحيين، وكانت القدس هى مدينة العهد الجديد المقدسة وليست «صهيون» اليهودية. وظل الأمر كذلك حتى العام ٥٩٠ حين أصبح عرش البابا جريجورى مركز السلطة المسيحية وأصبحت روما المدينة المقدسة، ولم تعد القدس محور الاهتمام المسيحى إلا مع احتلال المسلمين لها. وكانت الحملات الصليبية لاستردادها من الكفرة سواء أكانوا يهودا أم مسلمين! وزاد العداء المسيحى لليهود إلى أشده إبان الحملات الصليبية، حتى إن المؤرخة باربرا توخمان فى كتابها «الكتاب المقدس والسيف» والمؤرخ فردريك هير فى كتابه «عالم العصور الوسطى» يشيران إلى أن المحاربين الصليبيين المسيحيين هم أول من بدأ المذابح اليهودية وهم فى طريقهم إلى فلسطين. وبعد الاسترداد المسيحى (الكاثوليكى) للأندلس، فى نهاية القرن الخامس عشر، جرى طرد اليهود مع المسلمين من إسبانيا. وأقام الإسبان محاكم تفتيش لليهود المتسترين وراء اعتناق المسيحية «يهود المارانو».

بيد أنه مع حركة الإصلاح الدينى فى القرن السادس عشر، فى أوروبا، تولدت وجهة نظر جديدة عن الماضى والحاضر اليهودى، حتى إنها (حركة الإصلاح الدينى) وصفت بأنها بعث «عبرى أو يهودى»، فقد تنكرت حركة الإصلاح البروتستانتى للاعتقاد الكاثوليكى حول اليهود، وروجت لفكرة أن اليهود أمة مختارة مفضلة.

وأصبح العهد القديم المرجع الأعلى للاعتقاد البروتستانتى، ومصدر المسيحية النقى الثابت، وجزءا من طقوس العبادات والصلوات فى الكنائس، وكتابا للتاريخ عن الأراضى المقدسة والأنبياء والنبوات المتعلقة بنهاية الزمان والعصر الألفى السعيد مع المجيء الثانى للمسيح. ويعتبر مارتن لوثر كمؤسس وزعيم لحركة الإصلاح الدينى، مسئولا إلى حد بعيد عن هذا التطور.

وضع لوثر عام ١٥٢٣ كتابه «المسيح ولد يهوديا» والذى أعيد طبعه سبع مرات فى العام نفسه، وشرح فيه المواقف المؤيدة لليهودية، وأدان اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لليهود محتجا بأن المسيحيين واليهود ينحدرون من أصل واحد.

وكان لوثر يؤمن بأن نبوءة التوراة حول إنقاذ كل إسرائيل كأمة ستتحقق، وكان يلوم البابوية (الكاثوليكية) لتحريفها المسيحية وصدها بذلك اليهود عن اعتناقها.

كان هدف لوثر النهائى هو تحويل اليهود إلى البروتستانتية، ولكنهم بدلا من أن يرتدوا إلى المسيحية كانوا يجمعون الأنصار لتهويد المسيحية. ولذلك نجده ينقلب على اليهود ويعبر عن كرهه لهم فى كتابه «ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم» الذى وضعه عام ١٥٤٤، وطالب فيه بطردهم من ألمانيا.

ومع ذلك، فإن حركة الإصلاح الدينى التى أطلقها لوثر، مثلت ثورة على الاعتقاد الكاثوليكى، وبشرت بعهد جديد من التسامح المسيحى ـ اليهودى. وبعد انفصال الملك هنرى الثامن عن روما، اقتحمت حركة الإصلاح الدينى بريطانيا وتمركزت فيها بالأمر الملكى الذى أصدره عام ١٥٣٨، ليحل هنرى الثامن محل بابا روما رئيسا أعلى لكنيسة إنجلترا. وما لبث اللاهوت البروتستانتى تجاه اليهود أن انتشر فى شمالى أوروبا، ثم انتقل إلى العالم الجديد (أمريكا)، بما تضمنه من الاعتقاد بالتفسير الحرفى للنبوءات التوراتية وبالإحياء القومى لشعب اليهود. وتحول الاعتقاد البروتستانتى بالإحياء القومى لليهود وقيام مملكة إسرائيل قبل المجىء الثانى للمسيح، إلى حركة سياسية «مسيحية صهيونية» سبقت الحركة اليهودية ـ الصهيونية فى الدعوة إلى قيام وطن لليهود فى فلسطين.

ففى الولايات المتحدة، كتب الممول والقس البروتستانتى ويليام بلاكستون، عام ١٨٧٨ كتابه «يسوع آت»، وقاد حملة مسيحية ـ صهيونية من أجل أن تدعم أمريكا عودة اليهود إلى فلسطين، حتى كان المؤتمر الصهيونى (اليهودى) فى بازل عام ١٨٩٧.

مع ذلك، ظل التناقض واضحا بين الحركة الصهيونية (اليهودية) والعقيدة الكاثوليكية بمركزها الدينى فى الفاتيكان. وأكد ذلك البابا بيوس العاشر فى لقائه مع الزعيم الصهيونى هرتزل عام ١٩٠٤ كما أعلنت الكنيسة الكاثوليكية معارضتها لوعد بلفور عام ١٩١٧ **وأعلن البابا بنديكتوس الخامس عشر فى خطاب ألقاه فى ١٠ من مارس عام ١٩١٩: سيكون من دواعى حزننا وحزن جميع المؤمنين المسيحيين لو وضع الكفار فى وضع متميز وعال. وسيزداد حزننا إذا ما وضعت الأماكن الأكثر قدسية فى الدين المسيحى تحت إشراف غير المسيحيين.**

وكان موقف الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية، أيضا، غير محبذ لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، ولم تعلن موافقتها على وعد بلفور وعارضت الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإن حافظت على علاقات طيبة مع الجماعة اليهودية. واستندت الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية فى موقفها على التزامها بموقف الفاتيكان من جهة، إضافة إلى اعتقادها بأن معظم يهود الولايات المتحدة ليسوا على وفاق مع الحركة الصهيونية التى اعتبرت أقلية بينهم(٥٦).

وبعد الحرب العالمية الثانية، غضت الكنيسة الطرف عن اضطهاد النازى لليهود فى الوقت الذى تعاطف فيه بعض الكاثوليك مع اليهود والفكرة الصهيونية. كما أيد الفاتيكان مسألة تدويل القدس وفق الخطة التى أقرتها الأمم المتحدة بقرار التقسيم عام ١٩٤٧، ووقف موقف الحياد من قيام إسرائيل عام ١٩٤٨، فلم تصدر الكنيسة اعترافا كما لم تصدر إدانة بخصوص قيام الدولة اليهودية، واتخذت الموقف نفسه الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية. غير أن تحولا كان قد بدأ تجاه التقارب بين الفاتيكان وإسرائيل منذ عام ١٩٥٦ مع التحول القومى والاشتراكى فى العالم العربى، تمثل فى التركيز على التراث اليهودى ـ المسيحى. وصار الانطباع لدى الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية بأن إسرائيل دولة غربية تقف ضد الشيوعية التى يتحالف معها العرب.

وشهد عام ١٩٦٠ اعتذار البابا يوحنا پولس الثالث عشر عن دور الكنيسة الكاثوليكية فى نشر معاداة السامية. غير أن المجمع المسكونى الثانى (٦٢ ـ ١٩٦٥) كان نقطة فارقة فى علاقة الفاتيكان باليهود والدولة اليهودية، إذ أكد أن الدين المسيحى نشأ فى جو يهودى، وأن يسوع المسيح وسائر الأنبياء اليهود بدءوا بإيمان يهودى، كما أكد براءة اليهود من دم المسيح.

ولئن كانت حرب سنة ١٩٦٧ واحتلال إسرائيل للأراضى العربية منعا الفاتيكان من الاعتراف الرسمى بإسرائيل، إلا أنه كان هناك «اعتراف واقعى» بالدولة اليهودية من خلال الاجتماع بممثليها ومبعوثيها، مع التأكيد على تدويل القدس وعودة اللاجئين الفلسطينيين.

غير أن انتصار إسرائيل فى حرب يونيو، واحتلالها أراضى ثلاث دول عربية ترتب عليه ظهور مظاهر مؤيدة لإسرائيل داخل الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية التى بدأت تشهد اختراقا مسيحيا صهيونيا. فطالب الأب ردوارد فلانيرى بمراجعة الموقف الكاثوليكى من

الشعب اليهودى ومن إسرائيل. كما طالب الأسقف أوستريشد باعتبار أن القدس مدينة يهودية وأن إسرائيل هى تعبير عن إرادة الله.

ومع صعود الإحياء الأصولى الدينى فى أمريكا، منذ النصف الثانى من السبعينيات، تغلغلت الاتجاهات الصهيونية فى الوسط الكاثوليكى الأمريكى. وقدر معهد جالوب أن من يعتبرون أنفسهم أصوليين يعتقدون بالبعث اليهودى والمجىء الثانى للمسيح، قد وصلت نسبتهم إلى ١٧٪ من الكاثوليك (٥٧).

وجاء اعتلاء البابا يوحنا پولس الثانى لسدة العرش البابوى ليدفع بالعلاقة بين الڤاتيكان واليهود واليهودية فى اتجاه تمتين التراث اليهو ـ مسيحى، وتأكيد تبرئة اليهود من خطيئة قتل المسيح وصلبه وتعذيبه، بل والتأكيد على الأصل اليهودى ليسوع المسيح. وكان ذلك مضمون الوثيقة التى أقرها الڤاتيكان عام ١٩٨٥. إلا أن البابا لم يستجب لمبادرة ٢٤ من أعضاء الكونجرس الأمريكى من الكاثوليك واليهود، لإقامة علاقات مع إسرائيل فى ٢٤ من نوڤمبر عام ١٩٨٤.

ومع انطلاق التسوية السلمية بين إسرائيل والعرب، بعد مؤتمر مدريد عام ١٩٩١، تم الاتفاق الإسرائيلى ـ الفلسطينى عام ١٩٩٣، وجاء اعتراف الڤاتيكان بالدولة اليهودية فى العام نفسه.

وبدأ الڤاتيكان يعد إستراتيچية مصالحة تاريخية بين الكنيسة الكاثوليكية واليهود واليهودية. فبتوصية من البابا يوحنا الثانى، نظم الڤاتيكان مؤتمرا بين ٣٠ من أكتوبر ومن ٢ نوڤمبر عام ١٩٩٧، لمناقشة وثيقة رسمية عنوانها «جذور معاداة اليهودية فى الوسط المسيحى» شارك فيه ٦٠ من رجال اللاهوت المسيحى.

ودعا مؤتمر سنة ١٩٩٧ لمراجعة وتعديل بعض النصوص الدينية فى العهد الجديد، وتعديل إنجيلى متى وبولس لإنصاف اليهود. كما أكد المؤتمر على أن المسيحيين واليهود يتقاسمون الاعتقاد بالإله «يهوه» الإله اليهودى وبأن المسيح والحواريين ولدوا يهودا.

وفى ختام أعمال المؤتمر، وجه البابا كلمة اعتبر فيها أن المقاومة المسيحية ضد النازية لم تكن بالشكل المطلوب الذى كانت تنتظره الإنسانية. ودعا إلى تنظيف «الذاكرة المسيحية» من الكتابات الظالمة للشعب العبرانى. وكان المؤتمر، كما قال البابا تمهيدا لفتح جديد فى العلاقة المسيحية ـ اليهودية نحو الشراكة بينهما.

وفى هذا السياق، تمثل الوثيقة التى أصدرها الڤاتيكان فى السادس عشر من مارس عام ١٩٩٨، إحدى حلقات المصالحة بين الڤاتيكان وأورشليم تنفيذا للوعد الذى قطعه البابا، قبل عقد من الزمن، للمنظمات اليهودية، بإصدار وثيقة تراجع الماضى اليهودى-المسيحى[٥٨].

وفى واقع الأمر، فإن وثيقة الڤاتيكان التى حملت عنوان «نتذكر: تأمل فى المحرقة» تجاوزت الهولوكست إلى تاريخ العداء الكاثوليكى-اليهودى، وفرقت بين معاداة السامية ومعاداة اليهودية.

فالمحرقة - كما تقول الوثيقة - صنيعة معاداة السامية، ومعاداة السامية صنيعة نظام عنصرى يتسم بوثنية جديدة وليست صنيعة الكنيسة. أما معاداة اليهودية فقد شارك مسيحيون فى مسئولية نشرها. وهنا يبرىء الڤاتيكان نفسه من المحرقة، وإن اعتذر عن عدم القيام بما يكفى لحماية اليهود منها، واعتبر أن المسيحيين يتحملون واجبا أخلاقيا لضمان ألا تتكرر أبدا.

لقد رغب الإسرائيليون واليهود المتشددون فى أن يدين الڤاتيكان البابا بيوس الثانى عشر الذى يتهمونه بالتعاطف مع النازية وغض البصر عن جرائمها.

أما الڤاتيكان فقد قصد من الوثيقة أن تكون وثيقة اعتذار وصفح من اليهود عن العداء الكاثوليكى التاريخى لليهود واليهودية. وللجانبين اليهودى والكاثوليكى، فإن أهمية الوثيقة تتبدى فى اعتذار الڤاتيكان عن العداء لليهودية واليهود بعد ٣٣ عاماً من المجمع المسكونى الثانى الذى أكد براءة اليهود من دم المسيح، وأن يسوع المسيح هو من عديد الأنبياء اليهود.

إن ذلك معناه لإسرائيل وللحركة الصهيونية مباركة الكاثوليك لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ودعم الدولة اليهودية.

فهل تشهد بداية الألفية الثالثة نهاية الصراع اليهودى-الكاثوليكى؟

إن البابا يوحنا پولس الثانى المولود فى پولندا، بلد الكاثوليكية الثانى وبلد معاداة السامية الأول، أمر بوضع إستراتيچية للمصالحة اليهودية-الكاثوليكية فى مؤتمر الڤاتيكان العام ١٩٩٧. وتقرر أن تستعد الكنيسة الكاثوليكية للألفية الثالثة بمؤتمر خلال العام (١٩٩٨) للبحث فى مسألة محاكم التفتيش فى القرون الوسطى، ومؤتمر فى العام ١٩٩٩

لاستيعاب قرار المجمع المسكونى الثانى الذى عقد العام ١٩٦٥ حول «التراث اليهو- مسيحى».

ويقوم مفهوم التراث اليهو- مسيحى على تشارك اليهودية والمسيحية فى «الكتاب المقدس»، فهما تعتبران ديانتى الكتاب المقدس، والتشارك فى مؤازرة «الوصايا العشر» والاعتقاد بأن المخلص يسوع المسيح ولد كيهودى. وهو مفهوم جدير بالاحترام، إلا أنه كما حدث مع البروتستانتية، وتحولت إلى مسيحية- صهيونية سُخِّرت فى خدمة تأكيد شرعية الدولة اليهودية واحتلالها للقدس والأراضى العربية، وبذلك يتحول مفهوم «اليهو- مسيحية» إلى مفهوم علمانى لمباركة الدعوة الصهيونية «اليهودية» بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين.

ومن سخريات القدر أن الدعوى الصهيونية قد رفضها البابا بيوس العاشر عام ١٩٠٤ على رغم عرض هرتزل عليه أن يتحول اليهود إلى المسيحية بعد إقامة إسرائيل، حسبما روت روث بلاو فى مذكراتها التى تحمل عنوان «يهود . . . لا صهاينة».

إنه ما من أحد يعترض على مصالحة تاريخية يهودية- كاثوليكية إلا المتطرفين والمعادين للسامية وأنصار المحارق. ولكننا لانريدها مسيحية- صهيونية جديدة تتنكر لحقوق المسلمين والمسيحيين فى القدس والدولة الفلسطينية.

جدول (٧)

مؤشرات التدين الأمريكى فى التسعينيات (*)

من يعتقدون بوجود الله	٩٥٪
من يعتقدون أنهم متدينون	٨٢٪
من يؤمنون بالحياة الآخرة	٨٠٪
من يحضرون قداس الأحد أسبوعيا	٤٥٪

(*) المصدر : National Times, Nov. 1995

جدول (٨)

استهلاك الإعلام المسيحى فى أمريكا (*)

خلال الشهر الماضى	نعم
هل قرأت مجلة مسيحية؟	٣٧٪
هل قرأت كتابا مسيحيا غير الكتاب المقدس؟	٣٤٪
هل استمعت لموعظة مسيحية فى الإذاعة؟	٣٩٪
هل استمعت لمحطة إذاعية كانت تذيع موسيقى مسيحية؟	٤٥٪
هل شاهدت برنامجاً تليفزيونيا دينيا؟	٤٩٪

(*) المصدر : Barna Research, 1992

جدول (٩)

الدوريات المسيحية (*)

المسيحية اليوم Christianity Today

العالم World

المقيمون Sojourners

الأشياء الأولى First Things

تاريخ المسيحية Christian History

الأبوة المسيحية Christian Parenting

حياة الطلاب Campus Life

المختار الكاثوليكى Catholic Digest

قوة الصغار Tean Power

الأكليروس Clergy Journal

ميدان الرياضة Sports Spectrum

(*) المصدر : Barna Research, 1996

الفصل السادس

الأصولية والعنف: المسيح اليهودى والمسيح المسيحى

«بعد حرب شاملة مع الحكومة الفيدرالية الشيطانية،.. سيجرى تأسيس نظام أخلاقى لأمريكا يقوم على التعاليم والقوانين التوراتية والمسيحية وليس على المبادئ العلمانية والدنيوية».

القس مايكل براى

«إن العهد القديم يتضمن الخطة الصالحة لإقامة مجتمع مثالى.. ولابد من إقامة حكم يتبنى تنفيذ تعاليم العهد القديم.. حتى لو تطلب الأمر إحراق مجتمع المفسدين والكفار والعلمانيين لإقرار حاكمية الرب..».

منظمة شالسيدون

١ ـ منظمات المسيحية الأصولية

عرفت الولايات المتحدة الأصولية الدينية كظاهرة، خلال الصحوة الدينية العظمى الثانية فى سبعينيات القرن التاسع عشر، اشتهرت باسم حركة التدبيرية الإلهية Dispensationalism . وقد استمدت الحركة اسمها من فلسفة إيمانية بالتاريخ تقوم على مبدأ أن التاريخ الإنسانى يسير وفق تدبير إلهى من سبع مراحل منذ بدء الخليقة وحتى المجىء الثانى للمسيح. وأصبحت الحركة تياراً دينيا أمريكيا على يد القس الأبرشى إينجرسون سكوفيلد (١٨٤٣ ـ ١٩٢١)، الذى أخذ ترجمة الملك چيمس المعتمدة للكتاب المقدس وزودها بشروح وهوامش جسد فيها مفاهيم حركة التدبيرية. ونشر ذلك العمل عام ١٩٠٩ تحت عنوان «كتاب سكوفيلد المقدس المرجعى» ليصبح مرجع الأصولية الأمريكية.

ولم يظهر مصطلح (الأصولية ـ Fundamentalism) فى الاستخدام العام إلا عام ١٩١٠. ويؤرخ للظهور العام للمصطلح ببدء نشر سلسلة من ١٢ مجلداً، عام ١٩١٠، تحت عنوان «الأصول» تضم ٩٠ مقالة حررها مختلف اللاهوتيين البروتستانت المعارضين لكل تسوية أو حل وسط مع الحداثة[١].

وراج مصطلح «الأصولية» فى الصحافة الأمريكية فى عشرينيات القرن العشرين، بمناسبة انقسام الكنائس حول نظرية داروِن للنشوء والارتقاء. واستطاع الأصوليون أن يشغلوا الرأى العام بقضية چون سكوبز أحد مدرسى ولاية تينسى الذى اخترق الحظر الحكومى بتدريس نظرية داروِن حول نشوء الإنسان، وقُدِّم سكوبز للمحاكمة عام ١٩٢٥. وبرغم أن الأصوليين خسروا القضية، إلا أن الأصولية لم تهزم بل أثبتت أنها تيار غير هامشى فى الدين الأمريكى، فحظر الخمر الذى بدأ بصورة شرعية عام ١٩١٩ واستمر حتى عام ١٩٣٣، أظهر أخلاقية پروتستانتية متشددة فى النظام الاجتماعى الأمريكى. كما استفادت الأصولية الأمريكية من ظروف الكساد العظيم (١٩٢٩) التى وضعت

الإيمان بالحداثة والتقدم فى أزمة، إذ اعتبر الأصوليون أن أزمة الكساد هى آية ودليل على «انتقام الله» من «أمريكا المرتدة» وإعلان بقرب عودة المسيح، وجعلت المواجهة مع الشيوعية من الحركة الأصولية تياراً شعبيا، إذ توافقت مع الإجماع الشعبى على معاداة الشيوعية، ثم نشطت الحركة الأصولية فى معارضة المبدأ الدستورى بفصل الكنيسة عن الدولة، وأحكام المحكمة العليا بحظر الصلاة فى المدارس وإباحة الإجهاض. ومع سبعينيات القرن العشرين، تحولت الحركة الأصولية إلى حركة سياسية لها منظماتها وكنائسها، وتؤثر فى السياسات العامة بأساليب ممارسة الضغط (Lobbying) على البيت الأبيض والكونجرس، كما تؤثر فى أتباعها من خلال النشرات والرسائل الإلكترونية والمحطات الإذاعية والتليفزيونية الدينية، والجامعات، وحشد الأصوات فى الانتخابات، وجمع التبرعات، ودعم المرشحين للكونجرس الذين يحملون رسالتها [٢].

ويُطلق مصطلح «الأصولية» على الاتجاهات الدينية المتشددة فى مسائل العقيدة والأخلاق، والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس سواء العهد القديم أو العهد الجديد، والمقتنعة بأنه يتضمن توجيهات لمجمل الحياة بما فى ذلك الشئون السياسية، وبخاصة النبوءات التى تشير إلى أحداث مستقبلية تقود إلى بعث إسرائيل والمجيء الثانى للمسيح، والملتزمة بالتبشير بين أولئك الذين لم يعتنقوا هذا الاعتقاد.

ويعتبر لويس جاسبر فى كتابه «الحركة الأصولية» أن الحركة الأصولية صعدت لمعارضة الليبرالية وللتعبير عن عصمة النصوص المقدسة ومعجزات الكتاب المقدس، لا سيما الميلاد العذرى للمسيح (عذرية مريم) والمجيء الثانى للمسيح، وعن أن آلام المسيح وقيامته كانت للتكفير عن خطايا البشر. ويستنتج جاسبر من ذلك أن الحركة الأصولية تمثل ردّا محافظًا على تفسيرات الحداثيين الذين اعتقدوا فى تكييف اللاهوت البروتستانتى مع الاكتشافات العلمية الحديثة والمعارف الدينية [٣].

ويشير آرنست ساندين إلى أن الأصولية بدأت كشكل للألفية الأنجلو أمريكية قبل الحرب العالمية الأولى فى الفترة ١٨٧٥ ـ ١٩١٤، ولكنها أصبحت احتجاجًا دينيا ضد الحداثة أكثر مما هى «ألفية» بانتظار المجيء الثانى للمسيح [٤].

ويحدد البروفيسور هارولد بلوم، الأسس الخمسة للأصولية فى الاعتقاد بـ:

(١) الكتاب المقدس دائما على صواب.

(٢) الميلاد العذرى للمسيح.

(٣) آلام المسيح كانت من أجل افتداء البشر .

(٤) قيامة المسيح .

(٥) المجىء الثانى للمسيح ، لحكم العالم فى الألف عام السعيدة .

وفى رأى بلوم أن الأسس ٢ ، ٣ ، ٤ قديمة قدم الاعتقاد المسيحى ، ولكن الأساسين الأول والأخير هما الأكثر أهمية لدى الأصوليين [٥] .

إذن ، الحركة الأصولية هى حركة احتجاج ضد الحداثة (اجتماعية) تتبنى فكرة العودة إلى الأصول (الكتاب المقدس) وتنتظر المجىء الثانى للمسيح (ألفية) .

والألفية Milleniarism مشتقة من الكلمة اللاتينية Mille وتعنى ألفًا ، وهى الألف عام التى يجىء المسيح ، بعدها ، أو قبلها ، حسبما جاء فى رؤيا يوحنا : ويملكون معه ألف سنة . (رؤيا ٢٠ : ٦) .

وينقسم الأصوليون الألفيون إلى تيارين : تيار ما قبل الألفية Pre-Milleniarism وتيار ما بعد الألفية Post-Milleniarism [٦] .

وينتمى إلى تيار ما قبل الألفية الأصوليون التدبيريون ، الذين يعتقدون بأن المسيح سيجىء قبل الألف عام السعيدة ، ويقسمون التاريخ إلى ٧ عهود أو ٧ تدبيرات :

(١) عهد الأعمال : من خلق آدم إلى السقوط .

(٢) عهد الضمير : من السقوط إلى الطوفان .

(٣) عهد الحكومات : من الطوفان إلى جبل سيناء .

(٤) عهد الناموس : من سيناء إلى يوم الخمسين .

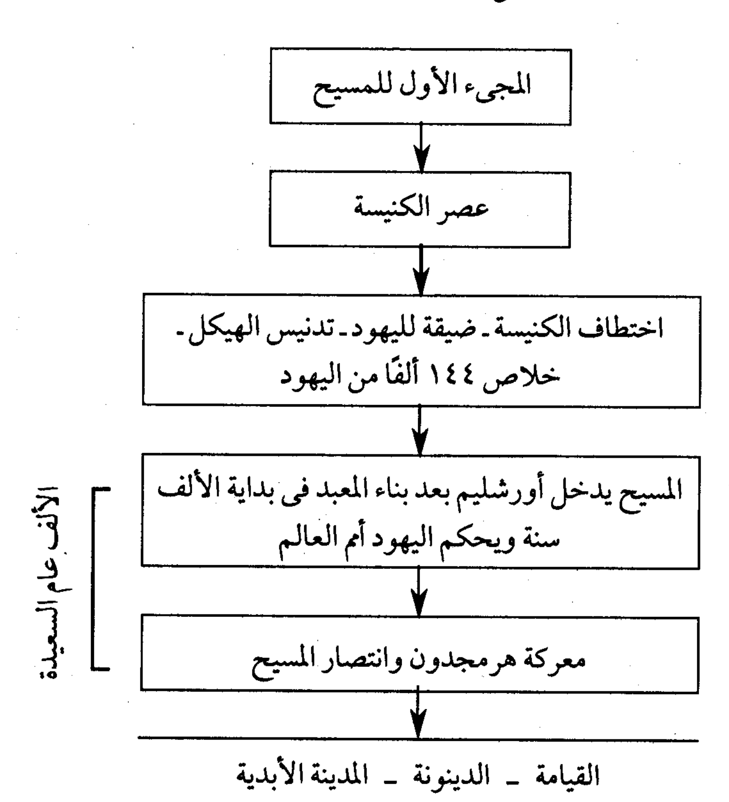
(٥) عهد النعمة : من يوم الخمسين إلى المجىء الثانى للمسيح .

(٦) عهد المملكة : الألف سنة (لأن كل العهود السابقة فشلت) .

(٧) عهد الأبدية : بعد ذلك .

شكل (١)

نهاية التاريخ لدى الأصولية ما قبل الألفية

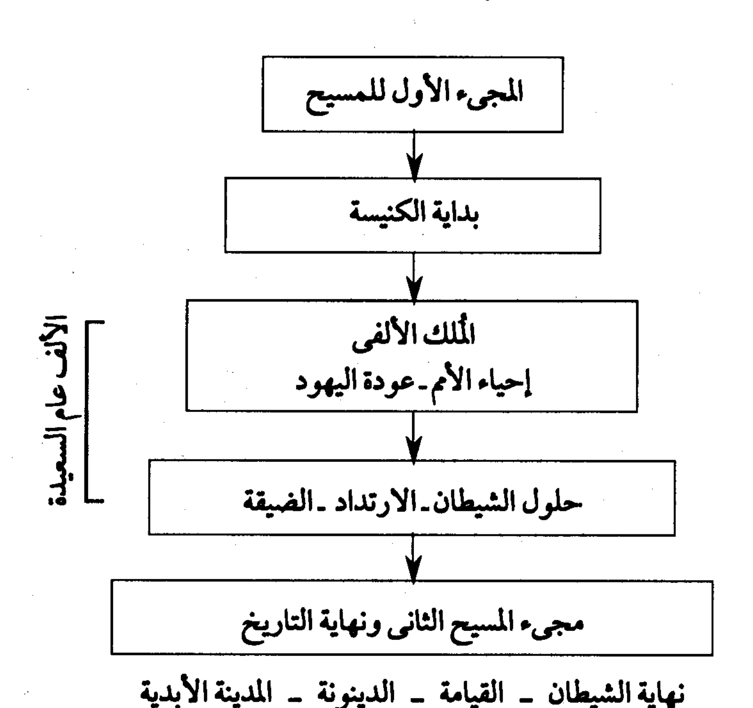


أما الأصوليون ما بعد الألفية، فيعتقدون أن هناك ألف عام، يسود فيها السلام الروحى وتضيق فيها مساحة الشر، ويملك فيها المسيح ملكا (روحيًا) على قلوب غالبية البشر بما فيهم اليهود. وفى نهاية الألف سنة يحل الشيطان ويحدث شروراً وارتداداً وضيقة خانقة، ثم يأتى المسيح فى مجد ويقيم الأموات جميعا، لتكون الدينونة العامة والمدينة الأبدية (٧).

ويُسمى أصوليو ما بعد الألفية الأصوليين الإحيائيين، الذين يعتقدون أن المجىء الثانى للمسيح لن يتحقق إلا بعد ألف عام من الحكم (الملك) المسيحى، وأنه على المسيحيين تهيئة الظروف الاجتماعية والسياسية التى تجعل ظروف عودة المسيح ممكنة.

شكل (٢)

نهاية التاريخ لدى الأصولية ما بعد الألفية



نهاية الشيطان - القيامة - الدينونة - المدينة الأبدية

وتتوزع منظمات الأصولية الأمريكية بين ما قبل ألفية وما بعد ألفية، وهى إن كانت تتشارك فى معارضة مبدإ فصل الكنيسة عن الدولة، فإنها تختلف فى أهدافها وأنشطتها اجتماعيا وسياسيا(٨):

● **جمعية العائلة الأمريكية American Family Association**

أسسها القس دونالد وايلدمان، راعى الكنيسة المشيخية المتحدة. قد تكونت فى الأصل من مجموعة «الاتحاد الوطنى للاحتشام»، الذى عرف بانتقاد الثقافة العامة والدعوة إلى الاحتشام فى عروض السينما والتليفزيون. وفى السنوات الأخيرة، وجهت المنظمة نقدها لمبدإ فصل الكنيسة عن الدولة، باعتبار أنه مبدأ مشكوك به من الناحية التاريخية. وإلى جانب الهجوم على الفصل بين الكنيسة والدولة، أسست جمعية العائلة الأمريكية جهازاً للمساعدة القانونية للطعن فى التشريعات التى تراها مخالفة للقيم المسيحية المحافظة، وزادت من نقدها للمدارس العامة بوصفها بأنها تدرس تعاليم وضعية بشرية. وخلال التسعينيات، صعدت جمعية العائلة الأمريكية حملتها ضد الحظر الحكومى للصلاة فى المدارس العامة.

● **العصبة الكاثوليكية للحقوق الدينية والمدنية**

Catholic League for Religious and Civil Rights

أسسها القس الكاثوليكى فيرجيل بلوم. وقامت - بالأساس - للرد على التمييز ضد الكاثوليكية فى وسائل الإعلام وفى الثقافة العامة. والعصبة الكاثوليكية التى قاربت عضويتها نصف المليون عضو، تعتبر محافظة بل وأصولية فيما يتعلق بمبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة، وتقود حملات ضد المدارس العامة (باعتبارها تدرس العلمانية)، وتدعو للمدارس الدينية. وتسعى العصبة الكاثوليكية للتواجد فى عشر ولايات إلى جانب مقاطعة كولومبيا، وتهاجم فصل الكنيسة عن الدولة فى نشرتها الشهرية.

● **شالسيدون Chalcedon**

تعتبر شالسيدون أكبر منظمة بين منظات «الإحياء الأصولى» فى الولايات المتحدة، ويقودها اللاهوتى والكاتب روساس چون رشدونى، وتنطلق المنظمة من كالڤينية متطرفة تستند على عصمة الكتاب المقدس وحرفية النصوص.

وترفض المنظمة مبدأ «التعددية» بل تصف التعددية بأنها كلمة «قذرة» بدعوى أنها تحمى الهرطقة بتفسيرات متعددة للكتاب المقدس. كما تهاجم المنظمة مبدأ الحرية الدينية ومبدأ التسامح الدينى، لأنهما يعطيان الفرصة للفرد لارتكاب أخطاء لاهوتية. ويقول رشدونى إنه باسم التسامح الدينى، قد يطلب من المرء المؤمن أن ينخرط فى القبول العام بالملحدين والمنحرفين والمجرمين وأتباع الأديان الأخرى، كما لو أنه لا توجد فروق بينهم.. وورد فى مجلة المنظمة: إن المسيحى ينبغى أن يعرف أن التعددية هى خرافة، إن الرب وقانونه يجب أن يحكما الأمم، وليس فى أى موضع من الكتاب المقدس، قد قرأنا أن الرب يعلم أو يدعم التعددية.

وتدافع المنظمة عن تطبيق عقوبتى الإعدام والرجم فى المخالفات الدينية، مثل ممارسة الجنس خارج المؤسسة الزوجية، والمثلية الجنسية، والهرطقة، واتباع مذاهب أو أديان كاذبة (حسب وصفها).

● المدافعون المسيحيون لخدمة الإيفانجيلية

Christian Advocates Serving Evangelism

تأسست كجامعة مساعدة قانونية، بقيادة جاى آلان سيكولو، وهو محام إيفانجيلى ومسيحى ولد ثانية، وتركز على رفع الدعاوى أمام المحاكم، والمحكمة العليا فى القضايا المتعلقة بالمدارس. وقد رفع سيكولو دعاوى ضد حظر الدين فى المدارس العامة عام ١٩٩٢، ويدافع عن حقوق التلاميذ فى تلقى النصوص الدينية فى المدارس. وشارك سيكولو القس بات روبرتسون فى «المركز الأمريكى للقانون والعدالة» الذى يعتبر من أهم جماعات المساعدة القانونية المسيحية فى الولايات المتحدة.

● مواطنون من أجل رفعة التعليم Citizens for Excellence in Education

يرأس هذه المنظمة أحد رجال التعليم وهو روبرت إل ـ سيموندس، وتعتبر المنظمة أن الفصل بين الكنيسة والدولة مجرد «خرافة اشتراكية»، وتقود حملات ضد المدارس العامة.

وللمنظمة فروع فى معظم الولايات، وتدعو إلى رفعة التعليم إلا أنها تهاجم التعليم العام وتدافع عن القيم الدينية المسيحية المحافظة.

ويبدو الدور الأكبر للمنظمة فى الحشد من أجل فوز نشطاء اليمين المسيحى، بمجالس المدارس، وتذكر مطبوعاتها أن ألفين من أتباعها تم انتخابهم فى مجالس المدارس فى مختلف الولايات.

● **الائتلاف من أجل الإحياء Christian Coaliation On Revival**

تعتبر منظمة الائتلاف من أجل الإحياء، ضمن منظمات «الإحياء الأصولى» التى تعتقد فى حرفية نصوص الكتاب المقدس وصلاح القوانين الإلهية للمجتمع المعاصر. وتدعو المنظمة التى يقودها جاى جرمستيد، أعضاءها إلى إقامة حكومة تطبق تفسيرهم للكتاب المقدس، وهى منظمة متطرفة فى رفضها لمبدإ الفصل بين الكنيسة والدولة، وتمارس أنشطتها على المستوى المحلى.

● **التركيز على المرأة من أجل أمريكا Concerned Women For America**

تقود منظمة التركيز على المرأة من أجل أمريكا بيفرلى ليهى (زوجة القس تيم ليهى)، وتصل عضويتها إلى نحو ٧٠٠ ألف.

وتهاجم المنظمة «الحياة العلمانية» ومبدأ فصل الكنيسة عن الدولة، وتركز على حظر الإجهاض، والقيم العائلية المحافظة، وإباحة الصلاة فى المدارس، ومعارضة المثلية الجنسية. وقبل انهيار الاتحاد السوفييتى، نشطت المنظمة فى معاداة الشيوعية، كما دعمت متمردى الكونترا فى نيكاراجوا. وتقوم منظمة «التركيز على المرأة» بحملات مضادة للنسوية «الفيمنزم» و«الدنيوية» فى المجتمع الأمريكى، وتقدم ليهى برنامجًا إذاعيا دينيا كل يوم يبث من المحطات الإذاعية المسيحية فى مختلف الولايات.

● **منتدى النسر Eagle Forum**

تأسس منتدى النسر فى السبعينيات، لمعارضة قانون الحقوق المدنية، ويرأسه فيليس شالفلى الكاثوليكى المتشدد وأحد نشطاء الحزب الجمهورى المعارضين للإجهاض.

وعقب إقرار التعديل الدستورى للحقوق المدنية، تحول «منتدى النسر» إلى معارضة التعليم العام، والمثلية الجنسية والإجهاض، وفصل الكنيسة عن الدولة، وتقدر عضويته بنحو ١٠٠ ألف عضو.

● **التركيز على العائلة Focus on the Family**

يقود منظمة التركيز على العائلة عالم النفس المسيحى چيمس دوبسون، وقد بدأت المنظمة فى نهاية السبعينيات كمركز أبحاث للآباء المسيحيين المهتمين بتقوية الروابط العائلية، وأنتج دوبسون مطبوعات وكتب عن تربية الأطفال والحياة العائلية، استطاع بها جذب المؤيدين والأتباع إلى المنظمة. وفى الثمانينيات، أصبحت المنظمة تلعب دوراً سياسيا ضمن «اليمين المسيحى». . وفى حين أن المنظمة لم تزل تركز على قيم العائلة التقليدية المسيحية، إلا أن انشغالها بقضايا الإجهاض والمثلية الجنسية والتعليم العام، جعلها قوة مؤثرة داخل «اليمين المسيحى». فالمنظمة تطبع كتبا وشرائط ڤيديو للدعاية ضد مبدإ فصل الكنيسة عن الدولة، كما أصبحت لها شبكة تنظيمية على المستوى القومى، واتصالات مع الكنائس المحافظة، مما جعلها قوة تصويتية مؤثرة على مستوى الولايات فى انتخابات مجالس المدارس والمدن. وتصدر المنظمة باسمها مجلة (المواطن ـ Citizen) ويقدم دوبسون برنامجًا إذاعيًا تبثه مئات المحطات الإيڤانجيلية فى مختلف الولايات.

● **مجالس أبحاث العائلة Family Research Council**

يديره جارى بوير الذى عمل مساعداً للرئيس ريجان فى وزارة التعليم، ويدافع عن القيم التقليدية المسيحية للعائلة الأمريكية، ويعارض الإجهاض وحظر الصلاة فى المدارس والمثلية الجنسية. وقد لعب مجلس أبحاث العائلة بقيادة بوير دوراً نشطًا فى إقرار الكونجرس لقانون الحرية من الاضطهاد الدينى.

ويصدر المجلس منذ عام ١٩٩٢ نشرة شهرية باسم (واشنطون ووتش ـ Washington Watch)، ويرتبط مجلس أبحاث العائلة بمنظمة التركيز على العائلة بروابط قوية، إذ إن دوبسون رئيس منظمة التركيز على العائلة أحد أعضاء مجلس إدارة أبحاث العائلة.

ويقدم بوير موعظة دينية يومية تبثها ٤٠٠ محطة على مستوى الولايات المتحدة. كما كان بوير ضمن مرشحى الحزب الجمهورى فى الانتخابات الأولية للرئاسة عام ٢٠٠٠.

● **ائتلاف القيم التقليدية Traditional Values Coalition**

يقود منظمة «ائتلاف القيم التقليدية» القس لويس شيلدون، وأحد النشطاء ضد المثلية الجنسية. وتروج المنظمة للأچندة التقليدية لليمين المسيحى، خصوصًا فى معارضة المثلية الجنسية والمطالبة بتحريم الإجهاض والدعوة للسماح بالصلاة فى المدارس، كما تدعو

المنظمة إلى الالتزام بنصوص الكتاب المقدس، وقد بدأت المنظمة نشاطها فى كاليفورنيا، ثم أصبح لها وجود على المستوى القومى.

● **مؤسسة بناة الحائط Wall Buliders, Inc.**

قام بتأسيس «مؤسسة بناة الحائط» ديڤيد باترون أحد قيادات اليمين المسيحى، بهدف إثبات أن الولايات المتحدة «أمة مسيحية» وأن الفصل بين الكنيسة والدولة هو خرافة. وقد ألف بارتون كتابين ضمن تلك المهمة، الكتاب الأول هو «خرافة الفصل» الذى هاجم فيه فصل الكنيسة عن الدولة مستنداً إلى التاريخ الأمريكى.

أما الكتاب الثانى، فهو: «أمريكا: تُصلى أو لا تصلى»، الذى اقترح فيه أن المشكلات الاجتماعية الأمريكية الراهنة نتجت عن حظر المحكمة العليا للصلاة فى المدارس.

ويركز نشاط مؤسسة بناة الحائط فى طبع الكتب وأفلام الڤيديو التى تروج لأهدافها، إضافة إلى المحاضرات التى يلقيها بارتون فى الكنائس بامتداد الولايات المتحدة.

● **منظمة الائتلاف المسيحى Chrristian Coallition**

أسس القس بات جوردون روبرتسون الواعظ التليڤزيونى ومؤسس الشبكة التليڤزيونية المسيحية CBN منظمة الائتلاف المسيحى عام ١٩٨٩ . وقد صعد روبرتسون مع صعود اليمين المسيحى فى السبعينيات والثمانينيات، وذلك ما شجع روبرتسون للترشيح لرئاسة الجمهورية فى الانتخابات الأولية للحزب الجمهورى عام ١٩٨٨ ، وبعد أن فشلت معركة روبرتسون للترشيح للرئاسة قاد تحولا داخل اليمين المسيحى الأمريكى، وهو التحول من التركيز على البيت الأبيض والكونجرس إلى التركيز على مجالس المدن ومجالس المدارس وحشد الأصوات الانتخابية فى الولايات، من خلال منظمة «الائتلاف المسيحى» التى أسسها وترأسها روبرتسون واختار الشاب رالف ريد ليديرها.

لقد ركز «الائتلاف المسيحى» على القضايا الأخلاقية، وبصفة خاصة: الإجهاض، وحقوق اللواطيين والسحاقيات، وتمويلات الصندوق القومى للفنون، وشجع على أعمال العنف ضد عيادات الإجهاض فى التسعينيات، وعارض مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة، وهاجم تقنين حقوق للواطيين والسحاقيات بدعوى أن فى ذلك تمييزاً لهم عن سائر المواطنين، وتدخل لهزيمة مرشحين لمناصب حكام الولايات ولإسقاط تشريعات فى عدد من الولايات لحقوق اللواطيين والسحاقيات، وقاد هجوما على الصندوق القومى

للفنون بدعوى أنه يمول الفنون الإباحية. وقاد «الائتلاف المسيحى» حملات حشد انتخابية على مستوى الولايات والمستوى القومى ودعم فوز ريجان وبوش بالرئاسة.

ويقول روبرتسون عن مهمة المنظمة:

«إنها تحرك المسيحيين صفًا واحدًا وجماعة واحدة فى الوقت المطلوب»

«إننا الرأس ولسنا المؤخرة.. إننا فى القمة ولسنا فى القاع لنظامنا السياسى»

«الائتلاف المسيحى سيكون أكبر قوة مؤثرة فى أمريكا بنهاية عقد التسعينيات»

«لدينا من الأصوات ما يكفى لحكم هذا البلد.. وعندما يضجر الناس سنحكم البلد».

وحسب تقديراته يصل عدد أعضاء الائتلاف المسيحى إلى ١,٥ مليون عضو من المتبرعين والمؤيدين، ويتواجد فى ٢٥ ولاية من خلال ٥٠ ألف عضو قيادى، و٢٥ ألف عضو ارتباط بالكنائس. ومنذ نوفمبر ١٩٩١، يعقد الائتلاف المسيحى مؤتمره السنوى تحت عنوان «طريق إلى النصر»، يحضره حوالى أربعة آلاف وفد من مختلف الولايات، كما يحضره رموز اليمين المحافظ فى الحزب الجمهورى، وتعقب المؤتمر حلقات للقادة المحليين وعلى المستوى القومى، للتدريب على حشد الأصوات وتحصيل التبرعات والترشيح لمجالس المدارس ومجالس المدن ومقاعد حكام الولايات وعضوية الكونجرس.

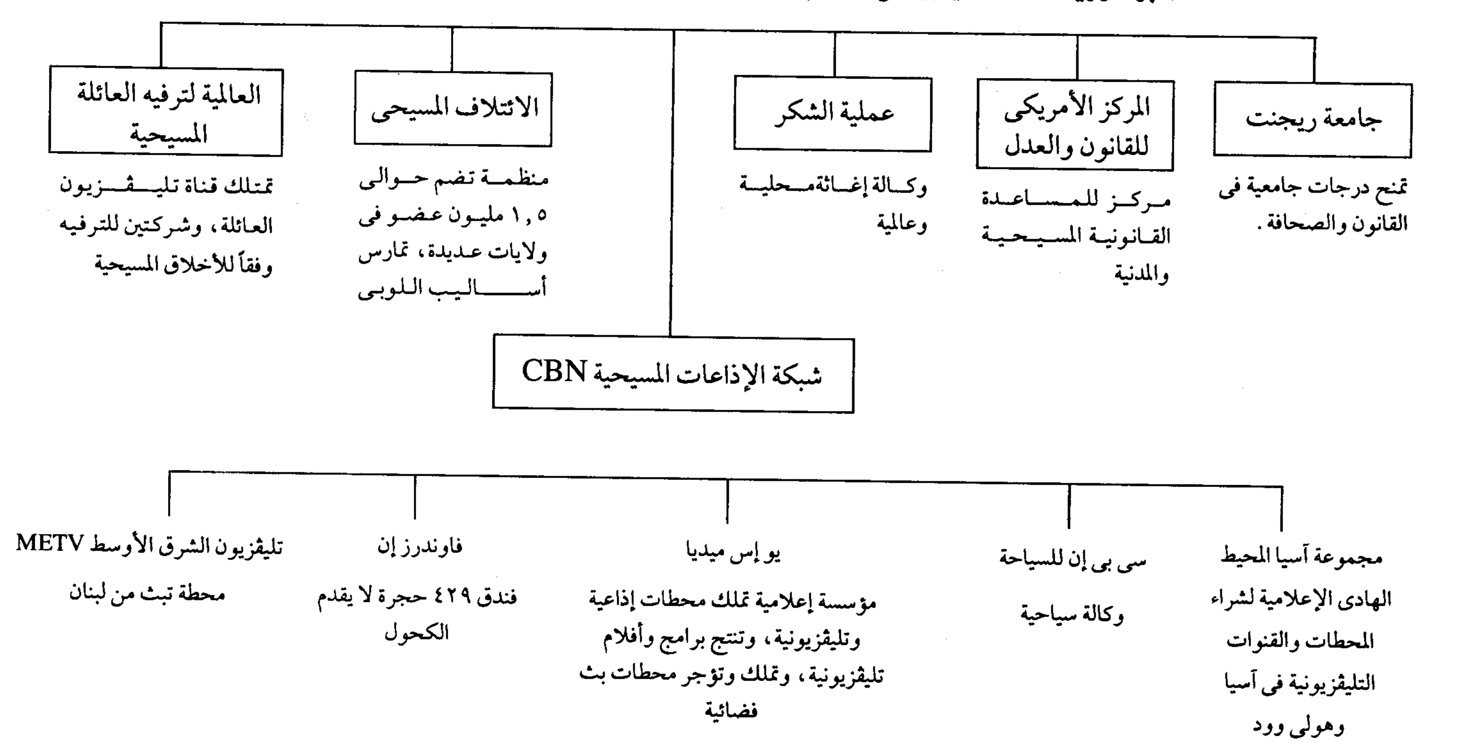
ولدى الائتلاف المسيحى «نظام اتصالات» متقدم يستطيع الوصول يوميا إلى الملايين، سواء عبر الشبكة التليفزيونية CBN أو الإنترنت والبريد الإلكترونى أو البريد السطحى والهاتف والفاكس.

ويوزع الائتلاف المسيحى قبل كل انتخابات «بطاقات الرصد» فى أكثر من ٧٠ ألف كنيسة لتحديد اتجاهات الناخبين إزاء برنامجه، كما يوزع «دليل الناخب» الذى يحدد للناخب من ينتخبه، وقد وزع التحالف ٣٣ مليون نسخة من «دليل الناخب» قبل انتخابات ١٩٩٤ و٤٥ مليون نسخة قبل الانتخابات الرئاسية عام ١٩٩٦. ويعكس خطاب «الائتلاف المسيحى» وحركته، مضمونًا مسيحيًا صهيونيًا متطرفًا، فقد اعتبر بات روبرتسون أن **«إعادة مولد إسرائيل هى الإشارة الوحيدة إلى أن العد التنازلى لنهاية الكون قد بدأ، وأن بقية نبوءات الكتاب المقدس أخذت تتحقق بسرعة مع مولد إسرائيل»**

ويعتبر روبرتسون أن عودة القدس إلى اليهود هى «أهم حدث تنبؤى فى تاريخنا وأن زمان غير اليهود قد قارب على النهاية.» وتسيطر على عقله فكرة نهاية العالم بمعركة هرمجدون بين الروس والعرب الكفار من جهة وإسرائيل وأمريكا من جهة أخرى.

شكل (٣)

إمبراطورية القس التليفزيونى وزعيم الائتلاف المسيحى بات روبرتسون (*)



(*) المصدر : US&WR-Basic Data: CBN

٢ـ ديڤيد قورش.. المسيح يحرق «واكو»

فى ١٩ من إبريل عام ١٩٩٣ ، وبعد حصار فرضه رجال المباحث الفيدرالية (FBI) لمدة ٥١ يومًا حول مجمع «فرع الديڤيديين» فى واكو ، لعلعت النيران فى المجمع ، وأحرقت ديڤيد قورش و٧٣ من أتباعه الذين كانوا يعتقدون أنهم بذلك ، كانوا يقومون بدورهم فى خطة الرب لنهاية التاريخ ، بمجىء المسيح (الذى هو ديڤيد قورش نفسه كما كانوا يعتقدون) .

وفى ١٩ من إبريل سنة ١٩٩٥ ، وفى الذكرى السنوية الثانية لإحراق مجمع فرع الديڤيديين فى واكو ، قام تيموثى ماكفى بتفجير المبنى الفيدرالى فى أوكلاهوما ، انتقامًا لمقتل ديڤيد قورش وأتباعه .

وكان وراء إحراق مجمع فرع الديڤيديين فى واكو ، وتفجير المبنى الفيدرالى فى أوكلاهوما ، عقيدة ألفية تدبيرية تهيئ لمجىء المسيح . فجماعة «فرع الديڤيديين» تنتمى لاهوتيا إلى عقيدة سبتية اليوم السابع ، بيد أنها لم تصبح جماعة دينية فى الولايات المتحدة إلا مع قدوم المهاجر البلغارى ڤيكتور هاوتف (١٨٨٦ ـ ١٩٥٥) ، الذى تحول من الأرثوذكسية إلى عقيدة سبتية اليوم السابع عام ١٩١٨ ، وكان هاوتف يدير مدارس الكنيسة فى لوس أنجلوس ، وحمل على عاتقه مهمة التبشير بحياة متشددة أخلاقيا وبالإعداد لمجىء المسيح ، واعتبر أن تعاليم سبتية اليوم السابع غير كافية ، إلا أنه اتهم بالهرطقة ، عندما أعلن أن المسيح أرجأ مجيءه لأن كنيسة سبتية اليوم السابع لم تعد بعد العدة ليوم الدينونة .

وبعد عام من طرده من الكنيسة (عام ١٩٣٥) ، كوَّن هاوتف جماعة «فرع الديڤيديين» من حوالى مائة شخص فى واكو ـ تكساس ، وأقام مجمعا لهم على مساحة ٣٧٥ هكتار ، أطلقوا عليه جبل الكرمل ، واعتبروا هاوتف نبيهم ، وعاشوا يدرسون الكتاب المقدس ويصلون ويزرعون . ووعدهم هاوتف بأن الرب سينقلهم خلال عام إلى فلسطين حيث

سيصبحون القادة المختارين الذين سيصعدون إلى السماء مع مجيء المسيح ليعيشوا هناك ألف عام [٩] . بيد أن «فرع الديفيديين» لم يتحول إلى طائفة ، إلا خلال الحرب العالمية الثانية وتحديدا فى عام ١٩٤٢ ، ثم قام بإرسال إرساليته إلى كنائس سبتية اليوم السابع فى أمريكا الشمالية وبريطانيا والهند وأستراليا ، خلال عامى ١٩٥٢ و١٩٥٣ . وحقق فى ذلك بعض النجاح حتى وفاة هاوتف عام ١٩٥٥ . وتولت الزوجة الثانية لهاوتف قيادة الجماعة عام ١٩٥٧ ، فباعت منطقة جبل الكرمل ، واشترت مساحة من الأرض أقامت عليها جبل كرمل جديد وبيوتا ريفية لأعضاء الطائفة ، وأعلنت فلورنس هاوتف عن بشارتها لمجيء المسيح بعد اندلاع حرب أخرى فى الشرق الأوسط (بعد حرب ١٩٥٦) وتأسيس مملكة الرب فى أورشليم .

وبعد فلورنس ، تولى القيادة بين رودن وزوجته لويز ، وأصبحت الجماعة أكثر تهودًا ، وتنبأ رودن بانتصار يهود إسرائيل فى حرب أخرى فى الشرق الأوسط ، ضمن إشارات مجيء المسيح . وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، اعتبر أن نبوءته التى استخلصها من الكتاب المقدس قد تحققت وطالب الدولة الإسرائيلية بتأسيس فرع لجماعة فرع الديفيديين فى الجليل . وأضافت زوجته لويز بعدًا نسويا للجماعة ، عندما أعلنت عام ١٩٧٧ أن الروح القدس الأم زارتها وأوحت إليها بأن الروح القدس ـ فى الحقيقة ـ امرأة ، وأن المسيح لدى مجيءه الثانى سيكون امرأة ، واعتقدت لويز أن دورها هو الوعظ بأنثوية الرب ، وبدأت نشر مجلة تتبنى ذلك الوعظ ، ووجدت تحديا لقيادتها للجماعة من ابنها چورچ ، ولكنها تلقت دعمًا من القديس فيرمون واين هاول (١٩٥٩ ـ ١٩٩٣) راعى الكنيسة السبتية فى تايلور ـ تكساس والذى كان قد انضم للجماعة عام ١٩٨١ . ومن جانبها أعلنت لويز أن هاول هو خليفتها فى قيادة الجماعة ، وقد زارت لويز وهاول إسرائيل عام ١٩٨٣ . وأعلنت لويز أنها تقيم علاقة جنسية مع هاول لإنجاب ابن لوراثة قيادة الجماعة ، ولكن هاول تزوج عام ١٩٨٤ صبية فى الرابعة عشر من عمرها ، وزار معها إسرائيل عام ١٩٨٥ ، وأعلن هناك أنه يرى فى نفسه «قورش» الذى حرر اليهود من الأسر البابلى ، وأنه سيحرر اليهود الباقين ويعود بهم إلى أرض الميعاد . ولكنه عندما عاد من إسرائيل إلى واكو ، وجد أن چورچ رودن قد أحكم سيطرته على الجماعة ، فارتحل هاول/ قورش ومؤيدوه إلى مدينة سميت فلسطين فى تكساس ، وهناك بدأ هاول/ قورش تعدد الزوجات بالزواج من مراهقات لإنجاب أكبر عدد من الأطفال .

ومن جديد، وفى عام ١٩٨٧، تحدى چورج رودن قيادة هاول/ قورش، إذ أخرج رودن جثة امرأة متوفية منذ عشرين عامًا فى تابوتها وتحداه أن يحييها، وانتهى الأمر بإطلاق النار على رودن الذى أصيب فى صدره وذراعيه، مما دفع السلطات للتدخل وأطلق سراح قورش وردت إليه أسلحته، بعد أن قام أعضاء من الجماعة بتخويف هيئة المحلفين، بأن لقورش قوى إعجازية إلهية، وأصبحت لقورش الزعامة على جبل الكرمل دون تحدٍّ!

وفى أغسطس عام ١٩٩٠، غير هاول اسمه إلى ديڤيد قورش، ليجمع اسمه بين «ديڤيد» الملك اليهودى و«قورش» الملك الفارسى الذى حرر اليهود من السبى البابلى، وليصبح لاسمه مكان فى التاريخ اليهودى والعقيدة الألفية التدبيرية.

وفى داخل مجمع «فرع الديڤيديين» فى واكو، جمع ديڤيد قورش أتباعه، لدرس الكتاب المقدس فى جو تجلجل فيه موسيقا «الروك» والارتداد عن الكنيسة السبتية، والاستعداد النظرى والنفسى للمجىء الثانى للمسيح. ووعظ قورش بأنه وأتباعه يلعبون دورًا مركزيا فى مسألة خلاص البشرية، وأن يسوع المسيح قد مات من أجل خلاص من عاشوا قبل مجيءه، أما رسالة ديڤيد قورش فهى أن يفض الأختام السبعة التى وردت فى سفر الرؤيا، كمقدمة لنهاية التاريخ. وقال قورش إن أتباعه سيبلغ عددهم ١٤٤ ألفًا، حسب رؤيا يوحنا، وسيصعدون إلى السماء ويحكمون مع المسيح الملك لألف عام (١٠).

وحسب تلك النظرة عن دورهم الإلهى، فإن حياة الجماعة فى جبل الكرمل لها أهمية استثنائية، حيث إن كل ما يقومون به هو جزء من خطة خلاص العالم. فبعد العمل اليومى، كان ديڤيد قورش يجمعهم ليلا لموعظة حول النعيم الذى سيلقونه والمصير المخيف الذى سيجازى به غير المؤمنين لاسيما أعضاء الكنيسة السبتية الذين لم يعترفوا برسالته. وأخبر قورش أتباعه بأنهم يعيشون نهاية التاريخ، وأنهم سرعان ما سينتقلون إلى إسرائيل، ليبدءوا تحويل اليهود إلى المسيحية، وليقودوا حرب النهاية، معركة أرمجدون، وأن الملاك الذى سيهيىء العالم ليكون أورشليم الجديدة لن يكون إلا ديڤيد قورش نفسه.

وأعلن قورش أن تعدد زوجاته، المراهقات والسيدات، له مغزى لاهوتى، فقد كان له سبع زوجات واثنى عشر طفلا (بقى منهم ثلاثة بعد حريق مجمع الديڤيديين عام ١٩٩٣). والمغزى اللاهوتى، كما قال، أنه لما كان هو المسيح المنتظر (أى ديڤيد قورش نفسه)، فإن سلالته ستكون المجموعة الإلهية «بيت ديڤيد» التى ستحكم بعد نهاية العالم. وفى جلسات الاستماع التى عقدها الكونجرس عام ١٩٩٥، بعد كارثة إحراق مجمع

الديفيديين فى واكو، أوضح آباء وأزواج النساء اللاتى اختارهن ديفيد قورش، أنهم اعتقدوا فيما قاله قورش بأن زواجه من بناتهن وزوجاتهن، مهمة إلهية لتحقيق مشيئة الرب، وأنه سيضاجع المزيد من النساء حتى يحملن منه ٢٤ طفلا (ضعف الرقم ١٢ الذى يرمز إلى القبائل الإسرائيلية الاثنتى عشرة)، ليحكموا العالم فى الألف عام السعيدة، وقد تمرد آباء وأزواج على قورش، وغادروا مجمع الديفيديين فى واكو خوفًا على بناتهم وزوجاتهم.

وكان العامل الثانى من عوامل النهاية التراجيدية لمجمع الديفيديين هو انتشار وتراكم الأسلحة داخل المجمع، فالاعتبار اللاهوتى جعل الديفيديين يجمعون ويكدسون الأسلحة النارية انتظاراً للمعركة الكبرى هرمجدون، كما كان الديفيديون يشترون ويبيعون الأسلحة كشأن تجارى محض. وتكرر إطلاق النار داخل المجمع مرتين على المناوئين لسلطة ديفيد قورش، كما تبادل الديفيديون إطلاق النار مع رجال المباحث الفيدرالية فى ٢٨ من فبراير عام ١٩٩٣، مما أدى إلى مقتل ثلاثة من رجال الشرطة وأربعة من الديفيديين. واضطر ذلك رجال مكتب الكحول والدخان والأسلحة النارية التابع لمكتب المباحث الفيدرالية إلى محاصرة مجمع الديفيديين ٥١ يوما بهدف أن يستسلم ديفيد قورش، ولكن قورش رفض وهدد بإحراق الشرطة والمجمع، وفشلت جهود الشرطة فى الضغط العصبى على قورش وجماعته، بقطع الكهرباء عن مبانى المجمع أو غمرها بالمياه وتوظيف الموسيقا الصاخبة، وصرخات أهالى الأعضاء فى المجمع، وعواء حيوانات كان يجرى قتلها.

ورد قورش بأنه يتبع مشيئة الرب الواردة فى التوارة، وأحرق قورش المجمع، مما أدى إلى مقتل ٧٤ من الديفيديين بينهم قورش نفسه و٢١ طفلا تقل أعمارهم عن ١٥ عامًا، عملا بما يعتقدون أنه خطة إلهية لنهاية التاريخ ومجىء المسيح اليهودى[١١].

وكان أمرًا له مغزى أن ديفيد قورش، عندما دفنته والدته فى تايلور ـ تكساس، لفت تابوته بالعلم الإسرائيلى الذى حصلت عليه من حاخام يهودى[١٢].

٣ـ أمريكا.. القبيلة الإسرائيلية

يمثل الاعتقاد بـ «القبائل الإسرائيلية الاثنتى عشرة المفقودة» جزءاً مهمّا فى تفكير الألفية التدبيرية، وقد انتقل هذا الاعتقاد من أوروبا إلى الولايات المتحدة عبر مفهوم «الإسرائيلية البريطانية» أو «الإسرائيلية الأنجلوساكسونية»، وكان كريستوفر كولمبس يعتقد بأنه ضمن مهامه فى اكتشاف العالم، البحث عن «القبائل الإسرائيلية الاثنتى عشرة المفقودة»، كخطوة مركزية فى خطة الرب لنهاية التاريخ والمجىء الثانى للمسيح.

ويعنى مفهوم الإسرائيلية البريطانية أن الشعب البريطانى، والأنجلوساكسونى عموما، هم أسلاف القبائل الإسرائيلية المفقودة، ولذلك فإن وعود الرب الواردة فى التوراة تنطبق عليهم، أى أن الأنجلوساكسون هم شعب الله المختار. وجرت محاولات الإثبات سواء بالكتاب المقدس (البحث اللاهوتى) أو بالبحث الأنثروبولوچى، لتأكيد أن الأنجلوساكسون هم أسلاف القبائل الإسرائيلية الاثنتى عشرة المفقودة منذ السبى البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد. ويتضمن الاعتقاد أن تلك القبائل لم تسمع رسالة المسيح، وبالتالى لم ترفضه كما رفضه اليهود الذين عاصروه، ولذلك فهى مفضلة على العالمين.

ومبكرا منذ عام ١٦٤٩ حاول چون سادلر فى جامعة كامبريدچ، إثبات أن البريطانيين والأنجلوساكسون هم أسلاف الإسرائيليين المفقودين، بإثباتات لاهوتية ولغوية من الكتاب المقدس [١٣].

بيد أن المؤسس المعترف به لهذا الاعتقاد هو رالف ودجوود، الذى ألف «كتاب الذاكرة» وأورد فيه دورات زمنية تنتهى بذلك الاعتقاد. وبعد قيام الثورة الفرنسية ومواجهتها للكنيسة، أعلن أنه وفقا لسفر دانيال ورؤيا يوحنا، فإن الشعب البريطانى ينحدر من سلالة أفرايم [*] وأن الإمبراطورية البريطانية ستكون مملكة المسيح عندما

(*) ابن يوسف من زوجته المصرية طبقًا للتوراة ـ سفر التكوين (٤١ : ٥٠ ـ ٥٢).

يعود[١٤] . وكان المنظر الأيديولوجى لاعتقاد «الإسرائيليين المفقودين» هو چون ويلسون (توفى ١٨٧١)، الذى اعتبر أن العرق الأنجلوساكسونى يمتد إلى إبراهيم وينتمى إلى «بيت إسرائيل المفقود» وإلى سلالة أفرايم أو إلى القبائل الإسرائيلية المفقودة، وأن الأنجلوساكسون سيكونون الشهود على كل الأمم يوم الدينونة . ولإثبات ذلك لجأ ويلسون إلى الثقافات المقارنة واللغويات، ونحا منحى صهيونيا بأن طالب أحفاد الإسرائيليين المفقودين (أى الأنجلوساكسون) باسترداد أرض الآباء أرض إسرائيل . وتحول ويلسون من مجرد التنظير إلى الحركة بأن أسس مع إدوارد هاين (١٨٢٥ ـ ١٨٩١) حركة «الأنجلو إسرائيلية»، واعتبر هاين أن التفوق البحرى البريطانى وامتداد الإمپريالية البريطانية، هما إثبات لوعد الرب لإبراهيم، ودعا إلى أن تضع بريطانيا يدها على أرض فلسطين وتدفع إليها أبناءها الفقراء لينعموا بحياة أفضل فى أرض الأجداد[١٥] .

وفى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، أصبح للحركة «الأنجلو إسرائيلية» منظمات مثل «أنجلو إسرائيل» و«أنجلو أفرايم» و«متروپوليتان أنجلو إسرائيل» . وكان القائد التنظيمى وراءها هو إدوارد هويلر بيرد القاضى البريطانى من أصل هندى .

وفى تلك الآونة، انتعشت «الأنجلو إسرائيلية» فى الولايات المتحدة، التى كانت قد انتقلت إليها من بريطانيا، إذ أصبح الأمريكيون ينتسبون إلى إحدى القبائل الإسرائيلية المفقودة وهى قبيلة «منسى»(*) ولعبت أطروحات ويلسون وهاين وبيرد دوراً أكبر فى العالم الجديد، وكان أهم ما ميز «الأنجلو إسرائيلية» الأمريكية هو الاستناد إلى علوم الأهرامات «أهرامات الجيزة»، اعتماداً على فكرة أساسية مفادها أن الهرم الأكبر هو السجل الأصلى لرؤيا الرب كما وردت فى الكتاب المقدس حرفيّا . وقد استخدمت قياسات الهرم الأكبر فى التدليل على تاريخ بدء سلالة آدم والتدليل على تواريخ فيضان نوح وخروج اليهود وحياة المسيح، وكذلك التدليل على تاريخ نهاية التاريخ .

وفى كتابه «القبائل المفقودة و١٨٨٢» الصادر فى ١٨٧٩، اعتبر چوزيف وايلد راعى الكنيسة الأبرشية فى بروكلين أن الرب أحاط بالعناية الإلهية شعبه إسرائيل الذى هم الأنجلوساكسون، وأن عرش الرب هو عرش الملك داوود الذى هو عرش الملكة ڤيكتوريا «وقتئذ» وأن الولايات المتحدة تقوم بدور قبيلة «منسى»، وأن فهم نبوءات الكتاب المقدس

(*) ابن يوسف من زوجته المصرية، وأخو أفرايم طبقًا للتوراة ـ سفر التكوين (٤١ : ٥٠ ـ ٥٢).

وأحداث الزمان يجب أن يتم فى ضوء ذلك، وأن نهاية التاريخ أصبحت وشيكة مع انتقال اليهود إلى فلسطين [١٦].

وتلقت حركة الأنجلو إسرائيلية الأمريكية زخما بمحاضرات تشارلز توتن بين عامى ١٨٨٩ و١٨٩٢، إذ اعتبر أن الأنجلوساكسون، سواء بالتفسير اللغوى للكتاب المقدس أو بقرابة الدم ـ ينحدرون من القبائل الإسرائيلية المفقودة، وأنهم الأحفاد الحقيقيون لإسرائيل من أبناء إبراهيم وإسحق ويعقوب، وأن نهاية التاريخ مرتبطة بعودة قبيلة يهودا ـ «اليهود المعاصرين» ـ إلى إسرائيل.

وكان توتن منذ أن وصل الأنجلو إسرائيلى (البريطانى) إدوارد هاين إلى الولايات المتحدة فى عام ١٨٨٤، قد نسق جهوده معه، وانتشرت حولهما مجموعات فى غربى الولايات المتحدة وكندا، حول ڤانكوڤر وپورتلاند (أوريجون) ولوس أنچلوس. وبرز بين تلك المجموعات چى إش آلان (١٨٤٧ ـ ١٩٣٠)، الذى أسس كنيسة القداسة فى ميسورى، ثم انتقل إلى كاليفورنيا واستقر فى باسادنيا ليلحم حركته «الأنجلو إسرائيلية» مع الحركات الدينية فى الغرب الأمريكى، وليمهد ـ فيما بعد ـ لإطلاق حركة «الهوية» فى الغرب.

وكان آلان يعتقد أن المسيح ـ الملك (اليهودى) لدى مجيءه، ستكون مملكته بريطانيا والولايات المتحدة، فشعب الأمتين ينحدر من إسرائيل وسلك طريقه حتى وصل إلى بريطانيا ثم إلى الولايات المتحدة [١٧].

وكان اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤، ودخول القوات البريطانية بقيادة الچنرال أللنبى القدس سنة ١٩١٨، فرصة مواتية لإثبات العقيدة الأنجلو إسرائيلية، إذ بدا أن الأنجلوساكسون ورثة القبائل الإسرائيلية يستعيدون القدس ويهيئون العالم لمجيء الملك المسيح.

بيد أن الحركة الأنجلو إسرائيلية الأمريكية، فى إطار التنافس على الانتساب إلى إسرائيل، تضمنت تياراً اشتهر بـ «معاداة السامية» باستبعاد اليهود المعاصرين من القبائل الإسرائيلية المفقودة، وكان ضمن ذلك التيار رابن ساوير الذى اعتبر أن اليهود المعاصرين أدعياء خطرون، وساهم فى تأسيس الفيدرالية العالمية للأنجلو إسرائيلية، وأصبح أحد قادة منظمة «كوكلوكس كلان» فى أوريجون فى الفترة ١٩٢١ ـ ١٩٢٤ [١٨].

وإلى جانب التنافس على دور الشعب المختار، الذى اعتقد الأنجلو إسرائيليون أن اليهود المعاصرين يخطفونه منهم، كانت وراء انتشار معاداة السامية نظرة تقوم على «أبلسة اليهود» أى اعتبارهم أولاد إبليس الذين يحاولون السيطرة على الولايات المتحدة (أرض الميعاد) والشعب الأمريكى (الشعب المختار). انتشرت تلك النظرة حول شركة فورد للسيارات، إذ كان المتحدث باسم الشركة ويليام كاميرون (١٨٧٨ ـ ١٩٥٥) أحد أقطاب الأنجلو إسرائيلية، ومن أشهر مروجى «معاداة السامية» اعتمادا على «پروتوكولات حكماء صهيون»، وقد عمل كاميرون كمساعد لفورد حتى وفاة الأخير عام ١٩٤٦. وقد عبر هنرى فورد نفسه عن نظرة معادية للسامية من خلال كتاب «اليهودى العالمى» الذى كان تجميعا لمقالات نشرت فى صحيفة فورد «ديربورن اندپندنت»، وتضمنت شروحًا لپروتوكولات حكماء صهيون، وإبرازًا لفكرة: كيف أن اليهود بدءوا السيطرة على أمريكا مبكرًا منذ عام ١٤٩٢ مع قدوم كريستوفر كولمبس. وبرغم أن فورد سحب الكتاب من التداول، واعتذر لمجتمع رجال الأعمال الأمريكى عام ١٩٢٧، إلا أن المسألة لم تخمد. فأعاد چيرالد سميث طبع كتاب «اليهودى العالمى» بمقدمة جديدة، ذكر فيها أنه وزوجته زارا هنرى فورد الذى نفى أنه اعتذر لليهود وأن الوثيقة التى حملت توقيعه على الاعتذار، زورها أحد مساعديه فى شركة فورد[١٩].

وأيا كان الأمر، فقد أصبحت لوس أنچلوس مركزا للأنجلو إسرائيلية (الأمريكية) خلال الثلاثينيات والأربعينيات ومن خلال مؤتمرات عقدت بها فى أعوام ١٩٤٥ و١٩٤٦ و١٩٤٧.

وانفصلت الأنجلو إسرائيلية الأمريكية عن امتداداتها فى بريطانيا وفى الشرق الأمريكى، لترتبط بعروة وثقى بحركة الهوية المسيحية (والمعادية للسامية) فى الغرب الأمريكى، وهى العملية التى حظيت بتشجيع چيرالد سميث.

وبدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١، انتشرت أدبيات حركة الأنجلو إسرائيلية المعادية لليهود، مثل كتاب «متى؟ الرواية النبوءة للمستقبل القريب جدا» الذى صدر عام ١٩٤٤، وتضمن أن اليهود ينحدرون من نسل الشيطان. وفى العام نفسه، نشرت حركة العالم الأنجلو ساكسونى المسيحى فى ڤانكوڤر، كتاب «متى هجوم ياجوج»، الذى اعتبر پروتوكولات حكماء صهيون فى مستوى الحقيقة التاريخية، وأن اليهود الإشكناز ليسوا من سلالة العبرانيين المشار إليهم فى العهد القديم، وإنما ينحدرون من أصل تركى ـ منغولى[٢٠]. وكان ضمن من تأثروا بالتفسير المعادى للسامية فى

«الأنجلو إسرائيلية» الأمريكية ويزلى سويفت (١٩١٣ ـ ١٩٧٠) وويليام بوتر غال (١٩١٧ ـ ١٩٨٨).

وكان سوفيت ابنا لراعى الكنيسة المنهجية فى نيوچيرسى، وانضم إلى الكنيسة الخمسينية، ثم أسس فى لوس أنجلوس الأبرشية المسيحية الأنجلوساكسونية، وما لبث أن غير اسمها إلى كنيسة (المسيحى يسوع المسيح)، معتبراً أن يسوع المسيح لم يكن يهوديًا. أما غال فقد أتى من خلفية عسكرية وكان عميدا فى الخدمة العسكرية مع الچنرال ماكارثر فى اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية ثم فى الفليپين. وعندما عاد من الخدمة تأثر بأدبيات حركة الهوية الأمريكية فى الخمسينيات ثم شارك فى تأسيس عصبة الدفاع المسيحية التى كان أول رئيس لها ريتشارد باتلر (أوائل الستينيات). وبوفاة سويفت عام ١٩٧٠، أسس باتلر كنيسة مطابقة لكنيسته فى إيداهو بالاسم نفسه كنيسة(المسيحى يسوع المسيح).

بيد أن القوة الدافعة العظمى لحركة الأنجلو إسرائيلية فى الولايات المتحدة، كان وراءها هربرت أرمسترونج (١٨٩٦ ـ ١٩٨٦) مؤسس الكنيسة العالمية للرب فى أوجين ـ أوريجون عام ١٩٣٣.

وكما قال أرمسترونج، فإن رسالته اللاهوتية بدأت، عندما تجسد الرب لزوجته فى الحلم وأمره ـ من خلالها ـ أن يحفظ يوم السبت مثل الخمسينيين. ودرس أرمسترونج الكتاب المقدس لتفسير ذلك الاعتقاد، وأصبح يحفظ السبت، كما درس أدبيات حركة «الأنجلو إسرائيلية» واستنتج أنه لما كان ملك إسرائيل (المسيح) لم يأت بعد، فإنه من الهرطقة الاحتفال بالكريسماس أو الفصح. ومن خلال الكنيسة العالمية للرب التى أسسها عام ١٩٣٣ وكلية «أمباسدور» ومطبوعة «الحقيقة الصريحة»، أسس أرمسترونج تأسيسًا لاهوتيا لعقيدة «الأنجلو إسرائيلية»، وأقام وأتباعه الطقوس اليهودية متضمنه صلاة السبت، كما احتفلوا بالأعياد الدينية اليهودية، وأضافوا إليها ثلاثة طقوس مسيحية هى: العمادة، وإفطار الرب، وغسل الأقدام.

وكان أرمسترونج يعتقد فى «الأنجلو إسرائيلية» بالمعنى الحرفى، وادعى أنه يرتبط بجماعة الكويكرز «الصحاب»، الذين قدموا إلى أمريكا مع ويليام پين فى القرن السابع عشر، وأنه نفسه ينحدر من سلالة ملك إنجلترا إدوارد الأول، ولذلك فإن أصله يعود إلى الملك داود. ومن الناحية اللاهوتية، لم يكن يؤمن بعقيدة التثليث معتبرا التثليث مزايدة وثنية، وكان يعتقد بأن الروح القدس هى يهوه «الإله اليهودى» ويسوع معًا، وأنها قوة وليست شخصًا. كما تحدث أرمسترونج عن أن عائلة الرب تضم يهوه ويسوع وجماعة

المؤمنين من أعضاء الكنيسة العالمية للرب ، وأن خلاص جماعة المؤمنين سيتحقق إذا آمنت بيسوع ، وستصعد إلى السماء إذا اتبعت الوصايا العشر «القوانين التوراتية» ، واحتفلت بالأيام المقدسة الواردة فى الكتاب المقدس .

وفى كتابه الأخير «سر الأزمنة» وضع أرمسترونج «سيناريو» لنهاية التاريخ ، إذ يسبق النهاية تحقق حلم دانيال بالمملكة الرابعة التى ستكون «الاتحاد الأوروبى» ، وستتحطم تلك المملكة بعودة المسيح ، ثم تندلع معركة هرمجدون ، ويكون الخلاص النهائى لجماعة المؤمنين [٢١] . وكان أرمسترونج مقتنعا بأن دخول الجنرال أللنبى القدس عام ١٩١٨ وقيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، دليلان على قرب نهاية التاريخ .

وبعكس العديد من أتباع «الأنجلو إسرائيلية» الذين عبروا عن رؤى معادية للسامية ، كان أرمسترونج نصيرا متحمسًا لدولة إسرائيل .

وقد مرت الكنيسة العالمية للرب بأوقات عصيبة بعد وفاة هربرت أرمسترونج عام ١٩٨٦ ، وانقسمت إلى عدة مجموعات ، كان أهمها كنيسة فيلادلفيا التى تأسست فى أوكلاهوما ، وعبرت عن التيار الرئيسى لعقيدة أرمسترونج ، ولكن أتباع أرمسترونج أصبحوا أكثر اهتمامًا بالدولة اليهودية برؤى مقاربة لرؤى التيار القومى الدينى فى إسرائيل ، وأيدوا قهر إسرائيل للفلسطينيين والغزو الإسرائيلى للبنان .

بيد أنه فى إطار منافسة «الأنجلو إسرائيلية» الأمريكية ، لليهود المعاصرين ، على الانتساب إلى إسرائيل ، رفدت «الأنجلو إسرائيلية» نفسها بالأفكار الأنثروبولوچية عن «الآدمية» أى الانتساب إلى آدم الذى تنسب إليه كل الأديان السماوية وكل السلالة البشرية . فقد كتب ريتشارد باتلر ، مؤسس كنيسة المسيحى يسوع المسيح وزعيم جماعة الأمة الآرية (فيما بعد) :

«إننا نعتقد أن الأبناء الحقيقين للكتاب المقدس ، هم أولئك الذين انحدروا من القبائل الإسرائيلية الاثنتى عشرة ، ومن ضمنهم الأنجلو ساكسون . . إن كل الأعراق لم تنحدر من آدم ، فآدم هو أب العرق الأبيض فقط» .

وإذا كان باتلر قد ميز بين أعراق آدمية وأخرى غير آدمية (أى لم تنحدر من آدم) ، إلا أن هناك من رسَّخ فكرة «ما قبل الآدمية» بمعنى أن الجنس البشرى لم ينحدر كله من آدم بل وجدت أعراق منذ ما قبل آدم .

وفكرة «ما قبل الآدمية» نشأت مع اكتشاف أمريكا فى إطار محاولة تحديد أصل القبائل التى وجدت هناك، وظهرت الفكرة عام ١٦٥٥ مع نشر كتاب إسحق لابيرير الذى حمل عنوان «ما قبل الآدمية».

ويروى الكتاب أن حياة بشرية وجدت فى زمن ما قبل آدم، وكانت حياة قتل فى ظل غياب القانون التى وصفها توماس هوبز بأنها حياة الطبيعة، ولذلك خلق الرب آدم الذى بدأ حالة القانون التى استمرت كما ورد فى تفاصيل الكتاب المقدس، ولكن سلالة ما قبل الآدمية استمر وجودها إلى جانب السلالة الآدمية (أبناء القبائل الإسرائيلية الاثنتى عشرة).

وفى ضوء ذلك، اعتبر لابيرير أن الهنود الحمر ينحدرون من السلالة ما قبل الآدمية، وأن اليهود المعاصرين قد رفضهم الرب عندما رفضوا يسوع المسيح، ولكنهم سيتحولون إلى المسيحية عندما يعود المسيح.

وبدأ رفد فكرة لابيرير عن «ما قبل الآدمية» بفكرة «القبائل الإسرائيلية» فى الولايات المتحدة منذ أوائل القرن العشرين، على يد ديفيد ديفيدسون الذى روج لفكرة لابيرير.

ونادى ديفيدسون بأن أحفاد القبائل الإسرائيلية هم الذين بنوا الهرم الأكبر، الذى تتجسد فى أحجاره رسالة الرب مثلما تتجسد تمامًا فى نصوص الكتاب المقدس. وأن أولئك الأحفاد ليسوا من تلك الأعراق قبل الآدمية ذات البشرة الداكنة!

وسار ديفيدسون على خطى لابيرير فى «أبلسة» الأعراق «ما قبل الآدمية»، وليصبح أبناء القبائل الإسرائيلية (العرق الآرى) أبناء المسيح االذين سينعمون بالخلاص، وليجسد بذلك فكرة «الآرية المسيحية». فديفيدسون، مثل لا بيرير، يرى أن الأعراق ما قبل الآدمية لا تنحدر من آدم وإنما تنحدر من «كاين» الذى كان يعيش مع زوجته فى الجنة إلى جانب آدم وحواء. وأن كاين (المنحدرمن الشيطان) ضاجع حواء التى حملت منه نسل ما قبل الآدمية. وكان من ذلك النسل قبيلة يهودا التى ينحدر منها اليهود المعاصرون، وبما يعنى أن أحفاد يهودا لا ينحدرون من القبائل الإسرائيلية الاثنتى عشرة التى جاءت من صلب آدم(٢٢).

وقد نشطت «الآرية المسيحية» فى محاولات إثبات أن اليهود المعاصرين لا ينتمون إلى القبائل الإسرائيلية، للترويج إلى أن اليهود ليسوا «الشعب المختار»، وأن شعب الرب هو الذى ينحدر من العرق الآرى.

وكان ضمن تلك المحاولات، الأدبيات التى راجت حول أن اليهود المعاصرين ينحدرون من عرق آسيوى، ويرجع أصلهم إلى قبيلة «الخزر» التى كانت تعيش فى شرقى روسيا. إذ كان من المعروف منذ العصور الوسطى أن «مملكة الخزر» تحولّت إلى اليهودية فى القرن التاسع. ولم تكن نظرية «الخزر» حكراً على الأدبيات الآرية المسيحية، بل أصبحت داخل الجدل اليهودى لتفسير أصول اليهود الإشكناز [٢٣]. وفى هذا الصدد اشتهر كتاب آرثر كوستلر الذى حمل عنوان «القبيلة الثالثة عشرة» (١٩٧٦). وفى الآونة الأخيرة نشرت دراسات لسانية ناقشت كيف أن اللغة اليديشية يرجع أصلها إلى لغة مملكة الخزر.

غير أن أهم ما تمخضت عنه نظرية الخزر، أنها قدمت رواية أخرى للتاريخ اليهودى تقول إن اليهود المعاصرين دفعتهم غزوات المغول والأتراك لأوروبا الآرية، من شرقى روسيا إلى الغرب، حيث تسببوا فى مشكلات جمة مما تسبب فى طردهم إلى پولندا وروسيا.

ويمكن القول إن الجهود النظرية لإشاعة أفكار القبائل الإسرائيلية وما قبل الآدمية والخزر، ورفد تلك الأفكار معًا، كان لإثبات أن أمريكا قبيلة إسرائيلية وأن الشعب الأمريكى هو الشعب المختار من الرب والمكلف بتنفيذ خطة الرب وتدبيراته لنهاية التاريخ بالمجيء الثانى للمسيح وبدء العصر الألفى السعيد. وقد قامت على أساس من تلك الجهود النظرية، حركة تنظيمية وجماعات عنف مسلح، حملت لافتة «الهوية الأمريكية»، وتمثلت الحركة التنظيمية فى تأسيس «كنيسة المسيحى يسوع المسيح للأمة الآرية» فى هايدن ليك - إيداهو، بمبادرة من ريتشارد باتلر، كما تأسست «منظمة بوسى كومتاتيوس» فى پورتلاند - أوريجون بمبادرة من هنرى «مايك» بيتش عضو حركة القمصان الفضية الأنجلو إسرائيلية. وأسس روبرت ماتيوس جماعة «النظام - The Order». وتشارك باتلر وماتيوس فى تأسيس تنظيم «الحرب العظمى ضد الحكومة الفيدرالية الأمريكية التى يديرها الصهاينة وتحتل أمريكا - Z.O.G»! (*). كما أسس روبرت ميللر تنظيم «ألوهيم» (الإله اليهودى)..

وبحلول تسعينيات القرن العشرين، يتضافر تيار «الهوية الأمريكية» مع تيار «الإحيائية الأصولية»، فى موجة عنف اجتاحت الولايات المتحدة، عشية الألفية الثالثة على نحو ما سنرى فى المبحث التالى.

(*) Zionism Occupied Government.

٤ - جماعات العنف والميلشيات: جيش الله وأمريكا المسيحية

مع اقتراب الألفية الثالثة، فإن موجة العنف الدينى التى ارتبطت بالإحياء الأصولى فى الأديان الرئيسية، امتدت إلى سواحل الولايات المتحدة الأمريكية. ففى عقدى الثمانينيات والتسعينيات، شهدت الولايات المتحدة هجمات على عيادات الإجهاض وعمليات قتل لأطباء وممرضين كانوا يجرون عمليات الإجهاض. كما تعرضت أمريكا لعمليات تفجير أو انتحار جماعى قامت بها ميليشيات وجماعات دينية، اعتقاداً بأن «أمريكا أمة مسيحية»، وأنها يجب أن تتهيأ للمجىء الثانى للمسيح، بدلا من قيادة العالم على أسس علمانية وحداثية ضد مشيئة الرب.

وقد قدمت الأصولية المسيحية، التبرير اللاهوتى، لنشطاء جماعات العنف المسيحية، لاستخدام وسائل العنف ضد النظام السياسى والاجتماعى (العلمانى المتداعى!) فى سبيل إحياء الرسالة المسيحية للأمة الأمريكية.

ولما كانت الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٧٨، قد قدمت نموذجًا لاستخدام العنف السياسى بدوافع دينية لإسقاط نظام سياسى واجتماعى يوصف بأنه قبل علمانى وقبل حديث، فإن موجة العنف الدينى التى شهدتها أمريكا، توصف بأنها موجة ضد علمانية ومعادية للحداثة، أو بوصف آخر موجة دينية فى نظام سياسى واجتماعى فى لحظة ما بعد العلمانية وما بعد الحداثة. فجماعات وميليشيات العنف المسيحى فى أمريكا، تعكس إدراكا دينيا لنوع من الحرب أو الصراع ضد نظام اجتماعى وسياسى، يمكن أن يكون الأسبق بين نظم العالم قاطبة عشية الألفية الثالثة، فى وصفه بأنه ما بعد علمانى وما بعد حداثى.

لقد عرف تاريخ المسيحية موجات من العنف مثل تلك التى صاحبت الصراعات المذهبية (اللاهوتية)، أو الحروب الصليبية، أو محاكم التفتيش، أو الحروب المقدسة. ولكن موجة العنف المسيحى الأخيرة فى أمريكا، بغض النظر عن مستوى العنف الذى

صاحبها، فإنها تعكس أيديولوچيا دينية (مسيحية) تستند على الإدراك بأن النظام الاجتماعى والسياسى العلمانى فى أمريكا، قد استدرج إلى مؤامرات شيطانية، محلية وعالمية، شخصية ومؤسسية، تهدد روح أمريكا (المسيحية)، وتقوّض فكرة أمريكا (أرض الميعاد أو إسرائيل الجديدة)، وتتحدى إرادة الرب التى وردت فى النبوءات التوراتية عن نهاية الزمان والمجىء الثانى للمسيح.

ومن هنا، نجد أن جماعات وميليشيات العنف المسيحى فى أمريكا، وإن تعدّدت، تقف خلفها أصولية مسيحية.

وداخل تلك الجماعات والميليشيات الأصولية المسيحية، يمكن التمييز بين تيارين أساسيين، التيار الأول، استند فى تبرير العنف الدينى لتغيير المجتمع على أساس القيم الدينية التوراتية والمسيحية. أما التيار الثانى، فيمكن أن نسميه تيار «الوطنية المسيحية الأمريكية»، أى تيار «الهوية المسيحية» لأمريكا.

وتقدم حركة «برنامج العمل الدفاعى» ومؤسسها القس مايكل براى، مثالا لمنظمات العنف المسيحى التى تستنتد على تبرير «لاهوتى» ورؤية اجتماعية للعنف.

فقد أدينت المنظمة فى جرائم مداهمة لعيادات الإجهاض وقتل لأطباء ومساعديهم يجرون عمليات الإجهاض، كما أدين مؤسسها القس اللوثرى براى فى عمليات مداهمة لعيادات الإجهاض، ولدفاعه عن استخدام الأسلحة القاتلة ضد من يجرون عمليات الإجهاض. ففى عم ١٩٨٤ قام بإحراق عيادة الإجهاض الوحيدة فى دوڤر - ديلاوير، وفى العام التالى، أحرق سبع عيادات للإجهاض فى ديلاوير وميريلاند وڤيرچينيا ومقاطعة كولومبيا، وعوقب - لذلك - بغرامة قدرها مليون دولار والسجن حتى خرج فى ١٥ من مايو عام ١٩٨٩.

وبوصفه رئيس حركة (برنامج العمل الدفاعى - Defensive Action)، يدافع القس مايكل براى عن استخدام العنف فى مواجهة ممارسة الإجهاض، وينشر براى نشرة تعد الأكثر تطرفا بين النشرات المسيحية تحت اسم «أخبار منطقة الكاپيتول المسيحية» (Capitol Area Christian News)، تتناول أخبار المنطقة التى يوجد بها الكونجرس والإدارة فى العاصمة واشنطون، وتركز على تحريم الإجهاض، والمثلية الجنسية، وما يعتبره براى حالة كلينتون المرضية فى إساءة استخدام سلطة الحكومة[٢٤].

وفى عام ١٩٩٤، دافع براى عن قيام صديقه القس پول هيل بقتل الطبيب چون بريتون

فى فلوريدا، ووضع كتاب دفاع عن تبرير قتل الأطباء الذين يقومون بعمليات الإجهاض تحت عنوان **«حان وقت القتل»**.

وتكشف السيرة الذاتية للقس براى عن خلفيته الاجتماعية والدينية، التى جعلت منه «أمير العنف» فى الثمانينيات والتسعينيات.

لقد نشأ براى - كما قال - فى أسرة كان اهتمامها بالرياضة والأنشطة الكنسية والحياة العسكرية، وكان أبوه ضابطًا بحريا، ولذلك طمح براى إلى أن يحذو خطى والده فى سلك العسكرية. وخلال تعليمه الثانوى، صادق رفيقته كاثلى لى التى أصبحت ممثلة ومقدمة برامج حوارية (Talk - Show)، ولكن براى اضطرب فى حياته العملية وترك سلك العسكرية وعاش فترة مبتذلا، ولجأ إلى الدين لحل مشكلته الوجودية، واجتذبته عقيدة «المورمون»، إلى أن عرّفته أم صديقته السابقة كاثلى بالقس بيلى جراهام، فأصبح إيڤانجيليّا، وتحول إلى «المعمدانية» (مسيحيّا ولد ثانية) ورحل إلى كلورادو ليدرس فى كلية الكتاب المقدس المعمدانية.

وعندما عاد إلى بلده «بواى» قاد انشقاقًا على الكنيسة اللوثرية المتحدة، وأسس كنيسته اللوثرية الإصلاحية عام ١٩٨٤، ثم بدأ عمليات العنف ضد عيادات الإجهاض.

وتعكس السيرة الذاتية للقس براى، اضطرابًا ذاتيّا كان فى جانب منه انعكاسًا للاضطراب الاجتماعى الذى شهدته أمريكا بعد ورطة ڤيتنام وفضيحة «ووتر جيت» والتدهور الأخلاقى والاجتماعى بنهاية السبعينيات وخلال الثمانينيات [٢٥].

وأصبح القس براى أسير فكرة أن الحكومة الفيدرالية منخرطة فى مؤامرة خطيرة للقضاء على القيم الأخلاقية والحريات الفردية، كما أصبح يرى أن المجتمع الأمريكى فى حالة تحلل مطلق جعلته ينتخب ممثلين له تحكمهم أفكار شيطانية معادية للإنسان والأخلاق، وكان يرى كلينتون ومساعديه كأنهم هتلريون فى آخر الزمان، ودفعه تصوره لـ «النازى هتلر» إلى التفكير فى العنف كرد، وقال:

إننا نعيش فى موقف يشابه موقف ألمانيا النازية عندما كانت لديها خطة خفية للحرب، وأنه إذا حدث انهيار اقتصادى أو فوضى اجتماعية فى أمريكا، فسيظهر الدور الشيطانى للحكومة الفيدرالية، وعندئذ ستظهر شجاعة وحماسة المجتمع فيرفع السلاح فى مواجهة ثورية مع الحكومة، وبعد تلك الحرب الشاملة مع الحكومة الفيدرالية - كما يقول براى - يجرى تأسيس نظام أخلاقى لأمريكا، يقوم على التعاليم والقوانين التوراتية والمسيحية وليس على المبادى العلمانية والدنيوية [٢٦].

وحتى يتأسس ذلك النظام الأخلاقى، فإن بارى والأصوليين من أمثاله، يتابعون ما يجرى فى المجتمع، ويقاومونه بشجاعة أخلاقية، وباستخدام العنف لحد القتل.

وكما يعتقد بارى، فإن مداهمة عيادات الإجهاض وقتل الأطباء ومساعديهم، هو دفاع عن حياة الأطفال الأبرياء، وتطبيق للمثالية الدينية ضد من ينتهكون القوانين الإلهية والأخلاقية (٢٧).

لقد راج تعبير «جيش الله» (Army of God) فى الميديا الأمريكية فى عامى ١٩٩٧ و١٩٩٨. ففى عام ١٩٩٧ وقع حادث تفجير عيادة نسائية تجرى فيها عمليات الإجهاض، وملهى ليلى تتردد عليه النساء المثليات، فى أتلانتا. وفى عام ١٩٩٨ تعرضت عيادة إجهاض فى برمنجهام لعملية تفجير، وأعلن «جيش الله» مسئوليته عن أحداث التفجير الثلاثة فى رسائل إلى المؤسسات الإعلامية تضمنت أن المستهدف هو الإجهاض وأنه لا يجوز التغاضى عن اغتيال ٣,٥ مليون طفل سنويا وأن جميع المشاركين فى عمليات الإجهاض سواء من الأطباء أو حراس عيادات الإجهاض أو غيرهم معرضون للقصاص من وحدات جيش الله. وتضمنت الرسائل ـ أيضا ـ نداءً صارخًا للحكومة وأجهزتها الأمنية يؤكد إعلان الحرب على «الحكومة الفيدرالية» و«النظام العالمى الجديد» ويدين المثلية الجنسية ويتعهد بمحاربة المثليين الجنسيين ومنظماتهم.

وجيش الله ليس منظمة بالمعنى التنظيمى، ولكنه حركة تضم نشطاء وجماعات، تبرر استخدام العنف الدينى وتمارسه لمقاومة النظام السياسى والاجتماعى، وهى حركة (مقاومة دون قيادة ـ Leaderless Resistance).

وبالرغم من أن قضايا عديدة تجمع نشطاء وجماعات حركة المقاومة تحت مسمى «جيش الله»، فإن الموضوع الرئيسى الذى يتمحور حوله وجود هذا الجيش هو قضية الإجهاض. وواقعيا، ظهر تعبير «جيش الله» كعنوان فرعى لكتاب «٩٩ وسيلة لمواجهة الإجهاض»، الذى كشف النقاب عن ثلاث طبعات له تعود إلى عام ١٩٩٢. ويستعرض الكتاب ٩٩ وسيلة لمقاومة الإجهاض، تتراوح بين تفجير المنشآت والقتل، ويقدم التفاصيل الدقيقة لتحضير المتفجرات وكيفية الحصول على مكوناتها، ولذلك فإن الكتاب هو دليل حركى لجيش الله على أساس عقيدى هو الإنقاذ الروحى المسيحى لأمريكا.

بيد أن تشبيه الحكومة الفيدرالية بالنازية ذات أجندة الحرب الخفية، قد وظف فى التبرير اللاهوتى لرفع السلاح فى وجه الحكومة لتأسيس نظام أخلاقى جديد. ففكرة رفع السلاح

واستخدام العنف أو القتل ضد النازى، تعود للاهوتى الألمانى القس ديتريش بنهوفر الذى عاش فى نيويورك قبل العودة إلى ألمانيا للمشاركة فى محاولة لاغتيال هتلر، ولكن المحاولة انكشفت وشنق النازيون بنهوفر قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية. إلا أن الكتابات اللاهوتية لبنهوفر الخاصة بالتبرير الدينى للعنف ظلت حية لدى الأصوليين المسيحيين لتسويغ استخدام العنف، ولدى زملائه فى معهد الاتحاد اللاهوتى فى نيويورك. وكان ضمن أولئك اللاهوتيين البروتستانت رينولد نيبور الذى يعد أحد أهم اللاهوتيين الأمريكيين فى القرن العشرين.

فقد برر نيبور استخدام القوة حتى العنف فى الحركة من أجل العدل، وأكد على الترابط بين نظرية الحرب العادلة والصراعات الاجتماعية فى القرن العشرين، إذ ربط بين فكرة الحرب العادلة عند شيشرون التى طورها أوغسطين بما اعتبرها المتطلبات المسيحية لتحقيق العدل الاجتماعى [٢٨]. وكان نيبور يعتقد أن المتطلبات الأخلاقية المسيحية غير كافية لإزالة المظالم الاجتماعية، خاصة إذا كانت خاضعة لسلطة مؤسسية أو حكومية[٢٩]، وفى مقاله «لماذا ليست الكنيسة المسيحية مسالمة؟» شرح أنه كان من الضرورى فى بعض الأزمنة إباحة العنف من أجل الوصول إلى حلول بالقوة، وقال إن القوة / الحق كانت ضرورية فى بعض الأوقات لمنع الظلم وقهر الشيطان فى عالم غارق فى الخطيئة، وإن اللجوء إلى أعمال العنف قد منع عنفا أشد ومظالم أكبر، واعتبر أن العنف إذا استخدم فى مثل تلك الظروف، فيجب أن يستخدم محدداً وخاطفاً وبمهارة مثل استخدام مبضع الجراح [٣٠].

لقد استمد الأصوليون الجدد التبرير للعنف من بنهوفر ونيبور، فإذا كان بنهوفر برر العنف الدينى ضد النازية، فإن الأصوليين شبهوا أمريكا الديمقراطية بألمانيا النازية وبما يبرر العنف لحد الاغتيال.

وإذا كان نيبور قد برر العنف لمنع الظلم وقهر الشيطان والخطيئة، فإن الأصوليين اعتبروا أن المجتمع الأمريكى متورط فى مؤامرة شيطانية ترسخ الظلم والفساد والخطيئة، ولذلك فإن استخدام القوة والعنف هو الذى يطيح بذلك النظام الاجتماعى والسياسى غير الأخلاقى لإرساء نظام أخلاقى مسيحى.

وفى حين أن نيبور فى تبريره للعنف الدينى، اعتبر السبب والنتيجة «الهدف» أخلاقيين، أى استخدام العنف بسبب المفاسد الأخلاقية وبهدف الوصول إلى مجتمع أخلاقى، فإنه لم يدمج الفضاء السياسى فى الفضاء الاجتماعى، بمعنى أنه ترك ما لقيصر

لقيصر. إلا أن الأصوليين الجدد لم يدعوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر، فهم يرون أن سبب اللجوء إلى العنف هو قوانين السياسة العلمانية التى تفسد المجتمع، وأن الهدف من العنف المقدس هو تطبيق قوانين الرب التوراتية والمسيحية لإصلاح المجتمع.

وقد استندت جماعات وميليشيات العنف المسيحى على لاهوت الإحيائية الأصولية Reconstruction Theology، الذى ارتكز على الاعتقاد بأنه يجب على المسيحية أن تعيد حاكمية الرب فى كل المسائل بما فى ذلك السياسة والمجتمع العلمانيين.

وتقوم الإحيائية الأصولية على فكرة أنه على الأفراد أن يمتثلوا لإرادة الرب فى كل أمر يتعلق بحياتهم وفى نوع الحكومة التى يختارونها. ويعتقد الإحيائيون الأصوليون أنهم فقط يملكون التفسير الصحيح والنقى لما يريد الرب، كما يعتقدون أن العهد القديم يتضمن الخطة الصالحة لإقامة مجتمع مثالى، ويتطلب ذلك إقامة حكم يتبنى تنفيذ تعاليم العهد القديم بقوة القوانين ولو تطلب الأمر إحراق مجتمع المفسدين والكفار والعلمانيين لإقرار حاكمية الرب.

وقد تأثرت الحركة المسيحية المعادية للإجهاض بالأفكار المسيطرة على «الإحيائية الأصولية»، وعبر عن ذلك مؤسس منظمة «عملية إنقاذ» - وهى التى قامت بعمليات هجوم على عيادات الإجهاض - راندال تيرى، فذكر فى «مانفيستو للكنيسة المسيحية» (Manifesto for the Christian Church) أن أمريكا يجب أن تتصرف باعتبارها «أمة مسيحية»، وعارض المانفيستو «الشياطين الأخلاقية الاجتماعية» فى «المجتمع العلمانى» مثل الإجهاض تحت الطلب، العهر، المثلية الجنسية، الترفيه الجنسى، اغتصاب الدولة لحقوق الآباء والحريات التى منحها إياهم الرب، والسرقة الجماعية التى تمارسها الدولة من المواطنين من خلال تخفيض قيمة أموالهم، وإعادة توزيع ثرواتهم، ونظرية التطور التى تدرسها فى المدارس باعتبارها وجهة النظر الوحيدة [٣١].

إن حركة الإحيائية الأصولية، استمدت أفكارها من اللاهوتى كورنلوس فان تل الأستاذ بمعهد برينستون اللاهوتى، الذى رجع بدوره إلى أفكار اللاهوتى البروتستانتى البيوريتانى فى القرن السادس عشر چون كالڤين، حول استعادة سلطة الرب فى كل شئون العالم.

وقد حمل أفكار فان تل أتباعه مثل جريج باهنسن وروساس چون راشدونى وجارى نورث، وطوروا من تلك الأفكار مذهبا دينيا «الإحيائية الأصولية» ونظروا لدور الدين فى الحياة السياسية.

وأعاد الإحيائيون الأصوليون قراءة التاريخ الأمريكى، بمعارضة التأثر البالغ بأفكار التنوير فى التجربة الأمريكية، وبالاعتقاد بأنه كان من الضرورى إحياء المجتمع المسيحى فى أمريكا، بالعودة إلى الكتاب المقدس كأساس للنظام القانونى والاجتماعى.

ولنشر آرائهم، أسس الإحيائيون الأصوليون معهد الاقتصادات المسيحية (Institute for Christian Economics) فى تايلور ـ تكساس، ونشروا سيلا من الأدبيات اللاهوتية لإعادة تأسيس الأفكار المسيحية داخل الحياة الاقتصادية والقانونية والاجتماعية فى أمريكا.

ووفقًا لأبرز كتابهم جارى نورث، فإنه واجب أخلاقى على المسيحيين أن يستعيدوا السيطرة على كل مؤسسة من أجل يسوع المسيح، وذلك التزام خاص على مسيحيى الولايات المتحدة حيث يُشرع القانون العلمانى من خلال المحكمة العليا، ويُدافع عنه من سياسيين ليبراليين[٣٢] ويقول كاتب آخر (راشدونى) إن السياسيين الأمريكيين قرروا وجهة غير مسيحية، خصوصًا فيما يتعلق بقضيتى الإجهاض والمثلية الجنسية.

بيد أن ما يطلبه الإحيائيون الأصوليون أكبر من رفض العلمانية، إلى حد اعتبار أن الشعب الأمريكى هو الشعب المختار الجديد الذى عاهد الرب على بسط سلطته على العالم[٣٣].

ويعتقد الإحيائيون الأصوليون بـ «الألفية»، ولكن بمعنى أن المجىء الثانى للمسيح لن يتحقق إلا بعد ألف عام من الحكم المسيحى. ولذلك، فإنه على المسيحيين التزام تهيئة الظروف الاجتماعية والسياسية التى تجعل عودة المسيح ممكنة.

ومن هنا، فإن جماعات وميليشيات العنف المسيحى، وقيادتها مثل مايكل براى وراندال تيرى، تضع نفسها فى وضع معاد للمؤسسة العلمانية والمجتمع العلمانى، وأنها من الممكن فى ظروف محددة أن تطيح بالمؤسسة العلمانية ولو فى عدد من الولايات وتعيد تأسيس المجتمع على مبادئ «الإحياء الأصولى» المسيحى، انتظارًا لعودة المسيح.

ولئن كان تيار «الإحياء الأصولى» قد استند فى تبرير العنف الدينى على أساس أصولى توراتى مسيحى، فإن تيار الوطنية المسيحية الأمريكية، كانت دوافعه للعنف الدينى هى أفكار «الهوية المسيحية».

ففى عام ١٩٩٨، وزع مكتب التحقيقات الفيدرالى نشرات عن شخص يدعى إريك روبرت رادولف، مطلوب فى جرائم تفجير عيادات إجهاض فى برمنجهام ـ ألاباما،

وأتلانتا ـ چورچيا، ونسف بار للواطيين فى أتلانتا وتفجير قنبلة فى أولمبياد أتلانتا عام ١٩٩٦ . وكانت أفكار «الهوية المسيحية» هى الدافع لقيام رادولف بأعمال العنف السابقة .

كما تقف أفكار «الهوية المسيحية»، وراء حركات مثل «النظام» و«الأمة الآرية»، و«كنيسة أرمسترونج العالمية للرب»، و«مجمع الرجل الحر». كما شاعت أفكار «الهوية المسيحية» فى حركات الميليشيات المسلحة، فى الولايات المتحدة، وشغلت تلك الأفكار حيزاً من تفكير تيموثى ماكفى ـ عضو ميليشيا ميتشجان ـ الذى قام بتفجير المبنى الفيدرالى فى أوكلاهوما عام ١٩٩٥ . وثبت أن ماكفى كان تربطه علاقات بجماعات وميليشيات الهوية الأمريكية ومعسكرات الهوية الآمريكية فى «ألوهيم سيتى» على الحدود بين أركنساس وأوكلاهوما، كما تأثر ماكفى بكتاب «مذكرات تيرنر» الذى ألفه ويليام بيرس تحت اسم مستعار هو «آندرو ماكدونالد». والكتاب عبارة عن كراس روائى سياسى، يصف فيه مؤلفه مجموعة صغيرة من الأشخاص الملتزمين الذين ينفذون عمليات تفجير ذات دوافع سياسية ضد منشآت فيدرالية، وبين تلك العمليات هجوم بقنبلة مصنعة من أسمدة كيميائية ضد مقر مكتب التحقيقات الفيدرالى فى واشنطن، وهو يشبه فى صورة ملفتة حادث تفجير المبنى الفيدرالى فى أوكلاهوما. وقد وجدت نسخة من الكتاب فى سيارة ماكفى لدى القبض عليه، وبينت التحقيقات أنه قام بتوزيع أعداد من نسخ الكتاب . ومؤلف الكتاب ويليام بيرس، حصل على الدكتوراه من جامعة كلورادو وقام بتدريس الفيزياء فى جامعة ولاية أوريجون، وخدم لفترة فى الحزب النازى(*) الأمريكى، وفى عام ١٩٨٤ قدم نفسه على أنه مؤسس جماعة دينية .

ولا يعتقد بيرس وغيره من قيادات جماعات الهوية والميلشيات فى الكنائس المسيحية العادية باعتبارها ليبرالية، ويعتقدون بأن هناك مؤامرة كونية يشارك فيها اليهود للإطاحة بالكنيسة المسيحية، بالرغم من أن كثيراً من تلك الجماعات والميليشيات تعتبر العرق الأنجلو ساكسونى، من أصل القبائل الإسرائيلية الاثنتى عشرة، حسبما ورد فى كتاب چون ويلسون «محاضرات فى أصلنا الإسرائيلى»(٣٤) .

وتكشف متابعة التقارير والإعلانات التى تصدر عن الميليشيات عن أفكار الهوية باعتبارها الأساس النظرى والأيديولوچى لحركاتها ونشاطاتها .

(*) حزب أمريكى يروج لسمو الجنس الآرى ويعادى الزنوج واليهود وغير البيض المسيحيين .

وفى مايو عام ١٩٩٤، أصدرت «شبكة مونتانا لحقوق الإنسان» وهى منظمة تتابع أنشطة الميلشيات فى الولايات الغربية ـ تقريراً مفصلا عن «ميليشيا مونتانا» وهى بين أقدم الميليشيات فى الولايات المتحدة. ويصف قادة الميليشيا أنفسهم بأنهم «دستوريون» و«مسيحيون وطنيون» وقد أسس التنظيم چون وراندى تروكمان وهما من غلاة الهوية الوطنية المتعصبة، وينشران تقارير عن قدوم القوات الفيدرالية والأجنبية لاستعباد الشعب الأمريكى.

وتعتقد الميليشيا أن الدستور الأمريكى جاء بإلهام إلهى، وأنه لا قانون فى الولايات المتحدة سوى لائحة الحقوق (التعديلات الدستورية الأولى)، أما باقى التعديلات فلا يعترفون بها. وحسب هذا الاعتقاد، يعتبر المسيحيون البيض وحدهم هم المواطنين العضويين الذين وهبهم الله حقوقهم حسب الدستور ولائحة الحقوق، أما كل المواطنين الآخرين، فيضمن حقوقهم التعديل الدستورى الرابع عشر فقط، الذى ليس قانونًا إلهيًا، وإنما قانون بشرى.

أما ميلشيا ميتشجان، فقد أعلنت قبل حادث تفجير المبنى الفيدرالى فى أوكلاهوما أن الأمم المتحدة بمشاركة الروس ستقود هجومًا على الشعب الأمريكى لإخضاعه لإدارة حكومة تسيطر على العالم كله. وتشكل فكرة المؤامرة الكونية على الشعب الأمريكى لمصلحة حكومة عالمية تديرها الأمم المتحدة، فكرة رئيسية فى دعاية الميليشيات. وكما أن أفكار الهوية المسيحية الأمريكية تشكل أساسًا نظريًا للميليشيات، فإنها ـ أيضا ـ كانت وراء تنظيمات وجماعات، ومن تلك التنظيمات، تنظيم «الأمة الآرية» وهى جماعة نازية جديدة تركز على الهوية المسيحية وتتمركز قرب بحيرة هايدن فى إيداهو، وتعتقد أن الأنجلو ساكسون هم شعب الله المختار.

وهناك حركة «باتريوت» (الوطنى) فى شمال إيداهو، وهى أيضا تنظيم ذو طابع مسيحى ومناهض للحكومة على أساس أفكار الهوية، ويعتقد بعض أنصاره أن مرض «الإيدز» جزء من مؤامرة فيدرالية لكبح نمو الشعب الأمريكى. وتتبنى جماعة «الأخوية» مواقف مماثلة لحركة باتريوت إلا أنها أكثر عنفًا، وتعتبر متوقفة عن النشاط حاليًا لأن كثيراً من أعضائها فى السجن. كما تواصل حركة «فرسان الكوكلوكس كلان» نشاطها العنصرى المتعصب للمسيحيْين البيض إزاء اليهود والسود وغير البيض[٣٥].

الفصل السابع

الرسالة الصليبية العالمية

«إن الشعب الأمريكى هو الشعب المختار الجديد الذى عاهد الرب على بسط سلطته على العالم..»

اللاهوتى والسياسى روساس راشدونى

«إن مصر والسودان وإيران والسعودية وپاكستان هى الدول الأكثر اضطهاداً للمسيحيين.. كما أن الإسلام مثل الشيوعية فى اضطهاد المسيحيين»

نيناشيا ـ منظمة «بيت الحرية»

١ ـ «لوبى المسيح» والسياسة الخارجية

منذ أن بدأ المشروع الأمريكى، اعتبر الأمريكيون أنفسهم شعب الله المختار (الجديد)، وأن بلدهم أعظم صدقة تصدق بها الرب على العالم.

ولئن كان الأمريكيون الأوائل (المستوطنون)، قد اعتبروا أمريكا (أرض الميعاد)، فإنهم منذ عام ١٨٤٥، أطلقوا فكرة «المصير المبين» التى صاغها چون أو سوليفان، بمعنى أن الرب قدر لأمريكا أن تقود العالم إلى الحرية. وهذا الاعتقاد الرسولى بالمصير المبين لأمريكا، بَرَّر غزو المستوطنين لأراضى الهنود الحمر، واستعباد الزنوج، كما برر ضم تكساس ونيومكسيكو وكاليفورنيا ولويزيانا وفلوريدا وغيرها.

وباكتمال غزو أمريكا ـ إلى الساحل الغربى ـ مع نهاية القرن التاسع عشر، تحول الأمريكيون لاستعمار شعوب أخرى. فكان ضم آلاسكا ثم هاواى وجويام والفليپين وپورتريكو.

لقد انطلق المشروع الأمريكى فى فتح أمريكا ثم التوسع فى العالم، باندفاعتين: أولاهما اندفاعة العقلانية التنويرية بمفاهيمها العالمية، وثانيتهما الاندفاعة الدينية لتحضير العالم للمجىء الثانى للمسيح.

الاندفاعة الأولى، دفعت أمريكا باتجاه الداروينية الاجتماعية أو الإمبريالية التقدمية، أو هكذا قيل.

والاندفاعة الثانية، حولت أمريكا من «أرض ميعاد» إلى «دولة صليبية»[1](*).

وعبَّر عن ذلك فولبرايت بقوله: «إن تغير السياسة الخارجية الأمريكية هو تعبير عن جانبين بارزين فى الشخصية الأمريكية، كليهما تعبير عن أخلاقية ما. إحداهما أخلاقية

(*) راجع والتر ماكدوجال، «الدولة الصليبية وأرض الميعاد»، ترجمة رضا هلال، نشرته دار الشروق عام ٢٠٠٠.

الاعتراف بالنقص الإنسانى (وبالتالى عدم محاولة تغيير العالم) ، والثانية أخلاقية الثقة بالكمال الإنسانى التى أشعلتها الروح الصليبية»[٢] .

وذلك أيضًا ماعبر عنه هنرى كيسنجر بـ "ازدواجية الواقعية والمثالية" فى السياسة الأمريكية .

ومن ثم ، فإنه كما أن للدين دورًا فى السياسة الداخلية ، فإن له دورًا فى السياسة الخارجية الأمريكية (الرسالة الصليبية) .

وقد بدأت الرسالة الصليبية العالمية ، بمحاولة تحويل جزر هاواى إلى المسيحية الإيڤانجيلية عام ١٨١٩ . والشىء نفسه تكرر مع الفليپين ، عندما أعلن الرئيس ماكنلى أن «أمريكا ستعلم الفليپينين وترقيهم وتحولهم إلى المسيحية ، فمن أجلهم أيضًا مات المسيح» .

ولما قيل له إن الفليپينين مسيحيون ، أجاب فلنحولهم إلى الپروتستانتية .

ووُصفت محاولة الرئيس ويلسون بإنشاء عصبة الأمم بأنها «أضخم حملة صليبية منذ أن بعث السيد المسيح بحوارييه الاثنى عشر لتعليم الأخوة الإنسانية» .

واعتبر الرئيس ترومان أن الشيوعية تناصب القيم الروحية العداء . . ثم قال : إن الحرب العالمية الثانية هى حرب بين الإيمان والمادية أساسا .

وإلى اليابان وصل الچنرال ماك آرثر بعد ضربها بالقنبلة الذرية ، بأچندة كان ضمنها تحويل اليابانيين إلى المسيحية[٣] .

ولئن كان من الملاحظ أن «اليمين المسيحى» قد ظهر من خلال «أچندة داخلية» تركز على القيم الأخلاقية المسيحية ، فإن المواجهة مع الشيوعية وفرت له الفرصة التاريخية للتحول إلى تيار شعبى . وكان ضمن منظمات اليمين المسيحى المبكرة التى تشكلت فى إطار معارضة سياسات «الصفقة الجديدة» عام ١٩٣٧ «عصبة الكنيسة» . فمن خلال نشرتها الأسبوعية News and Views ، اعتبرت السياسة الاجتماعية التى طرحها الرئيس روزڤلت من خلال «الصفقة الجديدة» سياسات شيوعية . وعندما ثار النقاش حول مشاركة أمريكا فى الحرب العالمية الثانية ، اعتبرت «عصبة الكنيسة» أن الشيوعية أخطر تهديدًا من الفاشية .

وفى عام ١٩٤٢ ، تشكلت الجمعية الوطنية الإيڤانجيلية ، التى جعلت من معاداة الشيوعية البيئة المواتية لكى تتحول الحركة الأصولية إلى حركة شعبية .

وبعد الحرب العالمية الثانية، اتخذت الجمعية الوطنية الإيڤانجيلية خطًا أيديولوچيًا يتفق مع الإجماع القومى على معاداة الشيوعية. وكوّنت بعد ذلك «اتحاد المذيعين الدينيين» الذى ضم ١٥٠ واعظًا إيڤانجيليًا، وبدأ منذ عام ١٩٥٦ مؤتمره السنوى، وأحيانًا كان الرئيس الأمريكى بنفسه يحضر المؤتمر السنوى. ثم أسس الإيڤانجيليون إرساليات للتبشير مثل منظمة «شبان المسيح». وكان ضمن نشاط تلك الإرساليات مواجهة الشيوعية فى الأمريكتين.

كما ساندت الجمعية الوطنية للإيڤانجيليين السناتور چوزيف مكارثى فى الحملة التى قادها من خلال لجنة مجلس النواب للأنشطة المعادية لأمريكا، حيث دافعت عن تحقيقات اللجنة داخل الكنائس مع رجال الدين الذين اتهموا بمناصرة الشيوعية. ومع بداية الستينيات، أصبح للإيڤانجيلية برامجها المعادية للشيوعية، مثل برنامج العمل الإيڤانجيلى المتحد، الذى كان يصدر سلسلة دراسات شهرية ومطبوعات وأفلام ويعقد مؤتمرات فى إطار معاداة الشيوعية.

ومع الإحياء الدينى، فى السبعينيات، أصبح العالم أمام حقيقة أن المتشددين المسيحيين الأمريكيين لن تتوقف «الأچندة» الخاصة بهم عند حد. فلم تعد «الأچندة» داخلية تركز على صون القيم الأخلاقية التقليدية المسيحية. ولم يتوقف المتشددون المسيحيون الأمريكيون عند التبشير ومعاداة الشيوعية خارجيا. فقد أصبحوا «لوبى المسيح» فى السياسة الخارجية. إذ انخرطوا بشكل فعّال ومتعاظم فى جهود للتأثير بشكل موسع فى سياسات الولايات المتحدة، بما فى ذلك السياسة تجاه إسرائيل، وضبط التسلح، والدفاع، وقروض صندوق النقد الدولى، والأمم المتحدة، والتجارة العالمية.

وفى كل تلك المسائل، يستعير «اليمين المسيحى» مواقفه من حلفائه فى «اليمين الجديد» أو «حركة المحافظين» ممثلا فى منظمات مثل مؤسسة هيرتيج«Heritage Foundation» (مركز التفكير المحافظ دومًا)، ومثل مؤسسة الكونجرس الحر « Free Congress Foundation» الذى يضم شبكة مراكز على المستوى القومى(٥).

وتمثل دوافع انخراط «اليمين المسيحى» فى الشئون العالمية، الدوافع نفسها التى تحركه فى المسائل الداخلية «الأچندة» المحلية، وهى: القضاء على الثقة بالحكومة العلمانية، ومعارضة أى تهديد يمس «قيم العائلة التقليدية»، والتصميم على الدعوة إلى ممارسة معتقداتهم دون أى تدخل أو قيود.

والأهم من كل ذلك، دحض مقولة أن «العولمة» ستحقق النبوءات التوراتية حول المجيء الثاني للمسيح وقيامة هرمجدون. إذ إنهم كمسيحيين پروتستانت متشددين «إيڤانجيليين»، يعلنون عن نيتهم بأن رسالتهم التحضير للمجيء الثاني للمسيح.

وكما يثير صعود قوة اليمين المسيحي في السياسة الداخلية، اعتراضات من قطاعات ليبرالية وعلمانية وإنسانية في الرأي العام الأمريكي، فإن الدور المتزايد لليمين المسيحي في السياسة الخارجية الأمريكية، يثير اعتراضات مسلمين ومسيحيين في الشرق الأوسط، كما يثير الصينيين والروس. فالرأي العام الأمريكي يرى أن صعود اليمين المسيحي هو خطر داهم على مبدإ الفصل بين الكنيسة والدولة، وعلى حريات الأمريكيين بمحاولة تشريع الأخلاق باسم الدفاع عن «قيم العائلة». والمسلمون والصينيون والروس، يرون أن اليمين المسيحي يدفع الولايات المتحدة للتدخل في شئون بلادهم ولتهديد ثقافاتهم تحت مسمى «حماية الحرية الدينية».

ولكن، وبعد مرور ربع قرن من صعود اليمين المسيحي في الولايات المتحدة، تظل حقيقة واضحة هي أن أي تحليل للسياسة الأمريكية الداخلية والخارجية، في المدى القصير أو المدى الطويل، لابد وأن يأخذ في الاعتبار أن اليمين المسيحي قد أصبح جزءاً ماثلا ومهمًا في المشهد الاجتماعي والسياسي الأمريكي.

لقد أصبحت «الإيڤانجيلية الپروتستانتية» قوة مؤثرة في السياسة الأمريكية، إذ يمثل الإيڤانجيليون الپروتستانت البيض ٢٥٪ من القوة التصويتية المسجلة أي عشرة أضعاف أصوات اليهود و٤ أضعاف غير المتدينين و٣ أضعاف الزنوج المسيحيين. والمؤشر المهم أنهم الأعلى تعليمًا ودخلا ووظيفة بين الأمريكيين. وقد احتلوا ٣١من مقاعد الحزب الجمهوري في الكونجرس في انتخابات ١٩٩٤[٦].

وقد أظهرنا في مقام سابق كيف تصاعد نفوذ اليمين المسيحي بتحالفه مع اليمين الجمهوري. كما أظهرنا تزايد وتعاظم منظماته مثل «الائتلاف المسيحي» و«التركيز على العائلة» و«الاهتمام بالمرأة من أجل أمريكا» و«جمعية العائلة الأمريكية»..

وترتبط تلك المنظمات بجماعات حليفة تعارض الإجهاض وحقوق اللواطيين والسحاقيات، وتقدم مساعدات للآباء لإرسال أبنائهم إلى مدارس دينية خاصة، وتحشد التجمعات لمناصرة قضاياها.

كما تجتمع قيادات هذه المنظمات في اجتماعات لدى (مجلس السياسة القومية Council for National Policy) الذي تضم عضويته رؤساء المؤسسات الإعلامية

المسموعة والمرئية والمكتوبة، وقيادات من الكونجرس مثل ديك آرمى (جمهورى - تكساس) وتوم ديلاى (جمهورى - تكساس) والسناتور ترينت لوت (جمهورى - مسيسيپى) وچيسى هيلمز (جمهورى - نورث كارولينا)، إضافة إلى حركيين وأيديولوچيين مثل أوليڤر نورث وپول ويرتش، علاوة على أعضاء من «الإحيائيين» الذى يطالبون بإحياء المجتمع على أساس القانون التوراتى، بما فى ذلك فرض عقوبات الرجم والجلد على من ينتهكون المحرمات التوراتية مثل الزنا واللواط والسحاق والإلحاد والهرطقة.

وتمارس قيادات اليمين المسيحى تأثيراً كبيراً فى المجتمع بالتمكن من التنظيم والتكنولوچيا. فروبرتسون ودوبسون والعديد من الوعاظ يصلون بمواعظهم الإذاعية والتليڤزيونية إلى الملايين يوميّا. وتستخدم منظمات اليمين المسيحى الكمپيوتر والإنترنت فى مخاطبة الملايين، وجمع الأموال، والضغط على أعضاء الكونجرس بالرسائل البريدية والإلكترونية والتليفون للتصويت لصالح قضايا «الأچندة» الخاصة بهم.

ولقيادات اليمين المسيحى قدرة تنظيمية عالية فى تحديد الدوائر الانتخابية وتأسيس المنظمات وإقامة شبكات الاتصال، والتقدم ببرامج ومرشحين للمنافسة على مقاعد الكونجرس.

وتعتبر قدرة منظمات اليمين المسيحى على الحشد والضغط، فريدة فى السياسة الأمريكية. فالمنظمات الأخرى إما تكتفى بالوجود فى واشنطن أو توجد فى مناطق ممتدة، ولكن منظمات اليمين المسيحى تجمع بين التحركين. إذ ترتبط بشبكة اتصال كثيفة بين الكنائس الإيڤانجيلية والخمسينية، ويستطيع أفرادها عبر وسائط عديدة مثل منابر الوعظ والمطبوعات ومواقع الإنترنت والبريد ووسائل الإعلام الجماهيرى نقل أى رسالة لاهوتية أو سياسية. **وفى الولايات المتحدة، وحدها، ٢٠٠ محطة تليڤزيونية مسيحية و١٥٠٠ محطة راديو مسيحية معظمها إيڤانجيلية، وتبث برامج لقادة اليمين المسيحى ومؤيديهم. أما على المستوى العالمى، فإن برنامج بات روبرستون نادى الـ ٧٠٠، يتجاوز عدد مشاهديه يوميا المليون مشاهد كما أن شبكته التليڤزيونية CBN تغطى برامجها ٦٠ دولة بأكثر من ٤٠ لغة. وتنفق منظمة چيمس دوبسون «التركيز على العائلة» ١١٤ مليون دولار سنويا على ثمانى برامج بث إذاعى تصل إلى ٥ ملايين مستمع أسبوعيا. وتصل «جمعية العائلة الأمريكية» ومنظمة «الاهتمام بالمرأة من أجل أمريكا» إلى مئات الآلاف من المستمعين لبرامج بث إذاعى لمدة نصف الساعة يوميًا.**

ولئن كان «اليمين المسيحى» قد أصيب بخيبة أمل، خلال إدارة ريجان لأنها لم تشرع «الأچندة» الخاصة بهم فى القضايا المحلية، التى ساندوا ترشيح ريجان من أجل تشريعها، فإن قادته قد ساندوا «أچندة» ريجان المحافظ فى القضايا الاقتصادية والسياسية الخارجية. إذ كان من الطبيعى أن يقفوا إلى جانب ريجان فى موقفه المتشدد ضد الشيوعية (الشريرة). وقدَّم قادة اليمين المسيحى الدعم المالى والأيديولوچى للقوى المعادية للشيوعية فى السلڤادور وجواتيمالا وهندوراس ونيكاراجوا.

وتبرعت شبكة روبرتسون التليڤزيونية CBN بملايين الدولارات لجماعة الكونترا المدعومة من الولايات المتحدة والمعادية للشيوعية فى نيكاراجوا وهندوراس. كما دعم روبرتسون فى جواتيمالا الديكتاتور (المسيحى الخمسينى) الچنرال ريوس مونت، الذى قتل نظامه آلاف المدنيين من المشتبه فى أنهم كانوا شيوعيين.

أما القس چيرى فالويل ومعه العديد من الوعاظ التليڤزيونيين، فقد دافعوا عن نظام التمييز العنصرى فى جنوب إفريقيا، بادعاء أنه جرى تشويه صورته فى وسائل الإعلام الليبرالية، وباعتبار أن المؤتمر الوطنى الإفريقى دمية سوڤييتية.

وأقام روبرتسون روابط قوية مع ديكتاتور زائير الفاسد موبوتو سى سيكو، وعقد معه صفقات للتنجيم عن الماس لتمويل شركته «مؤسسة التنمية الإفريقية».

ونظمَّ چيرى فالويل زعيم «الأغلبية الأخلاقية»، حملات دعم لإسرائيل داخل الولايات المتحدة ورحلات للأمريكيين لزيارة إسرائيل. وأقام بات روبرتسون مؤسس شبكة CBN محطة تليڤزيونية (الأمل) فى جنوبى لبنان الذى تحتله إسرائيل، ومحطة METV لخدمة إسرائيل والتبشير فى الشرق الأوسط، بالإضافة إلى المنظمات المسيحية الصهيونية (الواردة فى الفصل الرابع من الكتاب) التى تركز أنشطتها فى الضغط من أجل الدعم الأمريكى لإسرائيل[٧].

لقد تزايدت قوة وتأثير «اليمين المسيحى» بتحالفه مع «اليمين الجديد» فى الحزب الجمهورى، الذى سيطر على مجلسى الكونجرس بعد عام ١٩٩٤. وحاول استغلال تلك القوة فى تشكيل السياسة الخارجية للولايات المتحدة وتوسيع نطاق «الأچندة العالمية» له. فاليمين المسيحى شارك اليمين الجديد فى الهجوم على الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولى وتشجيع اتفاقية التجارة الحرة لشمالى أمريكا ونظم الدفاع الصاروخى. كما أن التحالف المسيحى اليمينى قد تشارك فى تفضيل السوق الحرة والحكومة المحدودة والإنفاق على

الدفاع، والسيادة القومية، إضافة إلى تحطيم رئاسة الرئيس كلينتون. وتبنى اليمين المسيحى قضايا خارجية تخدم أجندته المحلية بمعارضة أى سياسة خارجية من شأنها اقتراح إضعاف سلطة الآباء على أبنائهم أو تسهيل الإجهاض أو توسيع حقوق اللواطيين والسحاقيات أو التقليل من دور الأمهات وربات البيوت.

ففى عام ١٩٩٨، حاول التحالف المسيحى اليمينى فى مجلس النواب إيقاف تمويل صندوق النقد الدولى بحوالى ١٨ مليار دولار، لأن قروض الصندوق تتوجه إلى دول ومنظمات تنظر إلى الإجهاض على أنه وسيلة لتنظيم الأسرة والحد من النسل. كما كانت الأمم المتحدة هدفا لهجمات اليمين المسيحى حيث هوجم مؤتمر الأمم المتحدة العالمى للمرأة فى بكين عام ١٩٩٥، لأنه - فى نظرهم - ألقى الضوء على الحرية الجنسية ولم يكن منصفًا للزواج والأمومة، وشجّع المثلية الجنسية.

كما انتقد اليمين المسيحى معاهدة الأمم المتحدة لحقوق الطفل، لأنها - بنظرهم - تؤمّن للأطفال الوصول إلى صور العرى، وتوفر لوسائل الإعلام بيئة مواتية لعرض مواد جنسية على الأطفال دون إذن آبائهم. وجاء فى أحد أوراق «مجلس العائلة الأمريكية» أن تلك الحضارة تهدد العلاقة المقدسة بين الآباء والأبناء، بل إنها تهدد أفضل ما فى الحضارة المسيحية لتحل محلها إمبراطورية الشر الفوضوية الضارة.

ونظر اليمين المسيحى إلى الأمم المتحدة كتهديد لـ«العائلة الأمريكية» وآلية تسمح للنخبة العلمانية بتهديد القيم العائلية فى العالم بأسره. واعتبر برامج الأمم المتحدة التى تسمح بالإجهاض والحد من النسل وتنظيم الأسرة، شكلا من «الإمبريالية السكانية» التى تطالب بـ«عولمة أيديولوچية الممارسة الجنسية الآمنة». . وصنّف اليمين المسيحى الإجهاض بأنه تعبير عن النفاق من أمة تدعى أنها تساند الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى حين أنها تُنهى حياة أطفال قبل أن يولدوا «وهم الأعضاء الأضعف فى الأسرة الإنسانية». وأكد اليمين المسيحى على أن دعم أمريكا لمثل تلك المبادرات تضعها فى وضع «عدائى» مع بقية العالم. وحذر پاتريك بوكنان المرشح للرئاسة وحليف اليمين المسيحى من أن مثل تلك «الإمبريالية الأخلاقية» ستضر بسمعة أمريكا فى الدول الكاثوليكية فى أمريكا اللاتينية والمجتمعات التقليدية فى إفريقيا وتصب فى مصلحة المتطرفين الإسلاميين الذين قد اعتبروا أمريكا الشيطان الأكبر للعالم الإسلامى(٨).

وقد كان للحملة ضد الأمم المتحدة تأثيرها. فأمام هجوم اليمين المسيحى لم تساهم أمريكا فى صندوق الأمم المتحدة للسكان عام ١٩٩٨، بما هدد برامج الصندوق التى تموّل

وسائل منع الحمل لحوالى ٥ , ١ مليون امرأة فى ١٥ دولة. كما أن متأخرات أمريكا لميزانية الأمم المتحدة التى جاوزت المليار دولار، ظلت «رهينة»أمام هجوم اليمين المسيحى، الذى اعتبر الأمم المتحدة أداة «لتشريع الإجهاض» والحرية الجنسية. وعندما أرسل الكونجرس للرئيس ميزانية لمتأخرات أمريكا للأمم المتحدة، ربطها بقيود تراعى اعتراضات اليمين المسيحى، وأعلن الرئيس عن نيته فى استخدام حق الاعتراض على الميزانية، مفضلا أن تسدد أمريكا ديونها المستحقة للأمم المتحدة. وظل الأمر معلقًا، بينما كانت الأمم المتحدة تتعرض لهجمات متتالية من زعماء الكونجرس.

وكان ضمن القضايا العالمية التى حركها اليمين المسيحى قضية الاضطهاد الدينى للمسيحيين. وحاجج زعماء اليمين المسيحى بأن هناك دولا عديدة إسلامية وآسيوية تضطهد الأقليات المسيحية بها، وقالت الزعامات الإيفانجيلية إن فى السودان أكثر من مليون مسيحى قد أعدموا وكان إعدام البعض منهم بالصلب، كما أن آلاف الأطفال قد بيعوا كرقيق. واعتبر «مجلس أبحاث العائلة» أن الصين تعد الدولة الأكثر اضطهاداً للمسيحيين، فأعداد كبيرة من المسيحيين (وكذلك المسلمين والبوذيين) حكم عليها بالسجن أوالأشغال الشاقة بسبب معتقداتها الدينية. وبعض الدول الأخرى، خصوصًا الإسلامية والشيوعية السابقة - متضمنة روسيا - تمنع أو تقيد التبشير الإنجيلى وممارسة العبادات.

وتركزاهتمام الإيفانجيليين الأمريكيين على مايسمى «منطقة النافذة ١٠/ ٤٠»، التى تضم بلاداً فى آسيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط استُهدفت بالتبشير الإنجيلى.

واتهم اليمين المسيحى دوائر البيزنس والإعلام والحكومة الأمريكية بأنها تتجاهل أو تتسامح مع تلك الانتهاكات للحرية الدينية، وطالب الإدارة الأمريكية بإلغاء وضع الصين كدولة أولى بالرعاية فى التجارة، وضغط لتشريع قانون الحرية من الاضطهاد الدينى الذى يفرض عقوبات اقتصادية على الدول التى تنتهك الحرية الدينية.

ونجح اليمين المسيحى فى أن يجعل من قضية الحرية الدينية إحدى أولويات السياسة الخارجية الأمريكية.

ودخل الرئيس كلينتون فى مزايدة مع أعضاءالكونجرس بتشكيل لجنة استشارية للحرية الدينية فى وزارة الخارجية، تعد تقريراً سنويا عن الحرية الدينية فى العالم.

ومن جانبه، أصبح الكونجرس يشكل لجانًا لتقصى الحقائق حول الاضطهاد الدينى فى

عديد من الدول، وصعدت قضية الربط بين الحرية الدينية فى الصين ومعاملتها كدولة أولى بالرعاية تجاريا فى مناقشات وأعمال الكونجرس.

بيد أن فرض عقوبات اقتصادية على أساس دينى، أوجد معارضة فى دوائر البيزنس الأمريكية وبورصة «وول ستريت»، اتهمت الكونجرس الذى سيطر عليه الجمهوريون بعد عام ١٩٩٤، بأنه أصبح فى جيب «اليمين المسيحى» وبما يهدد التجارة والاستثمار عالميا، وكذلك المصلحة القومية الأمريكية.

ورد «اليمين المسيحى» بأن دوائر البيزنس أكثر اهتمامًا بالبيزنس من حقوق الإنسان. ومرَّر الكونجرس تشريع الحرية من الاضطهاد الدينى بنهاية عام ١٩٩٨.

إن هجوم اليمين المسيحى على الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولى، ومحكمة العدل الدولية والمنظمات الدولية تحركه دوافع عديدة.

هناك دافع الانعزالية والتخوف على سلامة أمريكا ومصالحها الاقتصادية، ومن التضحية بالسيادة القومية لمصلحة نظام عالمى ليبرالى. ويعزز ذلك التخوف اعتقاد بأن الأمم المتحدة تقف وراء الجهود لإقامة نظام عالمى يتحكم بها ماركسيون وعلمانيون ولواطيون وسحاقيات أهدافهم تقويض القيم المسيحية التقليدية، وربما من خلال قوة عسكرية للأمم المتحدة تفرض تلك الأهداف.

وهناك دافع آخر هو «العقيدة التدبيرية الميللية». فلدى الإيفانجيليين اعتقاد لا يتزعزع بأن المجىء الثانى للمسيح قد أصبح وشيكًا، وأنه سيسبق ذلك ظهور المسيح الدجال الذى سيقوض الدين ويفرض نظامًا متسلطًا على العالم «النظام العالمى».

٢ـ قانون الحرية من الاضطهاد الدينى

لئن كانت رسالة اليمين المسيحى (الأصولى) الأمريكى فى الداخل هى العودة إلى المسيحية من منطلق الاعتقاد بالألفية والمجىء الثانى للمسيح، فإن رسالتها الخارجية، قد أصبحت ـ إلى جانب الجهد التبشيرى ـ تهيئة العالم لعودة المسيح. **وتنتشر فى الأوساط الأصولية الأمريكية طقوس الصلوات من أجل أن تهبط نعمة المسيح على الشرق بمسيحيه الأرثوذكس ومسلميه. بل يكثر الحديث عن صلاة نافذة ١٠/ ٤٠ إشارة إلى خطى العرض ١٠ و٤٠ اللذين تقع بينهما الدول الإسلامية والأرثوذكسية. فالمسيحية فى الخطاب المسيحى الأصولى الأمريكى ليست إلا البروتستانتية الإيفانجيلية.**

وكما حدث تاريخيًا، فإن الحملة الراهنة للمسيحية الأصولية الأمريكية، قد استندت على ذريعة حماية المسيحيين.

فعندما أعلن البابا إريان الثانى بداية الحملة الصليبية الأولى، كانت الذريعة حماية المسيحيين وتخليص القدس من أيدى المسلمين(*).

وعندما أصبحت الدولة العثمانية رجل أوروپا المريض، فرضت عليها روسيا معاهدة ١٨٥٣، ليصبح لها حق حماية رعايا السلطان من الأرثوذكس. وبعدها تعاهدت فرنسا وبريطانيا والنمسا مع الدولة العثمانية.

ومثلما اقتسمت بريطانيا وفرنسا قيادة النظام العالمى بعد الحرب العالمية الأولى، تنافستا أيضًا على التدخل لحماية المسيحيين فى المشرق العربى الإسلامى. ولئن كانت الولايات المتحدة خرجت من الحرب العالمية الثانية قوة عظمى، إلا أن الاتحاد السوڤيتى نازعها قيادة النظام العالمى خلال حقبة الحرب الباردة. وبانهيار الاتحاد السوڤيتى أصبحت أمريكا القوة العظمى الوحيدة فى العالم، وصاحبة السلطان المطلق. وهى المرة الأولى فى تاريخ البشرية التى تحدث فيها هذه الظاهرة، كما يقول پول مارى دى لاجورس فى كتابه «آخر الإمبراطوريات». وكان المشرق العربى (الإسلامى)، أول ميدان لحروب الإمبراطورية الأمريكية البازغة، لطرد دولة عربية إسلامية (العراق) من أراضى دولة جارة شقيقة (الكويت). غير أن حرب الخليج الثانية كانت آخر مناسبة احتاجت فيها أمريكا للمجتمع الدولى (ممثلا فى الأمم المتحدة)، لتوفير تغطية قانونية تمكنها من التدخل من أجل مصالحها. بل أصبحت أمريكا تتطلع إلى إدارة الكرة الأرضية، حسب معاييرها ولتحقيق مصالحها، من دون إبداء اهتمام كبير بالمجتمع الدولى ومنظماته. بل إن المنظمات الدولية القديمة والمستحدثة غيرت أهدافها لتواكب الخطة الأمريكية وأصبحت تبشر بالخطاب الأمريكى عن حرية التجارة والديمقراطية وحقوق الإنسان.

والآن تتحرك واشنطن على أساس أن التشريع الأمريكى يجب أن يطبق أيضًا خارج الولايات المتحدة، كما حدث مع قانون «بيرتون ـ هيلمز» الذى استهدف تشديد الحصار على كوبا، وقانون «داماتو» القاضى بفرض عقوبات اقتصادية على الشركات المتعاملة مع كل من إيران وليبيا. ومن العجب، أن ذلك يحدث فى الوقت الذى ترفع فيه واشنطن

(*) برغم أن الحملة الرابعة ضلت ووصلت القسطنطينية، وعاثت فى كنيستها كل أنواع الفساد، من سرقة ونهب وتحطيم وتدمير، إلى اغتصاب الراهبات والأطفال. ول ديورانت ـ قصة الحضارة الجزء الخامس عشر صفحة ٤٩ ـ ٥٣.

خطابًا أيديولوچيا عن حرية التجارة والعولمة واقتصاد السوق. غير أن حرية التجارة تصبح غير ذات معنى عندما تتعارض مع المصالح الأمريكية، بل إن التهديد بالعقوبات الاقتصادية يشهر ضد أقرب الحلفاء كما حدث مع اليابان.

احتاج تطبيق التشريع الأمريكى خارج الولايات المتحدة إلى ذريعة دائمة ومقبولة داخليًا، كانت هى الشيوعية فى حال كوبا، والإرهاب فى حال كل من إيران وليبيا، ثم أصبحت الذريعة الحاضرة دائمًا هى الديمقراطية وحقوق الإنسان. وتحت هذه الذريعة، عرض على الكونجرس الأمريكى مشروع قانون لحماية «الحرية الدينية» باعتبارها حقًا من حقوق الإنسان المعترف بها عالميا(٩).

وقد بدأت الحملة من أجل تشريع (قانون الحرية من الاضطهاد الدينى (Freedom from Religious Persecution Act.)، من خلال مايكل هوروفيتز المحامى اليهودى الأمريكى الذى كان أحد مساعدى الرئيس ريجان، والباحث بمعهد هدسون اليمينى للدراسات. إذ قام هوروفيتز بانشاء شبكة تحالفات مع عشرات الكنائس الأمريكية فى عام ١٩٩٥. وأرسل خطابات إلى ١٥٠ كنيسة طالبا منها أن يقوم أتباعها بإرسال خطابات إلى أعضاء الكونجرس لحثهم على إيلاء عناية أكبر بقضية اضطهاد المسيحيين.

وفى يناير عام ١٩٩٦، انضم هوروفيتز إلى نيناشيا اليهودية المتعصبة رئيسة برنامج حقوق الإنسان فى منظمة «بيت الحرية»، ومؤلفة كتاب فى «عرين الأسد» الذى زعمت فيه أن مصر والسودان وإيران والسعودية وپاكستان هى الدول الأكثر اضطهادًا للمسيحيين، واعتبرت أن الإسلام مثله مثل الشيوعية فى اضطهاد المسيحيين. ونظم هوروفيتز ونيناشيا مؤتمرًا عقد فى واشنطن تحت عنوان «أثر الأسلمة على العلاقات الدولية وحقوق الإنسان» شارك فيه ستيف أمرسون التليڤزيونى الأمريكى المتعصب، صاحب الفيلم التسجيلى الشهير المقزز والمعادى للإسلام «الجهاد فى أمريكا».

وفى يناير عام ١٩٩٧، نظم هوروفيتز وبيت الحرية مؤتمرًا تحت عنوان «اليوم العالمى للتضامن مع الكنيسة المضطهدة»، حضره ممثلو ٤٠ ألف كنيسة فى الولايات المتحدة تضامنًا مع المسيحيين فى الدول الإسلامية. واتهم المؤتمر كلا من الكنائس الأمريكية والإدارة الأمريكية بالتقصير. ودعا إلى العمل على إنقاذ مسيحيى الشرق من «براثن الإسلام».

وأيقظت حملة هوروفيتز حملة إعلامية قادها الكاتب الأمريكى الليكودى إيه. إم. روزنتال فى صحيفة «نيويورك تايمز» إذ قال: إن صيحات هوروفيتز حول اضطهاد المسيحيين فى العالم أيقظتنى.

وكتب روزنتال فى «نيويورك تايمز»: إن عدد المسيحيين فى القدس، انخفض من ٣٠ ألفًا عام ١٩٤٨ إلى ٨ آلاف حاليًا، يتعرضون إلى الاضطهاد كل يوم. ثم أشار إلى تصريح مرشد جماعة الإخوان المسلمين فى مصر مصطفى مشهور عن فرض جزية على الأقباط فى مصر. واستشهد بحديث للقس كيث رودريك من الائتلاف الأمريكى لحقوق الإنسان، قال فيه: إن الحكومة المصرية خلقت وضعًا من التحايل والكره تجاه الأقلية المسيحية وسمحت بأن يصبح الأقباط صمام أمان للمتطرفين الإسلاميين[١٠].

وفى مقال ثان فى «نيويورك تايمز»، كتب روزنتال مطالبًا الأمريكيين بالعمل على دعم مشروع القانون الذى سيتقدم به السيناتور آرلين سبيكتر لفرض عقوبات اقتصادية ودبلوماسية على الدول التى تضطهد المسيحيين وتعذبهم، ومنها ٨دول عربية وإسلامية[١١].

وفى مقال ثالث، فى «نيويورك تايمز»، هاجم روزنتال من يعارضون مشروع رئيس المجلس البلدى لمدينة نيويورك بيتر فالونى وعمدتها رادولف جوليانى بمقاطعة الشركات التى تتعامل مع ١٥دولة بزعم أنها تضطهد المسيحيين، معتبرًا أن مصالح «البيزنس» تعمى الأمريكيين عن حقائق الاضطهاد الدينى[١٢].

وفى تلك الأثناء، كان بيتر فالونى رئيس المجلس البلدى لمدينة نيويورك، قد تقدم بمشروع قرار يقضى بمقاطعة الشركات التى يثبت أنها تتعامل مع الدول التى وصفها بأنها تضطهد المسيحيين.

وتلقف الكرة السناتور اليهودى آرلن سبيكتر (ولاية پنسلڤانيا) وعضو مجلس النواب فرانك وولف المسيحى المشيخى (ولاية ڤيرچينيا)، وقدما إلى الكونجرس مشروع قانون الحرية من الاضطهاد الدينى، بفرض عقوبات اقتصادية وسياسية على الدول التى تمارس الاضطهاد الدينى خاصة ضد المسيحيين[١٣].

إن من المهم هنا التعرض للأبعاد المحلية للحملة من أجل تشريع قانون الحرية من الاضطهاد الدينى، قبل التعرض لتأثير القانون فى السياسة الخارجية الأمريكية.

وبدءاً يلحظ المراقب الترابط بين التيار المحافظ اليهودى والمنظمات الأصولية المسيحية، خلال الحملة.

ويُذكر هنا أن هوروفيتز نفسه، الذى أطلق الحملة والمضطلع بالدور الرئيسى فى صياغة نص مشروع القانون، ليس مسيحيا بل يهودى. ويعتبر هوروفيتز أن يهوديته التى يفهمها على أنها تختزن مسلسل عذاب تاريخى آخر حلقاته «المحرقة»، قد أكسبته وعيًا فريدًا إزاء الاضطهاد الذى يعانى منه المسيحيون فى أنحاء العالم. ولا يبرر هوروفيتز انتقائيته فى التعاطف مع المسيحيين من دون غيرهم، ولكنه يشير إلى إحصاء يفيد بأن المسيحيين هم أكبر مجموعة تتعرض للاضطهاد فى العالم.

كما أن نيناشيا ليست مسيحية بل يهودية متعصبة على نحو ماظهر فى كتابها «فى عرين الأسد» ومارددته فى شهادتها أمام جلسات استماع الكونجرس. فقد ركزت على ما وصفته بـ «اضطهاد المسيحيين» فى مصر والجزائر والسودان والسعودية. وكان مما قالته إن مصر تتلاشى فيها الأقلية المسيحية تحت وطأة الاضطهاد والعنف من المسلمين المتطرفين حيث أُجبر آلاف الأقباط على الفرار وترك وطنهم خشية ورغبة فى عدم اعتناق الإسلام قسراً بعد أن دمرت الجماعات الإسلامية قراهم فى الصعيد فى أوائل سنة ١٩٩٦.

أما السودان ـ كما تقول ـ فيشن جهاداً مقدسًا ضد المسيحيين وغير المسلمين فى الجنوب حيث يجرى استرقاق المسيحيين مقابل ١٥ دولاراً للعبد. وتتحول الأمهات المسيحيات إلى الإسلام عوضًا عن رؤية أطفالهن يموتون جوعًا لأن الحكومة الإسلامية تمنع عنهم المعونات الغذائية. وفى السعودية ـ كما تقول نينا ـ فإن المسيحية محرمة تمامًا، كما يجرى اقتحام المنازل التى تمارس فيها أى شعائر مسيحية بالرغم من أن هناك آلاف المسيحيين من العمال الأجانب.

وأخيراً، فإن السناتور آرلين سبيكتر أحد مقدمى مشروع القانون إلى الكونجرس هو يهودى.

غير أن التيار اليهودى الليبرالى، تردد فى مساندة التيار اليهودى المحافظ وقانون الحرية من الاضطهاد الدينى. فبين اليهود الليبراليين من رأى أن التركيز على الاضطهاد الدينى يجزئ قضية حقوق الإنسان. ورأى بعضهم أن تشريع القانون قد يضر بأوضاع اليهود فى الدول التى ستتعرض للعقوبات. ورأى آخرون منهم أن القانون قد يؤذى الهجرة اليهودية إلى الولايات المتحدة، بمنح أولوية للمجموعات المضطهدة.

أما البعد المحلى الأهم، فهو أن منظمات المسيحية الأصولية فى الولايات المتحدة، اعتبرت الحملة من أجل تشريع قانون الحرية من الاضطهاد الدينى ضمن حملتها الصليبية العالمية عشية الألفية الثالثة.

وكانت فى مقدمة تلك المنظمات منظمة «الائتلاف المسيحى».

فتحت عنوان «طريق إلى النصر»، عقدت المنظمة مؤتمرها السنوى فى ١٣ من سبتمبر عام ١٩٩٧، فى آتلانتا ـ چورچيا. وحشد المؤتمر صقور اليمين الأمريكى مثل رئيس مجلس النواب (وقتئذ) نيوت چينجريتش والمرشحين الجمهوريين لانتخابات الرئاسة عام ١٩٩٦، وهم ستيف فوربس ولامر الكسندر وآلان كيتز، بالإضافة إلى القس بات روبرتسون مؤسس الائتلاف ورئيسه الذى كان قد تقدم لسباق مرشح الحزب الجمهورى للرئاسة عام ١٩٨٨.

وبذلك، مثل المؤتمر «الائتلاف اليمنى ـ المسيحى»، أى الائتلاف بين يمين الحزب الجمهورى واليمين المسيحى، الذى يسعى للهيمنة على الساحة السياسية الأمريكية. فكان مما قاله روبرتسون رئيس الائتلاف المسيحى: **لقد آن الأوان لتنظيف البيت الأبيض، كما أننا لن نسمح لليبراليين بالسيطرة على الكونجرس فى انتخابات عام ١٩٩٨.**

أما المدير التنفيذى للائتلاف المسيحى دون هولد (الوزير السابق فى إدارة ريجان)، فقد أطلق صرخات وصيحات أن أمريكا «أمة مسيحية». ودعا إلى تخصيص المعونة الأمريكية لحماية المسيحيين (المضطهدين) فى الدول التى تتلقى المعونة. وأكد نيوت چينجريتش على أن مكافحة التمييز الدينى ستكون من أولويات مهام الكونجرس.

وفى ختام أعماله، وجه مؤتمر الائتلاف المسيحى، باسم ٢٥ مليون أمريكى، رسالة إلى الكونجرس يعلن فيها دعمه للتشريع المقترح بفرض عقوبات على الدول التى يرى الكونجرس أنها تمارس الاضطهاد الدينى ضد المسيحيين(١٤).

ومن أبرز المنظمات التى نشطت فى الحملة، منظمة «تقوية أمريكا ـ Empower America». ويشارك فى مجلس إداراتها چاك كمب المرشح الجمهورى لمنصب نائب الرئيس فى انتخابات عام ١٩٩٦، ونيوت چينجريتش رئيس مجلس النواب السابق، وستيف فوربس المليونير والمرشح الجمهورى لرئاسة عام ١٩٩٦، وچوزيف ليبرمان العضو اليهودى فى مجلس الشيوخ، وچين كيركپاتريك مندوبة أمريكا فى الأمم المتحدة (سابقًا). وقد قامت المنظمة برعاية مؤتمر فى قاعات الكونجرس فى يوليو عام ١٩٩٧

لمناقشة كيفية العمل مع الإدارة والكونجرس وأجهزة الإعلام والصحافة والكنائس المسيحية والمعابد اليهودية لوقف الاضطهاد.

وفى جلسة استماع لمجلس الشيوخ، أدلى ويليام بينيت المدير المساعد لمنظمة تقوية أمريكا والسناتور ليبرمان بشهادة مشتركة، قالا فيها: **«إن أسوأ أشكال الاضطهاد للمسيحيين تقع فى الصين وكوبا ومصر ولاجوس ونيچيريا وكوريا الشمالية والسعودية وباكستان والسودان وأوزبكستان وڤيتنام..**

لقد وقع اضطهاد على المسيحيين فى هذا القرن بأسوأ من كل القرون السابقة مجتمعة، ومات منهم فى القرن العشرين أكثر ممن ماتوا فى القرون السابقة منذ ظهور المسيحية».

وقد كانت الحملة لتشريع قانون الاضطهاد الدينى، فرصة لمنظمات اليمين المسيحى التقليدية لاستعادة نفوذها فى الحياة السياسية الأمريكية، ولتبنى «أچندة خارجية» إلى جانب «الأچندة الداخلية» التى تركز على تحريم الإجهاض والسماح بالصلاة فى المدارس ومعارضة المثلية الجنسية. فنشطت منظمة «التركيز على العائلة» بزعامة القس چيمس دوبسون الذى هزه ـ كما قال ـ **أن هوروفيتز اليهودى كان أول من لاحظ مايحدث للمسيحيين وبدأ بتنبيه العالم. كما نشطت منظمة «مجلس أبحاث العائلة» التى يرأسها جارى بوير، فى إطار البحث عن دور خارجى.**

وإلى جانب منظمات اليمين المسيحى التقليدية، برزت خلال الحملة منظمات مسيحية متشددة مثل منظمة «الدفاع عن حقوق المسيحيين تحت الأسلمة» برئاسة كيث رودريك.

وقد أدلى رودريك أمام جلسة استماع فى مجلس الشيوخ، فى يوليو سنة١٩٩٧، بشهادة قال فيها: **«إن الحكومة المصرية تتباهى بنجاحها فى الحرب ضد المتشددين الإسلاميين ولكنها فى الحقيقة قد فشلت فى إخماد موجة العنف.. كما أن الحكومة المصرية تدعى أن المشكلة ليست قبطية لأن عدد المسلمين من ضباط وجنود الشرطة الذين لقوا مصرعهم على يد المتطرفين أكثر من الأقباط، وبرغم أن هذا حقيقى إلا أن رجال الشرطة يلقون مصرعهم لأنهم يمثلون الحكومة بينما الأقباط مستهدفون لأنهم مسيحيون.. إن الحكومة عاجزة عن أن ترى أن سياستها فى عزل الأقباط اجتماعيا واقتصاديا خلقت مناخًا من التعصب والكراهية تجاه الأقلية القبطية. لقد سمحت الحكومة المصرية بأن يتحول الأقباط إلى صمام أمان فى محاولة لتهدئة غضب الإسلاميين تجاه النظام».**

وكان ضمن الأبعاد المحلية الأمريكية فى حملة قانون الحرية من الاضطهاد الدينى، تحفظ المجلس الوطنى للكنائس، وهو أكبر تجمع للكنائس الأمريكية التى تعبر عن التيار العام (وليس الأصولى)، ودعم موقف المجلس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية. ففى سنة ١٩٩٧، أرسل المجلس الوطنى للكنائس خطابًا مفتوحًا إلى لجنة العلاقات الدولية فى مجلس النواب، تضمن أنه تلقى رسائل من الأقباط المصريين رافضة لتشريع وولف ـ سبيكتر ومعلنة أن الأمريكيين يجب ألا يفرضوا مثلهم على الآخرين، وأنهم (أى الأمريكيين) لابد أن يأخذوا فى الحسبان اختلاف القيم الثقافية. وطالب خطاب مجلس الكنائس الأمريكى بألا تتخذ الولايات المتحدة موقفًا ضد رغبة من تعتبرهم «مضطهدين».

وأرسل ممثل الكنيسة الكاثوليكية شهادة مكتوبة للجنة العلاقات الدولية بمجلس النواب قال فيها إن فرض العقوبات يمكن أن يؤذى المسيحيين ضمن مجمل شعوب الدول التى ستفرض عليها.

وفى مايو سنة ١٩٩٨، أرسل مجلس الكنائس الأمريكية خطابًا مفتوحًا إلى نواب الكونجرس، ذكر فيه أنه دعا قيادات مسيحية من باكستان وإندونيسيا وروسيا والشرق الأوسط وإفريقيا إلى لقاءات فى الولايات المتحدة، شارك فيها عدد من أعضاء الكونجرس. وعبرت تلك القيادات عن آرائها بأن التدخل فى الشئون الداخلية لبلادهم بحجة الحد من الاضطهاد الدينى سوف يقابل بالرفض، وستكون له نتائج سلبية على العلاقات الدولية، وأن العقوبات ستضر بأكثر مما تنفع. كما أن تدخل الولايات المتحدة سيكون ذا قدرة محدودة لمراقبة أو الحد من الاضطهاد الذى تمارسه أطراف غير حكومية تعارضها الحكومات[١٦].

وعبرت نشرة «تقرير واشنطون للمشيخيين» عن تحفظ الكنيسة المشيخية بأن فكرة فرض عقوبات فورية هى فكرة سيئة، وأنه يجب فرض العقوبات عندما تكون فاعلة، على أن تقرر حسب كل حالة وليس بشكل عام، كما أن التبادل التجارى والثقافى قد يكون أكثر تأثيرًا من الحصار، والعقوبات يجب أن تكون آخر شىء[١٧].

غير أن حملة المنظمات المسيحية الأصولية المترابطة مع التيار اليهودى المحافظ، نجحت فى دفع الرئيس كلينتون إلى القيام بمبادرة موازية. فشكل لجنة من ٢١ شخصية أطلق عليها اسم «لجنة الشريط الأزرق»، مهمتها جمع المعلومات عن الاضطهاد الدينى، خاصة الاضطهاد الموجّه ضد المسيحيين وتقديم المشورة إلى الإدارة الأمريكية بشأن ما يجب

عمله، وتألفت اللجنة من وكيل وزارة الخارجية للشئون الديمقراطية وحقوق الإنسان جون شاتوك رئيساً، ومن ستة أعضاء مسيحيين وعضوين مسلمين وعضوين يهوديين وعضوين أكاديميين وعضو واحد بهائى وعضو واحد بوذى وعضو واحد هندوسى.

ولم يكتف الكونجرس بذلك، فأصدر شاتوك تقرير وزارة الخارجية الخاص بالحرية الدينية فى ٧٨ دولة خلال عام ١٩٩٧، ليؤكد أن هذه الحرية أولوية للسياسة الخارجية الأمريكية، ولكن لجنة العلاقات الدولية بمجلس النواب، بدأت عقد جلسات استماع لمناقشة اضطهاد المسيحيين، كما استعرضت اللجنة تقريراً من ٣٠ صفحة تحت عنوان «الاضطهاد الدينى» أشرف عليه السيناتور جون ليبرمان الذى دعا الكونجرس إلى التحرك ضد التمييز الدينى [١٨].

وتواصلت حملة المنظمات المسيحية الأصولية والكونجرس لإقرار مشروع قانون وولف ـ سبيكتر، بالرغم من شهادة چون شاتوك أمام لجنة العلاقات الدولية بمجلس النواب، بأن التشريع المقترح قد يضر بأكثر مما ينفع، وبأن فرض العقوبات قد يثير ثائرة الأصوليين الإسلاميين ويضر بالعلاقات الثنائية بين أمريكا ودول حليفة لها ويهدد التسويات الإقليمية مثل التسوية السلمية فى الشرق الأوسط [١٩].

ولم تسفر معارضة الرئيس كلينتون لمشروع القانون إلا عن إدخال بعض التعديلات التى توفر المرونة فى عدد من المواد المتعلقة بفرض العقوبات الاقتصادية مثل البند ٤٠٢ الذى يفرض تطبيق تلك العقوبات فى حالات الاضطهاد الدينى المتطرفة والسافرة، ووقع كلينتون القانون فى ٢٧ من أكتوبر عام ١٩٩٨.

يتضمن مشروع قانون الحرية من الاضطهاد الدينى ـ الذى وافق عليه مجلس النواب فى أبريل ١٩٩٨ ـ اثنى عشر قسماً [٢٠].

يقر القسم الأول ـ الديباجة، أن «الحكومات عليها مسئولية أولى فى الدعوة إلى تشجيع وحماية واحترام الحق الأساسى والمعترف به دوليا وهو حرية الدين».

ويرصد القسم الثانى، معنى مواد المواثيق والعهود الدولية التى تنص على «الحرية الدينية» أى حرية اعتناق الدين، وتغييره، وممارسته. مثل المادة ١٨ من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، والمادة ١٨ من العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية.

ويخص القسم الثالث، جماعات مسيحية ودينية تتعرض للاضطهاد فى بلاد محددة، فأشار إلى «اضطهاد الروم الكاثوليك والإيڤانجيليين البروتستانت فى أقطار شيوعية مثل

كوبا ولاوس والصين». وأشار إلى أنه «فى العديد من البلدان الإسلامية، تقوم الحكومات باضطهاد غير المسلمين والذين يغيرون دينهم من الإسلام إلى ديانات أخرى، مستخدمة فى ذلك قوانين ازدراء الدين والردة، كما أن الحركات المتطرفة تسعى لإفساد العقيدة والثقافة الإسلامية السمحة باضطهاد البهائيين والمسيحيين وغيرهم من الأقليات الدينية.. وتشن الحكومة الدينية المتشددة فى السودان ما تصفه هذه الحكومة نفسها بأنها حرب دينية ضد المسيحيين وغير المسلمين وحتى ضد المسلمين المعتدلين، مستخدمة فى ذلك التعذيب والتجويع والاسترقاق والقتل». كما يشار هنا إلى اضطهاد الصين للبوذيين فى التبت.

ويحدد القسم الثالث، تعريف الاضطهاد الدينى بأنه اضطهاد الأشخاص بسبب عضويتهم أو انتمائهم لطائفة دينية سواء كان معترفا أو غير معترف بها رسميا فى البلد المعنى، ويشمل الاضطهاد القبض أو الحبس أو الاستعباد أو القتل أو السجن أو إعادة التوطين القسرى أو الاغتصاب أو الصلب أو أى شكل آخر من أشكال التعذيب، ويقسم القانون الاضطهاد إلى فئتين، الفئة (١) أى الاضطهاد الذى يتم بواسطة مسئولى الحكومة أو بمعرفتهم كجزء من سياستها الرسمية. والفئة (٢) أى الاضطهاد الذى لا يتم بواسطة الحكومة أو عملائها، ولكن الحكومات تكون مقصرة فى اتخاذ إجراءات جادة ومستمرة لاحتواء الاضطهاد الدينى والقضاء عليه.

كما يتضمن القسم الثالث، تعريف مساعدات الولايات المتحدة التى يمكن قطعها أو تخفيضها كعقاب للبلدان التى تمارس الاضطهاد الدينى، وتشمل المال والغذاء والسلاح والمعونة الفنية ومعونات الإغاثة.

وينص القسم الرابع على دعم ومساعدة الجماعات الدينية المضطهدة وتوقيع جزاءات على الأقطار أو الأقاليم التى تمارس حكوماتها أو أطراف داخلية فيها الاضطهاد الدينى.

ويقضى القانون فى القسم الخامس باستحداث «مكتب رصد الاضطهاد الدينى»، ويلحق بالمكتب التنفيذى للرئيس الأمريكى مباشرة، ويعين مديره بموافقة الكونجرس. وتكون مهام مكتب رصد الاضطهاد الدينى، تقييم وقائع وظروف انتهاكات الحرية الدينية، سواء الواردة فى التقرير السنوى الذى تعده وزارة الخارجية الأمريكية أو فى تقارير الجماعات المستقلة لحقوق الإنسان. ويتشاور المكتب مع وزارة الخارجية فى صياغة توصيات بسياسات ترفع إلى الرئيس الأمريكى بشأن سياسة حكومة الولايات المتحدة تجاه الحكومات التى يتقرر أنها تمارس الاضطهاد الدينى، كما يعد المكتب تقريرا سنويا يحدد

البلاد والأطراف التى تمارس الاضطهاد الدينى من الفئة (١) أو الفئة (٢)، ونشر ذلك فى المجلس الفيدرالى، وينسق المكتب مع وزارات الخارجية والتجارة والخزانة ومع النائب العام لتنفيذ القانون.

ويشمل القسم السادس من القانون التفاصيل المطلوبة فى التقرير السنوى لمكتب رصد الاضطهاد الدينى، وتحديد فئتى الاضطهاد (١) أو (٢)، والأدوات المستخدمة فى الاضطهاد والأطراف التى تمارسه حكومية أو غير حكومية، ليتسنى تقرير نوع ودرجة العقوبات.

ويحدد القسم السابع من القانون، العقوبات ضد الحكومات التى تمارس الاضطهاد الدينى أو لا تمنع ممارسته على أرضها، بوقف التعامل معها أو تصدير أى سلع أو منتجات أو خدمات يمكن أن تساعد فى استمرار الاضطهاد الدينى، والعقوبة الأشد هى وقف المساعدات الأمريكية عن الأقطار التى يثبت أنها ضالعة فى الاضطهاد الدينى، بواسطة مكتب رصد الاضطهاد الدينى، وذلك خلال ٩٠ يومًا إذا كان البلد ضمن الفئة (١) أو خلال سنة إذا كان البلد ضمن الفئة (٢)، وذلك من تاريخ موافقة الكونجرس على تقرير مكتب رصد الاضطهاد الدينى. **كما تتضمن العقوبات أن يقوم رئيس الولايات المتحدة بإعطاء تعليمات صريحة لمندوبى أمريكا فى البنك الدولى وصندوق النقد الدولى والمؤسسات المالية والتجارية الدولية مثل منظمة التجارة العالمية بأن يصوتوا ضد منح أى مساعدات للأقطار التى وردت فى تقرير مكتب رصد الاضطهاد الدينى، سواء فى الفئة (١) أو الفئة (٢).** أما النوع الأخير من العقوبات، فهو الحرمان من تأشيرات الدخول إلى الولايات المتحدة للأشخاص الضالعين فى ممارسة الاضطهاد الدينى سواء كانوا مسئولين حكوميين أو غير حكوميين. ويكون على النائب العام الأمريكى أن يأمر بترحيل أى شخص أجنبى من الولايات المتحدة إذا كان ضمن قائمة الأشخاص الذين يقرر مدير مكتب رصد الاضطهاد الدينى أنهم مارسوا مثل هذا الاضطهاد فى السابق أو مسئولون عن استمرار الممارسة فى الوقت الحاضر.

وفى القسم الثامن من القانون، قائمة من الاستثناءات التى يمكن للرئيس الأمريكى أن يلجأ إليها لتأخير فرض العقوبات أو تعليقها إذا كانت المصلحة الأمريكية أو اعتبارات الأمن القومى تتطلب ذلك. وفى كل الأحوال يتطلب الأمر موافقة الكونجرس على طلب الرئيس باستثناء دولة ما من تطبيق العقوبات ولفترة محددة، كما يتضمن القسم شروط المراجعة الدورية التى يمكن أن تعفى حكومة دولة معينة من العقوبات المفروضة عليها إذا

ما اتخذت من الإجراءات ما يخفف أو ينهى ممارسات الاضطهاد الدينى.

ويتضمن القسم التاسع عدداً من المواد التى تنص على تعديل قانون الهجرة وقانون اللجوء السياسى لإعطاء أولوية لمن يتعرضون للاضطهاد الدينى فى بلدهم.

ويطلب القسم العاشر من وزارة الخارجية أن يتضمن تقريرها السنوى لحقوق الإنسان تفصيلا وتوثيقًا لوقائع وملابسات انتهاكات الحق فى الحرية الدينية.

ويتعرض القسم الحادى عشر من القانون لشروط ومتطلبات إنهاء العقوبات، بأمر من مكتب رصد الاضطهاد الدينى، بناء على أدلة وشهادات بانتهاء الاضطهاد، فإذا اقتنع الكونجرس بالتوصيات فله الحق فى إنهاء العقوبات خلال ٤٥ يومًا.

ويختص القسم الثانى عشر من القانون بالعقوبات ضد السودان، باعتبار أن حكومته تمارس الاضطهاد الدينى، وتصرح - كما أورد مشروع القانون - بأنها فى حالة حرب دينية مع غير المسلمين فى السودان، وتتضمن العقوبات منع التعامل المالى مع السودان أو الاستيراد منه أو التصدير إليه أو الاستثمار فيه وحظر التعامل مع خطوط الطيران السودانية وحظر تعامل شركات الطيران الأمريكية مع السودان وحظر السياحة إلى السودان، وحظر التعامل مع القوات المسلحة وأجهزة المخابرات السودانية..

إن قانون الحرية من الاضطهاد الدينى، فى فلسفته، يضع قضية الحرية الدينية فى صلب حقوق الإنسان ويجعل من قضية «الاضطهاد الدينى» قضية عالمية بعد أن ظلت شأنا داخليا فى البلد الذى يجرى فيه الاضطهاد ولا يجيز لطرف خارجى التطرق إليه وإلا اعتبر تدخلا فى الشئون الداخلية.

ولكن القانون، من الناحية الإجرائية، يحدد لمكتب رصد الاضطهاد الدينى دولا شيوعية ودولا إسلامية، تكثر فيها حالات الاضطهاد ويركز حصراً على الصين والسودان وإيران.

ومن الناحية العملية، فإن مكتب رصد الاضطهاد الدينى التابع مباشرة لرئيس الولايات المتحدة، يرفع تقارير إلى الكونجرس عن الدول التى تمارس الاضطهاد الدينى ودرجة الاضطهاد الذى تمارسه تمهيداً لفرض عقوبات عليها، ويعطى القانون للرئيس استثناءات من تطبيق القانون بدعوى المصلحة القومية والأمن القومى، وهنا تجد الإدارة الأمريكية نفسها أمام ضغوط من الشركات والبنوك الأمريكية التى ستتعرض مصالحها للخطر بسبب العقوبات، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الإدارة ستجد نفسها فى

حرج أمام دول صديقة وحليفة تنطبق عليها مواد القانون وأمام دول مستهدفة تعتبر تطبيق التشريع الأمريكي تدخلا استعماريا في شئونها الداخلية، علاوة على أن التدخل الأمريكي قد يشعل صراعات داخل الدول التي ستتهم بالاضطهاد ويؤجج العداء ضد أمريكا، ويعني كل ذلك - من الناحية العملية - أن التشريع الأمريكي لن يطبق إلا بطريقة انتقائية أو لخدمة مصالح أمريكا [٢١].

غير أن القانون من منطلق أبعاده المحلية في الولايات المتحدة، يعتبر انتصارًا للأصولية المسيحية الأمريكية ومنظماتها وحلفائها من المجموعات اليهودية المتشددة عشية الألفية الجديدة. فقد عادل إقرار قانون الحرية من الاضطهاد الديني، ما خسره تحالف اليمين المسيحي واليمين السياسي في الحزب الجمهوري في انتخابات التجديد النصفي للكونجرس عام ١٩٩٨ وفي فشله في عزل الرئيس كلينتون بسبب فضيحة «مونيكا جيت». . وذلك الانتصار، يوظفه تحالف اليمين المسيحي مع الحزب الجمهوري في الصراع الداخلي على روح أمريكا المسيحية، وفي الصراع الخارجي، ليصبح العالم إزاء صدام أديان وليس صدام حضارات كما تنبأ هانتنجتون.

خاتمـــة

المسيح اليهودى.. ونهاية التاريخ

«إسرائيل ستتخلى عن بعض الأراضى ، إلا أنها لن تتخلى عن أورشليم ، وتكون النتيجة حرب نهاية التاريخ»

بات روبرتسون ـ رئيس منظمة الائتلاف المسيحى

توصل فرانسيس فوكوياما، عالم السياسة اليابانى الأصل، الأمريكى الجنسية، فى مقال أيديولوچى تضمنته محاضرته فى مجلة «ذا ناشيونال إنترست» عام ١٩٨٩، ثم فى كتابه «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» عام ١٩٩٢، إلى أن القرن العشرين قد أتم دورته بنصر مؤزر للحضارة الغربية، مستشهداً باستنزاف البدائل المنهجية الأساسية وآخرها الشيوعية، معتبراً ذلك نقطة النهاية لتطور البشرية.

بيد أن فكرة نهاية التاريخ، ليست فكرة جديدة من ابتكار فوكوياما.

فقبل نحو قرنين، أعلن الفليسوف الألمانى هيجل أن التاريخ انتهى عام ١٨٠٦، لأنه رأى فى دحر ناپليون للملكية البروسية فى معركة «يينا» انتصاراً لمثل الثورة الفرنسية، وبشيراً بامتداد الدولة التى تجسد مبادئ الحرية والإخاء والمساواة إلى أنحاء العالم.

ومن مفارقات التاريخ، أن يكون كارل ماركس أشهر من روجوا فكرة نهاية التاريخ. فقد كان رأيه أن التاريخ سيصل نهايته بتحقيق اليوتوپيا الشيوعية، التى ستحل - فى النهاية - جميع التناقضات السابقة عليها.

ومثلما قام ماركس بقلب المنظومة الفكرية لهيجل، ظهر عالم الاجتماع الألمانى ماكس ڤيبر ليدحض مادية ماركس، ويعيد الاعتبار لمثالية هيجل معتبراً أن الأخلاق الپروتستانتية هى روح الرأسمالية وأن الرأسمالية هى نهاية التاريخ. وبعد أن أسقط التاريخ نفسه مادية ماركس (بتطبيقها السوڤييتى والشرق أوروپى)، بدأ فوكوياما من حيث انتهى إليه وقبله هيجل بإعلان انتصار الغرب الرأسمالى والوصول إلى نهاية التاريخ.

لقد كتب فوكوياما محاضرته الأيديولوچية - الدعائية، فى زخم سقوط النظم الشيوعية فى أوروپا الشرقية، وأكد أفكارها فى كتابه نهاية التاريخ والإنسان الأخير، بعد انهيار الاتحاد السوڤييتى. وكانت غاية المقال الأيديولوچى الدعائى لفوكوياما ليست إلا تسجيل «اللحظة الأمريكية» فى تاريخ البشرية، أى انتصار أمريكا بعد سقوط النظم الشيوعية فى الاتحاد السوڤييتى وشرق أوروپا، باعتبار تلك اللحظة نهاية التاريخ.

وجاء الرئيس بوش، بعد انتصار أمريكا فى حرب الخليج، ليعلن عن إقامة «النظام العالمى الجديد» تجسيداً لفكرة نهاية التاريخ، بنشر القيم الأمريكية على امتداد العالم، أى بمعنى آخر «أمركة العالم».

ثم جاء كتاب صمويل هانتنجتون عالم السياسة الأمريكى، الذى حمل عنوان «صدام الحضارات: إعادة تشكيل النظام العالمى»، والصادر عام ١٩٩٦، ليتنبأ بأن نهاية التاريخ هى نهاية صراع بين الحضارات، أو بمعنى أدق صراع بين الحضارة الغربية المسيحية وبقية العالم. ولا يتضمن الغرب المسيحى عند هانتنجتون اليونان وشرق أوروبا وروسيا (لأنها مسيحية أرثوذكسية)، ولا يتضمن أمريكا اللاتينية (برغم أنها مسيحية كاثوليكية)، ولا يتضمن اليابان (لأنها ليست مسيحية وليست غربية). أى أن الغرب المسيحى ـ عند هانتنجتون ـ هو أمريكا وأوروبا الغربية المسيحية.

وعلى خطى هانتنجتون وفوكوياما، استكمل المستشرق برنارد لويس(*) أستاذ دراسات الشرق الأدنى فى جامعة پرنستون الأمريكية، السير فى طريق التأسيس النظرى للصراع بين الحضارات/ الأديان والإعلان الأيديولوچى لانتصار الغرب المسيحى. ففى كتابه «ثقافات فى صراع» يؤرخ للصراع بين الغرب والشرق، وبشكل أكثر تحديداً بين الغرب الأوروپى الأمريكى (المسيحى) والشرق (الإسلامى)، فيختزل الصراع بين الحضارات إلى صراع بين الحضارة الغربية المسيحية والحضارة الإسلامية، ليختلف بذلك عن هانتنجتون الذى وسع نطاق صدام الحضارات ليكون بين الحضارة الغربية وست حضارات أخرى منها الإسلامية، ومثلما يختلف عنه فى اختزال الصراع ليكون صراع أديان. ويعلن فى النهاية انتصار الغرب المسيحى، وهو انتصار بدأ منذ عام ١٤٩٢ وهو عام اكتشاف أمريكا.

بيد أن عام ١٤٩٢ شهد ثلاث حوادث كبرى رسمت خط تقسيم العالم «الأديان والحضارات».

فقد كان عام ١٤٩٢ هو عام الاسترداد المسيحى لغرناطة، آخر معقل للقوة الإسلامية فى شبة جزيرة أيبريا. فانسحب المسلمون إلى داخل صحاريهم، وهو الأمر الذى تأكد فى

(*) أحد أبرز الخبراء فى دراسات الإسلام والشرق الأوسط، ذو ميول صهيونية واضحة. من أهم كتبه: الإسلام والغرب ـ تشكيل الشرق الأوسط الحديث ـ يهود الإسلام ـ اكتشاف المسلمين لأوروبا.

القرن السادس عشر بامتداد الكشوف الأوروبية، ومنها اكتشاف ماجلان طريق رأس الرجاء الصالح، الذى مكّن الأوروبيين من أن يحولوا طريق التجارة مع الصين والشرق الأقصى وأن يحاصروا العرب تجاريًا. كما دخل الأوروبيون عصر الإصلاح الدينى والنهضة بما أدى إلى ولادة حضارة أوروبية تقاطع تراث العصور الوسطى وتتطلع إلى الحداثة، فى الوقت الذى فيه قطعت الحضارة الإسلامية مع الحاضر وارتدت إلى تراث الماضى، واجتاحها المغول والتتار والأتراك.

وكان عام ١٤٩٢ عام طرد اليهود من إسبانيا. فعاد ظهور المسيحية اليهودية بين اليهود الذين تحولوا إلى المسيحية كليًا أو ظاهريًا وانخرطوا فى أوروبا الإصلاح والنهضة، وأعادوا الاعتبار إلى اليهودية والعهد القديم فى اللاهوت المسيحى. وهو الأمر الذى بلغ ذروته مع حركة الإصلاح الدينى البروتستانتى فى القرن التالى، لتحمل البروتستانتية صبغة يهودية ولتصبح مسيحية يهودية مع الثورة البيوريتانية (التطهرية).

وأخيرًا، كان عام ١٤٩٢ عام اكتشاف أمريكا وهو الحدث الذى دعم العالم المسيحى من جهة، وأعلى المسيحية اليهودية من جهة أخرى. فالمهاجرون الأوائل حملوا معهم إلى العالم الجديد مسيحية بروتستانتية بيوريتانية متهودة، واعتبروا أمريكا «أرض الميعاد الجديدة» ونظروا إلى أنفسهم على أنهم «الشعب المختار ـ الجديد». وعقدوا عهدًا مع الرب بأنه إذا أمّن الرب ذهابهم إلى العالم الجديد، فإنهم سيؤسسون مجتمعًا تحكمه القوانين الإلهية.

ولقد شبه چون وينثروب ـ أول حكام مستعمرة خليج ماساشوستس ـ المستعمرة بأنها «مدينة فوق التل» (أى مدينة فاضلة) تتجه إليها أنظار العالم.

وخلال الصحوة الدينية الكبرى التى أخذت شكل إحياء دينى للكالڤينية والإيڤانجيلية فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن الثامن عشر، راج فى أمريكا الاعتقاد بالعصر الألفى السعيد. وارتبط ذلك الاعتقاد بشعور قومى أمريكى، ليصبح الهدف أن تكون أمريكا مملكة الرب على الأرض تمهيدًا لنهاية التاريخ وعودة المسيح.

وخلال الصحوة الكبرى الثانية (حوالى ١٧٩٠ وحتى ثلاثينيات القرن التاسع عشر) شاع الاعتقاد بالألفية والبعث اليهودى، بما أطلق مسيحية صهيونية أمريكية. إذ أصبح البعث اليهودى (عودة اليهود إلى فلسطين)، ضمن خطة الرب لنهاية التاريخ قبل المجىء الثانى للمسيح ليحكم العالم فى الألف عام السعيدة.

إن العقيدة الألفية أى حكم المسيح كملك للعالم لمدة ألف عام، هى عقيدة يهودية تقوم على الإيمان بمخلِّص سوف يأتى ليفدى شعب إسرائيل وينقذه من عذاب المنفى ويقوده عائدًا إلى أورشليم ليفرض منها الحكم على كل أمم الأرض.

والمسيح المنتظر (اليهودى)، ستكون مهمته العالمية خلاص الشعب وحكم العالم بشريعة صهيون:

«ويحدث فى آخر الأيام، أن جبل هيكل الرب يصبح أسمى من كل الجبال، ويعلو فوق كل التلال، فتتوافد إليه جميع الأمم. وتقبل شعوب كثيرة وتقول: تعالوا لنذهب إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا طرقه، ونسلك فى سبله، لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تعلن كلمة الرب. فيقضى بين الأمم ويحكم بين الشعوب الكثيرة، فيطبعون سيوفهم محاريث ورماحهم مناجل، ولا ترفع أمة على أمة سيفًا، ولا يتدربون على الحرب فيما بعد».

(إشعياء ٢ : ٢ ـ ٤)

ولكن خلاص الشعب وحكم صهيون لن يتحقق إلا بعد حرب جوج وماجوج فى نهاية التاريخ:

«وتنبأ أنت يا ابن آدم، على جوج وقل: هذا ما يعلنه السيد الرب: ها أنا أنقلب عليك يا جوج رئيس روش ماشك وتوبال، فأحول طريقك وأقودك وأحضرك من أقاصى الشمال وآتى بك إلى جبال إسرائيل، وأحطم قوسك فى يدك اليسرى، وأسقط سهامك من يدك اليمنى. فتتهاوى أنت وجميع جيوشك وسائر حلفائك الذين معك على جبال إسرائيل، وأجعلك قوتًا لكل أصناف الطيور الجارحة ولوحوش البرية. فتصرع علي وجه الصحراء لأنى قضيت، يقول السيد الرب. وأصب نارًا على ماجوج وعلى حلفائه الساكنين بأمان فى الأرض الساحلية، فيدركون أنى أنا الرب. وأعرف اسمى القدوس بين شعبى إسرائيل، ولا أعود أدعه يتدنس فتدرك الأمم أنى أنا الرب قدوس إسرائيل.

ها إن الأمر قد وقع وتم، يقول السيد الرب. هذا هو اليوم الذى أخبرت به».

(حزقيال ٣٩ : ١ ـ ٨)

هذا الاعتقاد اليهودى بالمسيح المنتظر والألفية ونهاية التاريخ، انتقل إلى اللاهوت المسيحى عبر سفر رؤيا يوحنا، فالمسيح المنتظر سيحكم ألف سنة.

«ويملكون معه ألف سنة».

(رؤيا ٢٠ : ٦)

وتبدأ الألفية بمعركة هرمجدون بين المسيح والشيطان :

«ثم رأيت ملاكًا نازلاً من السماء، وبيده مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة قيد بها التنين، أى الحية القديمة، وهو إبليس أو الشيطان، وسجنه مدة ألف سنة، وطرحه فى الهاوية وأغلقها عليه، وختمها، حتى يكف عن تضليل الأمم، إلى أن تنقضى الألف سنة. ولكن لا بد من إطلاقه بعد ذلك لمدة قصيرة».

(رؤيا ٢٠ : ١ ـ ٣)

ويطلق سراح الشيطان من سجنه فى الهاوية بعد تمام الألف سنة :

«فحين تنقضى الألف سنة، يطلق الشيطان من سجنه، فيخرج ليضلل الأمم فى زوايا الأرض الأربع، جوج وماجوج، ويجمعهم للقتال، وعددهم كثير جدا كرمل البحر!».

(رؤيا ٢٠ : ٧ ـ ٨)

ثم تكون المعركة الفاصلة ونهاية التاريخ :

«فيصعدون على سهول الأرض العريضة، ويحاصرون من كل جانب معسكر القديسين والمدينة المحبوبة، ولكن نارًا من السماء تنزل عليهم وتلتهمهم. ثم يطرح إبليس الذى كان يضللهم، فى بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبى الدجال. هناك سوف يعذبون نهارًا وليلاً، إلى أبد الآبدين».

(رؤيا ٢٠ : ٩ ـ ١٠)

والمسيح المنتظر فى سفر يوحنا أقرب إلى المسيح اليهودى، أى المسيح القائد العسكرى منه إلى يسوع المسيح الذى أشاح بوجهه عن مملكة البشر وقال إن مملكته فى السماء. فرؤيا يوحنا تصف المسيح المنتظر بأنه :

«واكتب إلى ملاك الكنيسة فى ثياتيرا : إليك ما يقوله ابن الله الذى عيناه كلهيب نار ورجلاه كالنحاس النقى»

(٢ : ١٨)

«ووجهه يتوهج بالنور كشمس الظهيرة. وكان فى يده اليمنى سبعة نجومٍ، ومن فمه يخرج سيفٌ قاطعٌ ذو حدين»

(١ : ١٦)

«ولكن شيخًا من الشيوخ قال لى: «لا تبك! قد انتصر الأسد الذى من سبط يهوذا، الذى هو أصل داود، وهو المستحق أن يفتح الكتاب ويفك ختومه السبعة»

(٥ : ٥)

ويعتقد اليهود بأن المسيح لم يأت من قبل. ويردد اليهودى فى صلاته:

«إنى مؤمن إيمانًا كاملا أن المسيح سوف يأتى. وحتى إن تأخر مجيئه، فسأظل أنتظر مقدمه كل يوم من أيام حياتى»

وعندما ظهر يسوع، وقال إنه لم يأت لينقض الناموس بل ليكمله، لم يعترف به اليهود. أما المسيحيون فيعتقدون بأن يسوع الناصرى، هو المسيح الذى بشرت به نبوءات العهد القديم (اليهودى) وأنه المسيح المنتظر الذى ينتظرون مجيئه الثانى.

وسعت الكنيسة الكاثوليكية لتجاوز ذلك التناقض من خلال التفسير المجازى لنبوءات العهد القديم. واعتبر القديس أوغسطين أنه بمجىء المسيح (الأول) وقيامته أصبحت الكنيسة هى مملكة الرب بدلا من بنى إسرائيل، وأصبحت أورشليم مدينة العهد الجديد المقدسة وليست صهيون اليهودية.

ولكن اللاهوت البروتستانتى أعاد الاعتبار للاعتقاد بالألفية، وللإيمان ببعث اليهود كأمة فى فلسطين، كعنصر مهم فى العقيدة الألفية. فحتى يتحقق العصر الألفى تتوجب عودة اليهود إلى فلسطين.

لقد أعادت البروتستانتية، ثم الكاثوليكية منذ مجمع الفاتيكان الثانى ١٩٦٢ والاعتذار لليهود عام ١٩٩٨، الاعتبار لليهود باعتبار أن دورهم مركزى فى خطة الرب لنهاية التاريخ والمجىء الثانى للمسيح، وأنهم سيتحولون إلى المسيحية وإن لم يحدث ذلك بعد إتمام عودتهم إلى أورشليم فإنه سيحدث مع المجىء الثانى للمسيح.

إن المؤمنين بالعقيدة الألفية تياران. تيار ماقبل ألفى ممن يؤمنون بأن الملك الألفى أى المسيح سيأتى فجأة ويبدأ مملكة الألف عام السعيد. وتيار مابعد ألفى ممن يؤمنون بأن الملك الألفى سيأتى عقب ألف سنة تعم فيها الأخلاق المسيحية.

ويترتب على ذلك الخلاف، أن ماقبل الألفيين، يرون البشر عنصراً سلبيّا فى خطة الرب لنهاية العالم. ويعتقد مابعد الألفيين أن للبشر دوراً إيجابيًا فى التحضير للمجىء الثانى للمسيح أى إعداد مملكة المسيح على الأرض حسب قوانين الرب. وفى الحالتين، فإن عودة اليهود إلى أورشليم خطوة سابقة للمجىء الثانى للمسيح.

إن كل ذلك يفسر ارتباط الإحياء الأصولى فى أمريكا نهاية القرن التاسع عشر بظهور المسيحية الصهيونية الأمريكية. فالأصولية الإيڤانجيلية تعتقد فى عصمة الكتاب المقدس والتفسير الحرفى للنبوءات التوراتية حول بعث اليهود ومجىء المسيح. غير أن هذا الاعتقاد البروتستانتى الأمريكى بالإحياء القومى لليهود وقيام مملكة إسرائيل قبل المجىء الثانى للمسيح، تحول إلى حركة سياسية مسيحية سبقت الصهيونية اليهودية فى الدعوة إلى قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين. فالمؤتمر الصهيونى اليهودى فى بازل عام ١٨٩٧، سبقه صدور كتاب «يسوع آت» للممول والمبشر الأمريكى ويليام بلاكستون عام ١٨٧٨، والذى دعا فيه إلى عودة اليهود إلى فلسطين فى إطار الإيمان بالعصر الألفى السعيد والمجىء الثانى للمسيح. تلك الحركة المسيحية الصهيونية كان لها بالغ الأثر فى أعضاء الكونجرس والرأسماليين الكبار مثل روكفلر والصحافة والثقافة، وانتهاء بالرئيس هاريسون. وبذلك سرى الانتماء الصهيونى فى طريقة الحياة الفكرية وتخلل نسيجها قبل عقود من ظهور مايعرف باسم «اللوبى اليهودى».

ويفصح عن مدى ذلك التغلغل ما أظهره الجمهور الأمريكى العريض من تحمس بالغ لوعد بلفور والانتداب البريطانى على فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى، ثم الحماسة لإقامة إسرائيل، ثم الانحياز الأمريكى لإسرائيل. **وهو انحياز أساسه لاهوتى وثقافى وليس أساسه الصوت اليهودى.**

فالكثيرون من الشيوخ والنواب الأمريكيين الذين أخذوا على عواتقهم تحقيق الأهداف الصهيونية على تل الكابيتول (أى من خلال الكونجرس)، مثّلوا ولايات لم يشكل اليهود إلا كسرا عشريا صغيراً من مجموع سكانها، كولايات الجنوب والغرب الأوسط، إلا أن تلك الولايات بالذات كانت الأصولية البروتستانتية قد رسخت فيها أقدامها بشكل خاص.

وقد ارتبط صعود المسيحية السياسية والأصولية فى أمريكا، خلال الربع الأخير من القرن العشرين، بصعود المسيحية الصهيونية الأمريكية.

فابتداءً من عام ١٩٧٦ (عام الإيڤانجيلى) جرب مابين خمس وثلث الأمريكيين تجربة العمادة من جديد (مسيحيون ولدوا ثانية)، وتزايد أتباع الكنائس المتشددة، وتأسست الشبكات التليڤزيونية الدينية «الكنائس التليڤزيونية»، ووصل إلى البيت الأبيض الرئيس كارتر الذى اعتبر نفسه مسيحى ولد ثانية. وفى زخم ذلك الإحياء الأصولى قوى الاعتقاد بالألفية والمجىء الثانى للمسيح وأصبحت دعوة اليهود إلى القدس بعد انتصار إسرائيل فى حرب سنة ١٩٦٧ تحقيقًا لنبوءات التوراة وعلامة على قرب نهاية التاريخ.

وخلال الثمانينيات، أصبحت للمسيحية الصهيونية الأمريكية منظماتها التى تضمنت انحياز أمريكا إلى إسرائيل بالنظر إلى الدور المحورى لإسرائيل فى خطة الرب لنهاية العالم والمجىء الثانى للمسيح.

لقد انشغلت المسيحية السياسية والأصولية الأمريكية (اليمين المسيحى) خلال عقدى الثمانينات والتسعينات بـ «أجندة إلهية» لتحضير أمريكا للمجىء الثانى للمسيح ونهاية التاريخ. وبدأت بـ «تنصير أمريكا من تحت»، أى بإعادتها إلى الأخلاق المسيحية التقليدية بالمطالبة بمنع الإجهاض وتحريم المثلية الجنسية والسماح بالصلاة فى المدارس وحظر «البورنو جرافيا». ثم تحولت المسيحية السياسية والأصولية الأمريكية إلى محاولة «التنصير من فوق»، فقدمت القس بات روبرتسون مرشحًا للرئاسة فى الترشيحات الأولية للحزب الجمهورى عام ١٩٨٨. ثم أصبح لها ٢٥٪ من القاعدة التصويتية (١٠ أضعاف الأصوات اليهودية) بما جعلها قوة مؤثرة فى انتخاب ريجان وبوش وفى فوز عشرات من مرشحيها بعضوية مجلسى النواب والشيوخ.

وكان الهدف، تشريع «الأجندة الإلهية» للمسيحية السياسية والأصولية (اليمين المسيحى).

وما الخطأ فى اليمين المسيحى؟

هذا السؤال طرحته الكنيسة المتحدة الأمريكية (تعبر عن التيار الليبرالى) وكان الجواب فى نشرتها عدد فبراير عام ١٩٩٥.

«تخيل مجتمعًا يفرض على ممثليه المنتخبين الالتزام بأن كل كلمة فى العهد القديم والعهد الجديد صحيحة حرفيًا، ويحظر تدريس نظرية النشوء والارتقاء فى المدارس العامة، ويلزم النساء بالطاعة لأزواجهن بالقانون، وينفذ عقوبة الإعدام فى مسائل الإجهاض والمثلية الجنسية.

فهل يمكن أن تعيش فى هذا المجتمع؟

قد تعيش فيه إذا تسلم اليمين المسيحى حكم أمريكا»

وتضيف نشرة الكنيسة المتحدة الأمريكية:

«إن بات روبرتسون يخطط لإقامة دولة تسلطية، يسيطر على حكومتها الأصوليون وأتباع العقيدة الخمسينية.

إن بات روبرتسون، زعيم الائتلاف المسيحى، يعتقد فى ما قبل الألفية، وهو اعتقاد أصولى بأننا نعيش نهاية التاريخ.

وچيرى فالويل، زعيم الأغلبية الأخلاقية، هو الآخر ماقبل ألفى، يعتقد أن معركة هرمجدون بين الرب والشيطان وشيكة، وهى معركة نهاية التاريخ التى سيحكم بعدها المسيح ـ ومعه المسيحيون المولودون ثانية ـ العالم ألف سنة.

ويعتقد روبرتسون الاعتقاد نفسه مع اختلاف واحد أنه يجب ألا ينتظر المسيحيون حتى نهاية التاريخ ليتسلموا الحكم، بل عليهم أن يبدءوا فى الوقت الحاضر السيطرة السياسية. وهو بذلك يقترب من الاعتقاد مابعد الألفى الذى يعتقده الإحيائيون الأصوليون الذين يؤمنون بضرورة الإطاحة بالنظام الاجتماعى والسياسى القائم ليحل محله نظام إلهى يقوم على قوانين الكتاب المقدس وفرض عقوبات الإعدام والرجم والجلد على الخطاة..».

غير أن «الأچندة الإلهية» للمسيحية السياسية والأصولية الأمريكية، لم تقف عند حد تحضير أمريكا لنهاية التاريخ والمجىء الثانى للمسيح، بل تبنت رسالة صليبية عالمية لتحضير العالم لنهايته.

فى كتابه «النظام العالمى الجديد: هل هو مقدمة للنظام العالمى الإلهى؟»، يعتبر القس بات روبرتسون الواعظ التليڤزيونى الشهير، والذى فشل فى محاولة الترشيح عن الحزب الجمهورى فى الانتخابات الرئاسية عام ١٩٨٨، أن إعلان النظام العالمى الجديد بعد سقوط الاتحاد السوڤيتى وحرب الخليج، ليس إلا بداية لنهاية التاريخ.

ويبدأ كتاب روبرتسون الصادر عام ١٩٩٥، من أن النظام العالمى الجديد هدفه إقامة حكومة عالمية واحدة. وتقف وراء ذلك الهدف مؤسسات مثل مجلس العلاقات الخارجية فى نيويورك، وصحيفتا نيويورك تايمز وواشنطن پوست وجامعة هارڤارد، والماسونية،

والأمم المتحدة، وجماعة العصر الجديد. ويعتقد أن الحكومة العالمية ستؤسس ديانة عالمية توفق بين المعتقدات الدينية، وستشرع قانونًا عالميا، وسيكون لها جيش عالمى، وسيصبح الفرد فى النظام العالمى الجديد مواطنًا عالميا تسيطر عليه تكنولوچيا الكمپيوتر والأقمار الصناعية التى ستظهر حركة كل مواطن فى كل أنحاء الأرض.

ويعتبر روبرتسون أن عصر النظام العالمى الجديد هو عصر ضد الأسرة والمجتمع والوطن وعصر الأحداث المزعجة، وأن النظام العالمى الإلهى سيأتى أقرب جدًا مما نعتقد، فيسوع المسيح قال إن «ملكوت الرب قريب» والرب يعمل بحسب الجدول الذى وضعه لنهاية الزمان.

إن روبرتسون يطالب بالعودة إلى إله يعقوب: «أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. . لأن الخلاص هو فى اليهود. .» (يوحنا ٤٤ : ٢). كما يطالب بالعودة إلى قائد عظيم من بنى يعقوب هو النبى موسى.

ويشير روبرتسون إلى أن النظام الإلهى الجديد سيحل عندما يقوض الرب النظام العالمى الجديد، ويستعلن قائد النظام الإلهى الجديد يسوع المسيح الذى يخلص أبناء الرب ويملك الأرض لألف سنة (الملك الألفى)(*).

ويتنبأ روبرتسون أن قوى النظام العالمى الجديد ستتوحد مرة أخرى فى بابل، مثلما توحد من قبل الأكاديون القدماء والبابليون القدماء وبنى عير وكالح القدماء وبدءوا يبنون ثم قالوا: «هيا نشيد لأنفسنا مدينةً وبرجًا يبلغ رأسه السماء، فنخلد لنا اسمًا لئلا نتشتت على وجه الأرض كلها» (التكوين ١١ : ٤)، لذلك، بلبل الرب ألسنتهم وبددهم «وهكذا شتتهم الرب من هناك على سطح الأرض كلها، فكفوا عن بناء المدينة» (التكوين ١١ : ٨) وكان سحق أول تمرد وعصيان عالمى ضد الرب.

(*) فَجَّر بات روبرتسون التناقض بين المسيحية الأصولية الأمريكية من ناحية واليهود وإسرائيل من ناحية أخرى، عندما دعا اليهود عام ١٩٩٥ إلى التحول إلى المسيحية قبل مجىء المسيح حتى يشملهم الخلاص، ولكنه تراجع عن دعوته بعد تعرضه لهجوم عاتٍ من اللوبى اليهودى واتهامه بمعاداة السامية.

وكان هذا التناقض قد ميّعه مناحم بيجن بالاتفاق مع الحركة المسيحية الأصولية على تأجيل هذه المسألة حتى بناء الهيكل ومجىء المسيح، والتركيز على دعم إسرائيل وأن تكون القدس عاصمتها الأبدية والموحدة.

ويستكمل النبوءة معتمداً على رؤيا يوحنا بأن القوى الشريرة للنظام العالمى الجديد فى أربعة أركان الأرض ستنفك عند نهر الفرات لقتل ثلث الناس «وكان هؤلاء الملائكة الأربعة مجهزين استعداداً لهذه الساعة واليوم والشهر والسنة، فأطلقوا ليقتلوا ثلث البشر» (الرؤيا ٩ : ١٥).

وبحسب ماجاء فى رؤيا يوحنا، يبرز قائد عالمى لقوى الشر، «وأعطى الوحش قدرةَ على أن يحارب القديسين ويهزمهم وسلطة على كل قبيلة وشعب ولغةٍ وأمةٍ. فيسجد للوحش جميع سكان الأرض». (الرؤيا ١٣ : ٧).

والأخبار الطيبة أن يسوع المسيح والقديسين سيقيدون القائد ـ الشيطان، لمدة ألف سنة، ثم يُلقى الشيطان وأتباعه فى بحيرة النار والكبريت.

ويفصل روبرتسون نبوءته بأن النظام العالمى الجديد يعد لحكومة عالمية تفسح لها الطريق الولايات المتحدة، وأن المسرح العالمى جاهز لقدوم القائد ـ الشيطان لقوات الحكومة العالمية الجديدة. وستتضمن إستراتيجية الشيطان هجومًا مباشراً على دولة إسرائيل. فإسرائيل ستتخلى عن بعض الأراضى إلا أنها لن تتخلى عن أورشليم التى فاز بها الملك داود فى الحرب من ثلاثة آلاف سنة مضت، وفازت بها دولة إسرائيل فى حرب عام ١٩٦٧.

وتكون النتيجة حرب نهاية التاريخ التى يبدأ بعدها النظام الإلهى على أنقاض النظام العالمى الجديد.

إن فكرة نهاية التاريخ ومجىء المسيح المحارب (اليهودى)، فكرة جامعة لليمين السياسى المحافظ واليمين المسيحى (المسيحية السياسية والأصولية)

فالرئيس ريجان سيطرت عليه الفكرة وعبّر عن استعداده لإشعال هرمجدون نووية إذا هاجم العرب إسرائيل بمساعدة الروس. والرئيس بوش أعلن النظام العالمى الجديد (النظام الأمريكى)، وفوكوياما روّج لنهاية التاريخ (بانتصار أمريكا)، وهانتنجتون نظّر لصراع الحضارات (الحضارة الغربية المسيحية بقيادة أمريكا ضد باقى العالم)، وبرنارد لويس أعلن انتصار الغرب (المسيحى) بقيادة أمريكا ضد الشرق (الإسلامى).

أما اليمين المسيحى، كما عبّر عنه چيرى فالويل وبات روبرتسون، فقد أعلن أمريكا «مملكة الرب» ذات الرسالة الصليبية العالمية لتهيئة العالم لمجىء المسيح.

ولعل أخطر مافى فكرة نهاية التاريخ ومجىء المسيح المحارب (اليهودى)، أنها أسطورة لاهوتية تحولت إلى ثقافة صنعت مواقف وسياسات كونية.

يقول الحاخام اليهودى إلمر بيرجر(*):

. . والعوار الجوهرى فى هذا الصنف من اللاهوتية المسيحية، مثيل لعوار لاهوتية الدعاة الصهيونيين الذين يجتهدون عن عمد فى الخلط بين المسيحانية الروحية لبعض اليهود والسياسات العلمانية والمرامى السياسية للصهيونية(**).

(*) تم فصله من أى مناصب يهودية فى الولايات المتحدة.

(**) فضلاً عن أن المسيحية الأصولية تثير معارضة التيار الليبرالى العام للكنائس الأمريكية ممثلاً فى الاتحاد الوطنى للكنائس، فإنها تثير ـ أيضا ـ مخاوف اليهود الأمريكيين المعارضين لاتجاه الأصولية إلى «مسحنة» الولايات المتحدة. واعتبر أحد حاخامات اليهود ألكسندر شندلر أن «هناك صلة بين صعود المسيحية والأصولية وتنامى معاداة السامية فى الولايات المتحدة». وقال لصحيفة واشنطون ستار (٢٢/ ١١/ ١٩٨٦) إن «من الانتحار أن يتعاون اليهود مع المسيحية الأصولية بحجة دعمها لإسرائيل. .».

الهـــوامش

مقدمــة

(1) National Times, Nov. 1995.

(٢) رضا هلال، تفكيك أمريكا، القاهرة، الإعلامية للنشر، ١٩٩٨ .

(٣) رضا هلال، أمريكا الحلم والسياسة، القاهرة، الحضارة، ١٩٩٩ .

(٤) عن الإحياء الأصولى فى الديانات الثلاث:

Gilles Kepel, The Revenge Of God: The Resurgence Of Islam, Christianity And Judaism In The Modern World, Cambridge, Polity Press, 1994.

الفصل الأول

(١ ، ٢) اعتمدنا فى تاريخ المسيحية على :

- Kennethscott Latourette, A History Of Christianity, New York, Harper, 1953.
- A.C. Mcgiffert, A History Of Christian Thought,2 Volumes, New York, 1932 - 33.
- Philip Carrington, The Early Christian Church, Cambridge, Cambridge University Press, 1957.
- F.C.Potter, The Mind Of Christ In Paul, New York, Tlolt, 1920.

(3) M.R.Wilson, Our Father Abraham, Michigan, Eerdmans, 1989, p.95.

(٤) المصدر السابق ص٩٧ ـ ٩٨

(5) Richard H.Porkin And Gordon M.Weiner, Jewish Christians And Christion Jews; From The Renaissance To The Enlightement, Dordecht, Kluwer Academic Publishers, 1994, p.1.

(٦) المصدر السابق ص ٢ ، ٣

(٧) المصدر السابق ص٣

(٨) المصدر السابق ص٦

(9) Henry Feingold ,Zion In America, New York, Hippocrene Books, 1974. pp.14 - 18.

(10) Barbara Tuchman, Bible And Sword, New York, Ballantine Books, 1984.

(١١) المصدر السابق ص ٣٧

(١٢ , ١٣) الاقتباسان من :

Martin Luther, Saennthiche Werke, Vol. 29,pp. 7,46.

R.H.Bainton, Here I stand :A Life Of Martin Luther, New York, Abingdon Cokesbury Press, 1920.

R.H.Bainton, The Reformation Of The Ninteenth Century, Boston, The Beacon Press, 1952.

(14) Barbara Tuchman, Op.cit.

(15) T.B.Macaully, History Of England, Vol,1,p.71.

(١٦) حول العلاقة بين البروتستانت الإنجليز واليهود :

Mayir Verte, The Restoration Of The Jews In England Protestant Thought 1790 - 1480, Middle Eastern Studies.

(17) Don Patinkin, Mercantilism And The Readmission Of The Jews To England, Jewish Social Studies, Vol.8, July 1946.

(18) Richard H.Popkin And Gordon M.Weiner, Op.cit, p.10.

(١٩) المصدر السابق ص١١ .

(20) Franz Kobler, The Vision Was There, London, 1926. p.18.

(٢١ ، ٢٢) الاقتباسان من المصدر السابق ص٣٩، ٤٠ - ٤١، ٤٢ .

(٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦) الاقتباسات من :

Regina S.Sharif, Non - Jewish Zionism: Its Roots In Western History, London, Zed Press 1983.

(27) John Milton, Paradise Regained, London, 1936.

(٢٨، ٢٩، ٣٠) Regina S.Sharif مصدر سبق ذكره .

(٣١، ٣٢، ٣٣) للتفاصيل يُرجع إلى الكتاب المهم :

Edward N. Calich, The Jew In English Literature As Subject, Washington, 1969.

(٣٤) ورد البيان في :

Franz Kobler, Napoleon And The Jews, New York, 1975

(٣٥) الاقتباس من :

Ferdinand Zweg, Israel: The Sword And The Harp, London, 1969, p.248.

(٣٦) الاقتباس من :

Albert H. Hajamson, Palestine under The Mandate, London, 1950, p.10.

(٣٧) للمزيد عن دور اللورد پالمرستون :

Sir Charles Webster, The Foreign Policy Of Palmerston 1830 - 1841, London, 1951.

(٣٨) وردت الرسالة فى :

Israel Cohen, The Zionist Movement, New York, 1946. p.51.

(٣٩) المصدر السابق ص٥٢

(40) Norman Bentwich and John M.Shaftesloy, Foreunners of Zionism Era. p.210.

الفصل الثانى

(1) Leonard C.Yassen, The Jesus Connection, New York, Crossroad Publication, 1985, p.84.

(٢ ، ٣) اعتمدنا فى السرد التاريخى التالى على :

- Sydny E.Ahlstorm, A Religious History of the American People, New York, Image Books, 1975.
- Edwin Scott Gaustad, A Religious History Of American People, New York, Harper Collins, 1990.
- Harold Bloom, The American Religion, New York, Simon & Schuster, 1992.

(4) Henry Feingold, Op.cit. p 14 - 18.

(5) Aruther Hertzberg, The Jews In America, New York, Simon & Schuster, 1990, p. 32 - 3.

(6) Edwin Scott Gaustad, Op.cit.

(7) Selig Adler, American And The Holyland In: American Historical Quarterly, Spt. 1972.

(8, 9. 10) Harold Bloom, Op.cit.

(11, 12) David S.Katz And Richard H.Popkin, Messianic Revolution, London, The Penguin Press, 1999.

(13) Henry Feingold, op.cit. p. 198 - 9.

(14) Reuben Fink, America and Palestine, Op. Cit.p.p. 1-20.

(١٥) المصدر السابق ص٢١ .

(١٦) المصدر السابق .
(١٧) مضمون الرسالة فى :

Regina S. Sharif, op.cit.

(١٨) شفيق مقار، المسيحية والتوراة : بحث فى الجذور الدينية فى للصراع فى الشرق الأوسط ، لندن، دار رياض نجيب الريس ١٩٩٢ ، ص١٦٠ .

(19) Regina S. Sharif, Op.cit.

(20) Gray M.Smith. Zionism: The Dream And The Reality: A Jewish Critique, New York, Barnes And Noble Books, 1974, p.14.

(٢١) المصدر السابق ذكره .
(٢٢) ورد البيان فى :

American Jewish Yearbook 1918, Philadelphia 1919.

(٢٣) وردت الرسالة فى :

Regina S. Sharif, op.cit.

(٢٤) المصدر السابق .
(٢٥) المصدر السابق .

(26) American Jewish Historical Quarterly, June 1968.

(27) Reuben Fink, The American War: Congress and Zionism, New York, 1919.

(٢٨) المصدر السابق ذكره .
(٢٩) ورد فى :

Regina S.Sharif, op.cit.

(30) Reuben Fink, op.cit. p.87.

(٣١) المصدر السابق
(٣٢) المصدر السابق ص٨٨
(٣٣) المصدر السابق
(٣٤) حول السياسة الخارجية الأمريكية فى الفترة ٤٢ ـ ١٩٤٧ :

Richard Stevens, American Zionism & U.S. Foreign Policy 1942 - 1947, Beirut 1970 .

(٣٥) مؤتمر صحفى للرئيس ترومان (١٦ أغسطس ١٩٤٥)

(36) Jewish Political Power, in: Jewish Social Studies, Vol.39. Nos. 1 - 2.

(٣٧) خطاب كلارك كليفورد أمام الجمعية الأمريكية (٢٨ ديسمبر ١٩٧٦)

(38) Moshe Davis, America & The Holyland, P.13.

الفصل الثالث

(1) Louis Gasper, The Fundmentalism Movement, The Hague 1963, p.13

(2) James Davison Hunter, American Evangelicalism: Conservative Religion and the Quandary Of Modernity, NJ. Rutgers University Prass, 1993, p.40 - 41.

(3) Gasper. op.cit, P.23.

(4) Ernest R. Sandeen, The Roots of Fundamentalism, British And American Millenarism 1800 - 1930, Chicago, University Of Chicago Press. 1970, p.29.

(5) Hunter, op.cit. P.39.

(6) Gasper, pp. 25 - 29.

(7) Gasper, p.p. 38 - 39.

(8) New York Times, August 21, 1948.

(9) Sara Diamond, Roads To Dominion: Rightwing Movements And Political Power In The U.S., New York, The Gulford Press, 1995. p.p. 95-7.

(10) Diamond, Op.cit. P.96.

(11) Diamond, Op.cit, P.98.

(12) The New Evangelist, Time, Oct. 25, 1954.

(13) Sara Diamond, Spiritual Warfare: The Politics of the Christian Right, Boston, South End Press, 1989.pp. 10 - 12.

(14) Diamond, Roads to Dominion, Op.cit, pp. 104 - 5.

(15) Diamond, op.cit.p.105.

(16) Christianity Today, Jan. 5,1962.

(17) Diamond, Op.cit. p. 105 - 6.

(18) Routh W. Mouly, Israel: Darling of the Religious Right, Humanist Magazine, May 1982.

(19) Paul Findley, They Dare to Speak Out: People and Institutions confront Israel's Lobby, Conn: Lawrance Hill and co., 1985, pp. 2383-9

(20) Hal Lindsey, Thee Late Great Planet Darth, New York, Bantan Books, 1970, p.38.

(٢١) المصدر السابق ص ١٥٠

(22) Oral Roberts, The Drama of the End Time, New York, Oral Press, 1973, p.38.
(23) Gerald Strober, American Jews: Community in Crisis, New York, Doubleday, 1974, p.90.

(٢٤) ورد في :

Grace Halsell, Prophecy and Politics: Miltant Evangelists on the Road to Nuclear War, Westport, Conn., Lawrence Hill and Co., 1986.

(25) Doris A. Graber, Mass Media and American Politics, Washington, D.C., Congressional Quarterly press, 1980. p.3.
(26) Religious News Service, July 19, 1976.
(27) Diamond, Raods to Dominion, op.cit. p. 163
(28) Time, Sep. 2,1985.
(29) Sunday Telegraph, Feb. 6,1983.
(30) Jerry Falwell, Listen America, New York, Doubleday, 1980, p. 215.
(31) New York Times, August 19, 1984.
(32) Washington Post, August 23, 1981.
(33) Religious Broadcasting Magazine, April, 1982.
(34) Mike Evans, Partners in Prophecy, 85 - Partner Devotional Guide, Bedford, TX, Mike Evans Ministries, 1984.
(35) Findly. op.cit. p.240.
(36) Mik Evans, JerUSAlem DC., Bedford, TX, Bedford Books and Mike Evans Ministries, 1985.
(37) ...., Ministries Fund Raising letter, 10 Sep. 1984.

(٣٨) المصدر السابق .
(٣٩) المصدر نفسه

(40) Chick, Support Our Local Jew, Chino, CA: Chick, n.d.

الفصل الرابع

(1) New York Times, Jan. 28, 1981.
(2) Washington Post, May 8, 1982.
(3) Sara Diamond, Roads To Dominion, pp. 237 - 240.

(٤) حول ريجان وهرمجدون :

Grace Halsell, Op, cit.

(5) San Diego, August, 1985.

(6) Sara Diamond, Op.cit.

(7) Washington Post, Sep, 26, 1992.

(8) Sara Diamond, Op.cit, p.243.

(٩) المصدر السابق ص٢٤٥

(10) Christiarity Today, Jan. 15, 1990.

(11) New York Times, Nov. 14, 1988.

(12) Regina Sharif, Non Jewish Zionism, Op.cit. p.111.

(١٣) المصدر السابق ص١١٢

(14) L.L. Kene, Israel's Defense Line, New York Prometheus Books, 1981, p.10

(١٥) المصدر السابق ص٦

(16) Hal Lindsey, The Late Planet Earthe, Op.cit.p.45.

(17) Jerry Falwell, Listen America, New York, Doubleday, 1980, p.113.

(18) Wolf Blitzer, Between Washington And Jerusalem: A Reporter's Note Book, YY, Oxford University Press, 1985. p. 194.

(19) Evangelical Christian Zionism In America, Chicago, April 1985.

(20) Washington Post, April 21, 1984.

(٢١) المصدر السابق.

(22) Declaration Of The International Christian Zionist Congress, Basel, Switzerland, 27 - 29 August 1985. pp. 2 - 5.

(23) Grace Halsell, Prophecy And Politics, Op.cit.pp. 101 - 2.

(24) Findly, They Dare To Seak, Op.cit. P.243.

(25) New York Times, August, 1, 1982.

(26) National Christian Conference For Israel, Washington, Dc, Nov. 11, 1982.

(27) New York Times, Nov. 10, 1985.

(28) American - Israel Friendship League News, NY, July 1982.

(29) Grace Halsell, Prophecy And Politics, Op.cit.

الفصل الخامس

(1) Christianity Today, Feb. 3, 1989.

(2) Christianity Today, April 23, 1990.

(3) Los Angles Times, March 4, 1989.

(4) Wall Street Journal, Sep. 26, 1989.

(5) A Pro-life Manifesto, Westchester, Il, Crossway Books, 1988.

(6) Joseph Scheilder, Closed: 99 Ways To Stop Abortion, Westchester, Il, Crossway Books.

(7) Los Angles Times, Sep, 26, 1992.

(8) San Francisco Chronicle, Dec. 15, 1993.

(9) Richard Bolton, Ed, Culture Wars: Documents From The Recent Controversies In The Arts, NY, New Press, 1992,p.27.

(10) Church And State, Jan. 1991.

(11) Church And State, Oct. 1991.

(12) Frederick Clarkson, The Christian Coalition: On The Road To Victory: Church And State, January 1992.

(13) USA Today, August, 14, 1992.

(14) San Francisco Chronicle, August 18, 1992.

(15) New York Times, Nov. 21, 1992.

(16) The Virginia Pilot And Ledger, Star, Oct. 31, 1992

(17) Christian Century, Feb. 17, 1993.

(18) National Review, April 4, 1994.

(19) San Francisco Chronicle, Feb. 16, 1994.

(20) The Humanist, Jan - Feb. 1994.

(21) Washington Post, Nov. 14, 1993.

(22) Los Angles Times, Dec. 10, 1993.

(23) The Nation, June, 28, 1993.

(24) San Francisco Chronicle, March 19, 1994.

(25) New York Times, May 15, 1994.

(26) Human Events, May 27, 1994.

(27) The Humanist, July 0 August, 1994.

(28) San Francisco Weekly, Dec. 16, 1992.

(29) Washigton Times, Nov. 11, 1994 & New York Times, Nov. 12, 1994.

(30) Los Angles Times, July 5, 1994.

(31) Washington Times, June 24, 1994.

(32) San Francisco Chronicle, June 25, 1994.

(33) Los Angles Times, July 28, 1994.

(٣٤) رضا هلال، أمريكا الحلم والسياسة: من أوراق التغريبة الأمريكية، القاهرة، الحضارة للنشر، ١٩٩، ص٦٥-٦٦

(35) U.S. News & World Report. April 26, 1995.

(36) Newsweek, May 13, 1996.

(37) Ralph Reed, Active Faith: How Christians Are Changing The Soul Of American Politics, New York, Free Press, 1996.

(38) U.S. News & World Report, April 26, 1995.

(٣٩) المصدر السابق

(٤٠) المصدر السابق

(٤١ ـ ٤٦) رضا هلال، تفكيك أمريكا، القاهرة، الإعلامية للنشر، ١٩٩٨

(47) U.S News & World Report, March 13, 1995.

(48) The American Enterprise, Nov. Dec. 1995.

(49) Edwin Scott Gaustad. Op.cit. p.15

(٥٠) المصدر السابق

(51) Michele Dillon, Rome And American Catholics, In: The Annals, July, 1998.

(52) Walter Abbot, Ed., The Documents Of Vatican II, NY, Hardan & Harder, 1996.

(٥٣) ورد في:

Gilles Kepel, The Revenge Of God: The Resurgence Of Islam, Christinty And Judaism In The Modern World, Op.cit.51.

(٥٤) المصدر السابق

(55) New York Times, Sept, 10, 1984

(56) Ether Y. Feldbeum, The American Catholic Press And The Jewish Stae, 1917 - 1959, NY, Stat Publishing House, 1977,p,48.

(٥٧) رضا هلال، أمريكا الحلم والسياسة، م. س. ذ ص١٤١

(٥٨) رضا هلال، مصالحة بين الفاتيكان وأورشليم أو مسيحية صهيونية صاعدة، الحياة (لندن) ٢٩ مارس ١٩٩٨.

الفصل السادس

(1) Gilles Kepel, The Revenge Of God, Op. Cit. pp. 105 - 6

(٢) رضا هلال، تفكيك أمريكا، مصدر سبق ذكره

(3) Louis Gasber, The Fundametalist Movement, Op.cit. p.13.

(4) Harold Bloom, The American Religion, Op.cit. p. 219.

(٥) المصدر السابق
(6) Robert G. Clouse, The Meaning Of Millennium, IVP, 1977.
(٧) المصدر السابق
(٨) اعتمدنا في رصد منظمات الأصولية على:
- Robert Boston, Why The Religious Right Is Wrong: About Separation Of Church And State, New York, Proehteus Books, 1993.
- Grace Halsell, The Bible And Sowrd, Op.cit.
- Sara Diamond, Road To Dominion, Op.cit.
- Http: //www.cc. Org
- Http: //www.cbn. Org
- Http: //www.religion today. com
- Http: //www.cc. Goshen. Net
(9) William L.Pitts, Jr, Davidian And Branch Davidians, 1929 - 1987, In: Armageddon In Waco, Ed. Staurt A.Wright, Chicago, 1995, p.p. 21 - 6.
(١٠) حول ديفيد قورش وجماعته:
Clifford L. Lindecker, Massacre At Waco, Texas: The Shocking Story Of Cult Leader David Koresh And The Branch Davidians, New York, 1993, p.p. 87 - 89.
(11) D. Leppard, Fire And Blood: The True Story Of David Koresh And The Waco Siege, London, 1993.
(12) J.d. Taor, E.V.Gullagher, Why Waco?
Cults And The Battle For Religious Freedom In America, Berkeley, 1995.
(13) John Sodler, Rights Of The Kingdom, London, 1649. In: David S. Katz And Richard H. Popkin, op.cit. P171.
(14) David S. Katz.. Op.cit.
(١٥) المصدر السابق ص١٧١ ـ ١٨٠
(16) P.Lemesurier, The Great Pyramid Decoded, London, 1977. p.181.
(17) David S. Datz. Op.cit.
(18) Michael Barkun, Religion And The Racist Right, Chapel Hill, 1994, pp. 17 - 18.
(19) L.P.ribuffo, Henry Ford And The International Jew, Amer. Jew. Hist. 69, 1980.
(20) M. Barkun.., Op.cit. pp. 54 - 67.
(21) Herbert W. Armstrong, Mystery Of The Ages, Pasadena, 1985, pp. 11 - 25.
(22) Richard H. Popkin, Pre-damism In 19th, Century, American Thought, 8, 1978.
(23) Paul Weyler, The Ashkenazic Jews, Ohio, 1993.

(24) Mark Juergensmeyer, Christian Violence In America, Annals, AAPSS, 558, July 1998, p.89.

(٢٥) المصدر السابق ص٩٠

(٢٦) المصدر السابق ص٩١

(27) Michael Bary, A Time To Kill: A Study Concerning The Use Of Force And Abortion, Protland, OR: Advocates For Life.

(28) Reinhold Niebuhr, Moral Man And Immoral Society, New York, Soribner,s 932.

(29) ---------- The Nature And Destiny Of Man, New York, Scribner's, 1942.

(30) ---------- Why The Christian Church Is Not Pacifist, London, Student Christian Movement Press, 1940.

(31) Chip Berelt, John Salvi, Abortion Clinic Violence And Catholic Right, Somerville, MA, Political Research Associatas, 1961.

(32) Gary Northe, Backward, Christian Soliders? An Action Manual For Christian Reconstruction, Tyler, TX: Institute For Christian Econonmics, 1984.

(33) Rousas John Rushdoony, Instituites Of Biblical Law, Nutly, NJ: Craig Press, 1973.

(34) Andrew Macdonald, The Turner Diaries, Arlington, Va: Alliance National Vanguerd Books, 1978.

(35) Leonard Zeskind, The Christian Identity Movement: Analyzing Its Theological Rationlization For Racist And Anti - Semitic Violence, New York, National Council Of Churches Of Christ In The National Council Of Churches Of Christ In The U.S.A Division Of Church And Society, 1986.

الفصل السابع

(1) Walter A. Mcdougall, Promised Land, Crusader State: The American Encounter With The World Since 1776, New York, Houghton Mifflim Co. , 1997. p.203

(2) J.William Fulbright, The Arrogance Of Power, New York, Random House, 1966, pp. 245-6

(3) Walter A. Mcdougall, Promised Land. Op.cit

(٤) حول السياسة الخارجية فى برامج وأنشطة منظمات اليمين المسيحى :

- Http://www.cc.org
- Http://www.cbn.org
- Http://www.religioustoday.com
- Http;//www.goshen.net
- Http://www.foreignpolicy.com.

-William Martin, With God On Our Side: The Rise Of The Religious Right In America, New York, Broad Way Books, 1996.

(5) ...., The Christian Right And American Foreign Policy, Foreign Policy, Spring 1999.

(6) New York Times, Nov. 12,1994.

(٧) رضا هلال، تفكيك أمريكا، مصدر سبق ذكره ص١٢٧

(٨) ورد فى

William Marti,The Christian Right And American Foreign Policy, Op. cit.

(٩) رضا هلال، تفكيك أمريكا، المصدر السابق ص٣١، ٣٢

(10) New York Times, April 27, 1997

(11) New York Times, May 13, 1997

(12) New York Times, June 15, 1997

(١٣) رضا هلال، المزايدة الأمريكية على حماية المسيحيين، الأهرام ٢٩ سبتمبر ١٩٩٧ .

(١٤) المصدر السابق

(١٥) رضا هلال، امريكا الحلم والسياسة ، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣

(16) Statement By The National Council Of Churches Of Christ In The USA, May 5, 1998, In:

- Http://www.geoshen.com

(17) Religious Freedom Bill Revised, Presbeyterian Church Report, Mar/Ap. 1998,in:

- Http://www.geoshen.com

(18) تفاصيل الجلسة فى: - Http://www.state Fov/wwwpolity

(١٩) رضا هلال، أمريكا الحلم والسياسة، المصدر السابق ذكره ص١٣٤

(٢٠) نص القانون فى :

- http://www.geocities.com

(٢١) رضا هلال، أصولية أمريكا والاضطهاد الدينى، الأهرام ٤ ابريل ١٩٩٨ .

الجداول والأشكال

الصفحة


هذا الكتاب
يبين هذا الكتاب كيف تتحكم أسطورة «المسيح اليهودى» فى الثقافة - ومن ثم السياسة - الأمريكية، تلك الأسطورة التى حولت يسوع (الناصرى)، مسيح الحب والسلام والزهد فى الدنيا، إلى مسيح يهودى منتظر ليقود حرب نهاية التاريخ ويحكم العالم من صهيون رغم قوله: «مملكتى ليست فى هذا العالم!».
ويكشف الكتاب أن المسيحية الأمريكية (البروتستانتية) مسيحية متهودة، حيث أعادت البروتستانتية الاعتبار «لليهود» وجعلت العهد القديم (اليهودى) المرجع الأعلى. ويتابع حركة المسيحية السياسية والأصولية الأمريكية، التى انطلقت من العقيدة الألفية أى الاعتقاد بمجيء المسيح المحارب (اليهودى) ليحكم العالم فى الألف عام السعيدة.
ويرصد الكتاب صعود اليمين المسيحى الأمريكى حتى أصبح يستحوذ على ٢٥٪ من القاعدة التصويتية، كما يتناول تحالفه مع اليمين السياسى فى الحزب الجمهورى ليشكلان ما أصبح يعرف باسم «حزب الله الأمريكى».
ويستعرض الكتاب المنظمات الأصولية وجماعات وميليشيات العنف المقدس «جيش الله»، ويحلل دور المسيحية السياسية والأصولية فى السياسة الخارجية الأمريكية، وينبه إلى أن الانحياز الأمريكى لإسرائيل أساسه لاهوتى وثقافى (اليهومسيحية) وليس أساسه الصوت اليهودى، وإلى أن الصهيونية المسيحية سبقت الصهيونية اليهودية وزودتها بالتبرير اللاهوتى والسياسى.
ويحذر الكاتب الليبرالى رضا هلال - فى هذا الكتاب - من خطر الأصولية المسيحية على روح أمريكا (الديمقراطية العلمانية) وعلى الإنسانية عامة، والشرق الأوسط خاصة.
مكتبة الشروق
٢ ش البورصة الجديدة - قصر النيل